# دور الاعلام الامريكي في صنع السياسة الخارجية الامريكية: قناة الحرة نموذجاً

The role of U.S. media in the making of U.S. foreign policy: AL- Hurra channel model

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

ماهر داود درعاوي

باشراف

د. وليد الشرفا

2011

# دور الاعلام الامريكي في صنع السياسة الخارجية الامريكية: قناة الحرة نموذجاً

The role of U.S. media in the making of U.S. foreign policy: AL- Hurra channel model

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

ماهر داود درعاوي

لجنة الاشراف والمناقشة

د. وليد الشرفا (رئيس اللجنة)

د. أحمد مصلح (عضوا) د. وداد البرغوثي(عضوا)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية– كلية الدراسات الدولية– جامعة بير زيت.

ب

# دور الاعلام الامريكي في صنع السياسة الخارجية الامريكية: قناة الحرة نموذجاً

The role of U.S. media in the making of U.S. foreign policy: AL- Hurra channel model

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

ماهر داود درعاوي

مايو 2011

لجنة الاشراف والمناقشة

د. وليد الشرفا(رئيسا) ----------

د. أحمد مصلح (عضوا) ----------

د. وداد البرعوثي (عضوا) ----------

# قائمة المحتويات

- ملخص الدراسة.....ح-ذ.
- ملخص باللغة الانجليزية Abstruct.....ر-ش.
- مقدمة الدراسة ومنهجيتها.....ص-ن.
- الفصل الأول
- المبحث الأول: علاقة الواقع الرمزي بالواقع السياسي.....1-5.
- المبحث الثاني: الاعلام واقع افتراضي أم تغيير.....6-7.
- المبحث الثالث: العلاقة بين الاعلام والسياسة.....8-13.
- الفصل الثاني
- المبحث الأول: تراجع الدبلوماسية التقليدية لصالح دبلوماسية الجماهير(الاعلام).....14-16.
- المبحث الثاني: الاعلام السياسي كأداة.....17-19.
- المبحث الثالث: تشكيل البعد السياسي والثقافي.....20-26.
- الفصل الثالث
- المبحث الاول: السياسة الخارجية الامريكية.....27-30.
- المبحث الثاني: كيف صنعت السياسة الخارجية الامريكية الحرة؟.....31-37.
- المبحث الثالث: كيف تقدم الحرة السياسة الخارجية الامريكية.....38-41.

الفصل الرابع
- المبحث الاول: حجج وادعاءات انشاء قناة الحرة.....42-43.
- المبحث الثاني: الحرة .. تبني الخطاب الامريكي.....44-47.
- المبحث الثالث: الأبعاد الاخلاقية للحرة.....48-51.
- المبحث الرابع: الحرة .. فزاعة الاحتلال.....52-59.
- الفصل الخامس
- المبحث الأول: الحرة.. ووحدة العراق.....60-70.
- المبحث الثاني: الحرة.. معارضة دعوات المصالحة.....71-72.
- المبحث الثالث: الحرة.. وانسحاب الاحتلال.....73-81.
- المبحث الرابع: الحرة .. مهاجمة الدول المجاورة.....82-89.
- الفصل السادس
- المبحث الاول: دور الحرة في التغطية على جرائم الاحتلال.....90-93.

ة

- المبحث الثاني: الحرة.. انعكاس للعنصرية .....94-102.
- المبحث الثالث: الحرة.. هل تحارب الفساد في العراق؟.....103-105.
- المطلب الاول: الحرة.. الفساد الاداري.....106-108.
- المطلب الثاني: حول مهنية الحرة.....109-112.
- المطلب الثالث: موقف الجمهورالعربي من الحرة.....113-117.
- المبحث الرابع: الحرة الى أين؟.....118-119.
- المبحث الخامس: الخلاصة.....120-121.

## الاهداء

الى من علمتني كيف يكون الصبر في الحياة... الى من منحتني كل ما استطاعت.
الى أمي الحنون .

الى روح والدي الطاهرة.

الى من نشتاق اليهم اشتياق الارض لمطر السماء بعد طول جفاف.

الى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى كل من ساعدني في انجاز هذه الاطروحة، وأخص بالذكر استاذي ومعلمي، د. وليد الشرفا، والى دائرة الدراسات الدولية، كما أن شكري موصول الى كل من الزميلة ناهدة صباح، وزميلي محمد أبو الرب لما قدموه لي من مساعدة أثناء البحث، ولا أنسى الزميل رائد اشنيور على مساعدته لى في الامور الفنية للبحث.

وبالطبع فان شكري وتقديري موصول لكل من أعضاء لجنة النقاش المحترمين، استاذي د . أحمد أبو دية، والى معلمتي الفاضلة، د. وداد البرغوثي، على ما تفضلوا به علي من وقت وجهد ساعد في انجاز هذه الاطروحة.

ملخص الدراسة

هدفت دراسة الدور الذي يقوم به الاعلام في السياسة الخارجية الامريكية، الى فهم والتعرف على ما يقوم به الاعلام في الدفلع أو في توجيه السياسات الخارجية للدول، وتحديداً ما قام به الاعلام الامريكي من دور بارز في الساحة العراقية قبيل وفي أثناء الحرب على العراق.

ومن بين ما هدفت اليه الدراسة ايضا تحليل الدور التي تضطلع به قناة الحرة في الساحة العراقية، والذي يتمثل في دعم ومساندة القوات المحتلة التي تحاول السيطرة على الشعب العراقي بطرق وأساليب كان من أبرزها استخدام الجانب الاعلامي في ممارسة الدعاية المغرضة التي هدفت لاستمرار الاحتلال واطالة أمده في الساحة العراقية، حيث لم تتورع الحرة عن جلب المبررات واستخدام كافة الاساليب التي وضعت جميعها تحت تصرف الاحتلال الامريكي في العراق، فقد ادعت الحرة وما زالت تقول للمواطن العراقي ان استقرار الوضع الامني في العراق يرتبط ارتباطا وثيقاً بوجود القوات المحتلة في العراق، وأن عدم وجود القوات الامريكية فان الساحة العراقية مآلها الى الفوضى وعدم الاستقرار، لذلك يجب على الشعب العراقي التمسك بالقوات المحتلة الذي توفر له الامن والامان. لكن الحقيقة التي لا يمكن لاحد تجاوزها ان تردي الوضع الامني في العراق مرتبط ارتباطا وثيقا بالوجود الامريكي في الساحة العراقية ، وهي تمثل أكبر تحد لاستقرار الامن في الساحة العراقية.

وهكذا فقد تمحور التساؤل الرئيسي للدراسة حول تسخير الجانب الاعلامي لخدمة الاجندة السياسية وهو التساؤل الذي يدور حول كيفية تأثير وسائل الاعلام الامريكية بشكل عام في رسم السياسة الخارجية الامريكية؟ ثم حول الدور الاساسي الذي تقوم به قناة الحرة في الدفاع عن الوجود الامريكي في الساحة العراقية ؟ بالاضافة الى تناول موضوعات تدعم الرؤية السياسية مثل استخدام الدعاية في خدمة الاهداف السياسية؟ ثم البحث في موقف الحرة الذي يعكس النظرة الامريكية من العراق في موضوعات رئيسية مثل وحدة العراق أو موقف الحرة من الدول المجاورة للعراق وهي الدول التي اعتادت الحرة على توجيه الاتهامات لها بغية الحصول تاييد تلك الدول للمشروع الامريكي في المنطقة وخاصة في شان دعم بعض فئات المجتمع العراقي المؤيدة للوجود الامريكي في العراق ضد الفؤات التي ترفض استمرار ذلك الوجود.

ايضا حاولت الحرة مساندة الدعوات المنادية بتقسيم العراق، واستطاعت الفئات المنادية بالتقسيم الاستحواذ على الجانب الاكبر للتغطية من بين الفئات الاخرى، وعبر الحرة استطاع الطرف الكردي الافصاح عن مطالبه المنادية بانفصال اقليم كردستان عن الوطن الام(العراق)، وكان موضوع التجزئة من بين الموضوعات التي نالت مساحة واسعة من التغطية لدى الحرة، وتمثل الهدف الواضح منه في محاولة الحرة ترسيخ الافكار الذي تدعو الى تقسيم العراق طائفياً.

تقع الدراسة في أربعة فصول رئيسية كان منها:

– يتمحور الاول حول علاقة الواقع الرمزي بالواقع السياسي، وهو يمثل المرجعية النظرية التي تقوم عليها الدراسة، خاصة ما يتعلق بدور الافكار وقدرتها على التاثير في واقع الامم والشعوب . يرى دوبريه ان النشاط الرمزي هو وسيلة لاخضاع وسطنا الطبيعي ، فلذا اردت أن تجذب انتباه الناس فان هناك ثلاثة وسائل يمكن استخدامها، وتتمثل الاولى في استخدام الكلمات، بينما يعتبر وسيلة الاخراج هي الوسيلة الثانية وهي الفضلى بالنسبة اليه، ثم الوسيلة الاخير ة والتي تتمثل في ادخال المسالة في تفاعل[1] .

– بينما يتناول الفصل الثاني من الدراسة أثر الدبلوماسية الجديدة (الاعلام) على تراجع الدبلوسية التقليدية، فقد أدى التداخل بين الدبلوماسية الاعلامية وبين الدبلوماسية التقليدية الى تعزيز الاولى على حساب الثانية، واصبح ما كان يُصنف على انه " سري للغاية " أو " سري " لم يعد كذلك لفترة طويلة على الاقل، ويعود الفضل في ذلك الى الدول الذي أصبح يضطلع به الاعلام في كشف عن سياسيات الدول، كما الحق هذا الاسلوب الضرر في بمصالح الدول وبالدبلوماسية الرسمية للكثير من الدول[2].

ايضا تسعى هذه الاكروحة الى علاقة الاعلام بالسياسة كون الاعلام أصبح وسيلة من وسائل السياسة الخارجية للدول والدفاع عنها، الى جانب الدور الذي بات يضطلع به الاعلام في تبرير الحروب

---

[1] ريجيس دوبريه، . محاضرات في علم الاعلام العام- الميديولوجيا. ترجمة فؤاد شاهين. ط1. (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، 1996 ) ص45.

[2] Sadig Haydar,cross-cultural communication and double consciousness:African student experience of U.S Media and culture,(Ohio:Ohio University, 1992),p1

والتدخلات العسكرية الخارجية، وهو تماما الدور الذي تقوم به قناة الحرة في الساحة العراقية بعد ان حاولت استحضار جميع المبررات التي تدعم استمرار وجود الاحتلال الامريكي في العراق وهو بالضرورة الهدف الذي يعكس رغبة المحتل.

وجاء الفصل الثالث ليبحث في مفهوم السياسة الخارجية بشكل عام، باعتبار ان هدف الاعلام هو خدمة السياسة الخارجية وليس العكس، اذ يعتبر الاعلام أحد الوسائل الرئيسية لنشر ما تؤمن به الدول من قيم ومعتقدات نحو الخارج.

تناول هذا الفصل بشكل عام مفهوم السياسة الخارجية ، ومن بين التعريفات التي حددتها الدراسة للسياسة الخارجية انها " فن ادارة علاقات الدولة مع الدول الاخرى، وقد عرفها مودلسكي بأنها نظام الانشطة الذي تطوره المجتمعات لتغيير سلوكيات الدول الاخرى.

لكن التعريف الاشمل والاعم لمفهوم السياسة الخارجية يتمثل بان السياسة الخارجية تعتبر " جزء من السياسة العامة والموجهة جارجيا تجاه الدول الاخرى، وذلك لاقلمة انشطتها طبقاً للبيئة الدولية".

وهكذا تتراوح مقاصد وأهداف السياسة الخارجية ما بين حماية السيادة الإقليمية للدولة ودعم أمنها القومي وما بين تنمية مقدرات الدولة من القوة. كما تعير الدول العامل الاقتصادي أهمية بارزة بهدف زيادة مستوى الثراء الاقتصادي للدولة، وقد يتمثل الهدف من وراء السياسة الخارجية في عامل التوسع وزيادة النفوذ وصولا إلى الهدف الأهم وهو الدفاع عن أيدلوجية الدولة أو العمل على نشرها في الخارج كما هو الحال في شان الدول العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية, إلى جانب الهدف الثقافي الذي يساند الأهداف الأخرى[3] .

ثم يأتي الحديث عن الاسباب الحقيقية التي دفعت الولايات المتحدة لانشاء قناة الحرة . وقد جاءت القناة نتيجة الحاجة المُلحة للاحتلال من أجل تبرير كل ما تقوم به آلة الاحتلال الامريكي في العراق وفي المنطقة، اذ يعتبر الاعلام متمثلا بالحرة من بين الادوات الرئيسية التي استخدمتها لسياسة الخارجية الامريكية في العراق .

---

[3] انظر: إسماعيل صبري مقلد.. العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الاصول والنظريات. ط1.( الكويت : منشورات ذات السلاسل ، 1971) ص130–136.

ذ

وقد جاء(الحرة) كجزء من إستراتيجية أمريكية للتأثير في الرأي العام العربي بشكل خاص والاسلامي عموما، وهي تستخدم كأداة من أدوات الدبلوماسية العامة بهدف التأثير في الشعوب، فعادة ما تسعى الدول من وراء اللجوء للبث الإذاعي الدولي, الى التأثير في قناعات ومعتقدات الشعوب الخارجية.

اما الفصل الرابع فقد تناول البعد الاخلاقي للحرة وما تقوم به من تغطية منحازة لبعض الفئات العراقية خصوصا الداعمة للوجود الامريكي في العراق على حساب الفئات الاخرى وتحديدا الطائفة السنية المتضرر الاكبر من تغطية الحرة، وقد وجد ان الحرة تمنح القسط الاكبر من بثها للطائفة الكردية الى جاني الطائفة الشيعية وهو ما عزز الطائفية في الشارع العراقي، ومنح الاصوات التي لا تمثل الشارع العراقي أصواتا أكبر بكثير من حجمها الحقيقي والتي قدمت للعراقيين على انها الفئات ا لتي تمثل الشعب العراقي وهي التي تعبر عن أرآئه.

ويبحث الفصل الاخير من الدراسة مصير الحرة والى اين تتجه ،اذ كان من المقرر في السنوات الاولى من انشاء القناة أن تغلق الولايات المتحدة الأميركية قناتها الفضائية الناطقة باللغة العربية "الحرة" بعدما أدرك البيت الأبيض أن هذه القناة لا تستطيع أن تفي بالغرض. وبالتالي فإن 350 مليون دولار التي أنفقتها الإدارة الأميركية على "الحرة" منذ فبراير 2004 ذهبت أدراج الرياح. وقال هشام ملحم مدير قناة العربية بواشنطن، إنه على الرغم من هذه التكلفة فإن القناة "فشلت حتى في الحياز على المركز الرابع، على اقل تقدير، بالنسبة لتفضيل مشاهدي القنوات العربية .." واضاف ملحم "إنه نادرًا ما تجد أناس قد شاهدوا قناة الحرة. وربما تكون الحرة هي القناة رقم عشرة في قائمة ترتيب بحث المشاهدين عن القنوات المهمة... إذن الحرة لم تكن في الترتيب الأول ولا الثاني ولا الثالث ... أو حتي الرابع".

لكن بعض الجهات الأميركية كانت تصر على عدم اقفال الحرة رافضة ان تلقي المحطة مصير مجلة هاي الشهرية والتي قررت الخارجية إيقافها عن الصدور. وعلى الرغم من عمليات المراجعة والتقويم الشامل لأداء المحطة الا انها لم تتمكن من جذب الجمهور العربي.

ر


## Abstruct

This study aimed to examine the role of media in American foreign policy, and understand the role of media in defending and directing the foreign polices of many countries, especially the role of American media in Iraq before and after war.

On the other hand, this study aimed to analyze the role of Al-Horra Channel in Iraq, which focuses on support and advocate occupation forces that tries to control Iraqi people in different ways such as, using media in creating propaganda aims to carry on the occupation. Al-Horra Channel brought many justifications and used many methods that have been out under the authority of American occupation. For example, Al-Horra Channel always tell the Iraqi citizen that the stability of security situation in Iraq is connected by the existence of occupation forces in Iraq, and without this existence, Iraq will be lead to mess and instability , so , the Iraqi people must seize occupation forces that keeps security. However, the obvious truth that we cannot deny is that the appalling security situation In Iraq is mainly connected to the existence of American forces. Nevertheless, the American forces are the main challenge of security situation in Iraq, this issue has never mentioned in Al-Horra Channel, but it seeks to present things in Iraq in an opposite way.

Thus, the main question of this study consolidates about directing media to serve political agenda. The main question is about how the American media affect in defining the American foreign policy. Then, I will discuss the main role of Al-Horra Channel in defending the American presence in Iraq, in addition to, discuss some issues that support the political vision, such as, using propaganda in serving political objectives. Also, examine Al-Horra attitude that reflects the American vision of Iraq in some major issues like, Iraq unity. Moreover, Al-Hurra attitude of neighbor countries that have been accusation by Al-Horra Channel in order to gain these countries support for the American project in the region, especially in the issue of some community groups that support the American presence in Iraq against the forces that refuse that presence.

Also, Al-Horra tried to support the voices of dividing Iraq. Some groups has got the main concern and coverage. Through Al-Horra channel, the Kurds became able to express their demands, which are about being independent and separate "Kurdistan Area" from Iraq. This subject has wide coverage. The aim was very clear, it was an attempt from the channel to fixture the ideas that ask to divide Iraq within the Iraqi groups that has been addressed within the speech that focuses on divisions and controlling strategy.

In order to support this study in evidences that prove the point of view that says " Al-Horra desires in increasing occupation period in Iraq" we used analyzing programs and news , as well as , analyzing the speech. Building protocol has the main role in this study.

The study contains four chapters, which are:

The first chapter is about the relation between the symbolic reality and political reality which presents the theoretical reference that study based on, especially what concerns the ideas and its ability on affecting nations and people reality. This effect is existed long time ago. The symphonic activity is a tool to control the normal situation. Rejes Dobryah says, "If you wanted to get people attention, there are three tools you can use. According to Dobryah, the firs one is very bad and it based on using words, while the second one is better and preferred, which is known as expulsion. Then, the last tool that is about putting the issue in interaction.

The second chapter, examines the role if new diplomacy "Media" in decreasing the role of traditional diplomacy. The interaction between media diplomacy and traditional media caused the dominating of new diplomacy on the expense of the traditional one. As a result, we see what is classified as "Top Secret", or "secret" is now no longer secret. All this happened because of the main role of media in detection countries policies; on the other hand, this detection cased damage for diplomatic official interests for many countries.

Moreover, this study aimed to acknowledge media as a tool of foreign policy tools, and mean to defend these polices. In addition to examine the role of media in justify wars and foreign military interference. This is what exactly Al-Horra Channel have done in Iraq, the channel tried to find justification for continuing the occupation of Iraq. This is an aim reflects the occupation desire in continuing occupying Iraq.

The third chapter examines the concept of foreign policy in general, since the aim of media is to serve the foreign policies. Media is one of the main tools to spread countries beliefs to the wide world.

This chapter in general discussed the concept of foreign policy. One of the definitions that has defined in the study is" the art of controlling relations with other countries." Molskey defined it as a system of activities that is developed by communities to change other countries behaviors.

But , the most comprehended definition is that the foreign policy " is part of the general and directed policy toward other countries , in order to manipulate its activities according to the international environment."

Thus, the objectives and aims of foreign policy is placed between protecting the country territorial sovereignty, and protecting its national security, in addition to developing country power. On the other hand, most countries gives the economical aspect a great deal of attention , in order to increase the level of economical wealth of country. The main objective of foreign policy is increasing the have power over other countries and defending the country ideology and working on spreading it out-side the country as what's happening

in the great countries such as, united states of America , in addition to the cultural side that supports the other objectives.

Then, in the same chapter, I will discuss how the foreign policy of united states of America has created the Al-Horra Channel as need for occupation to justify what American occupation does in Iraq. So , establishing Al-Horra Channel was necessary need to walk side by side with the American occupation in Iraq.

AL-Horra Channel comes as a part of American strategy to influence the Arab public opinion in general and Islamic public opinion in a special way. In general Al-Horra is being used as a tool of public diplomacy to make a change, usually countries seeks from the international broadcasting making an influence in people's beliefs.

Also , I will discuss the role of Al-Horra Channel in Iraqi street and the way it deals with some issues like, Al-Horra attitude from Iraq unity , or its attitude from other neighbor countries. It is known that Al-Horra used to give other countries accusations , especially , the countries that are classified as countries that support terrorism.
Another topic to discuss is how Al-Horra Channel focuses on spreading the ideas of differences among different groups to enhance occupation points of view, a view that says that the Iraqis still needs the U.S presence , which links the stability of security situation in Iraq is connected with the presence of occupation.

The fourth chapter dealt with the moral dimension of what Al-Horra do in biased covering for some Iraqi groups, especially in supporting the American presence at the expense of other groups. Particularly we find that the Sunni Community is the most affected group of that coverage. It has been found that Al-Horra gives bulk of broadcast for the Kurdish as well as the Shiite community, boosting sectarianism in the Iraqi street. This shows some voices that do not represent the Iraqi side. This provides to Iraqis groups that do not represent them and do not express their opinions.

The last chapter in the study examines the fate of Al-Horra Channel and where to go. As it scheduled in the early years of the establishment of the channel that the United States will close after the white house realized that this channel cannot serve the purpose. Therefore , 350$ million spent by the U.S administration on Al-Horra channel since February 2004 went unheeded. Hisham Melhem , the director of Al-Arabiya channel said that " despite the cost the channel failed to get the fourth place at the very least."Melhem said that " it is rare to find people have watched Al-Hurra, and may be Al-Hurra is the channel number 10 on the list of important channels for viewers… so Al-Hurra was not in the first place, or the second ,or third , or even the fourth.

But some people at the U.S was insisting on not to close Al-Hurra channel , rejecting that the channel will face the fate of " Hi" monthly magazine ,which the foreign affairs decided to stop publishing it , and in spite of the audits and comprehensive assessment of performance on the channel , but it was unable to attract the Arab public.

المقدمة

برز دور الاعلام مؤخراً بشكل ملفت للنظر كأحد الادوات الرئيسية للسياسة الخارجية للدول، وقد استعانت الدول بالاعلام من أجل تعزيز مكانتها الدولية وأهدافها الآنية، كما حصل واستعانت الولايات المتحدة بالاعلام لغرض مساعدتها في فرض رؤيتها في العراق . حيث مثلت قناة الحرة الوجه السلمي للاحتلال الامريكي في العراق بعد أن فشلت آلة الاحتلال العسكرية في اخضاع المقاومة العراقية التي أفقدت القوة العسكرية الامريكية توازنها، ما أدى الى استخدام الآلة الاعلامية لمخاطبة الفئات الرافضة للاحتلال الامريكي.

يمكن القول أيضاً أن السياسة الخارجية الامريكية احتاجت قناة اعلامية في ظل وجود قنوات منافسة دأبت على نقل الاصوات المعارضة للوجود الامريكي في المنطقة، وقد كانت كل من قناتي الجزيرة والعربية من أبرز المنافسين الناقلين للاصوات المُعارضة للوجود الامريكي الى جانب غالبية القنوات التابعة للحكومات العربية الرافضة لاحتلال العراق، من هنا احتاجت الولايات المتحدة أداة اعلامية كان من بين أهدافها الرئيسية منافسة هذه القنوات وتقديم تغطية متميزة بهدف شد انتباه المشاهد العربي عن القنوات الموجودة .

من هنا جاءت الحاجة المُلحة لانشاء الحرة لتبرير وجود الاحتلال واستمرار أمده في العراق، وقد حاولت الحرة ربط استقرار الوضع الامني في العراق بالوجود الامريكي الذي يفترض أن دوره يتمثل في توفير الامن للعراقيين وذلك بعكس ما صارت عليه الامور، اذ ارتبط وجوده الفعلي بتردي الوضع الامني. لذلك استعانت الادارة الامريكية بالاعلام لتهدئة سخط العراقيين على الاحتلال الذي ساهم اما بشكل مباشر أو غير مباشر بتردي الوضع الامني.

أيضا من بين ما هدفت اليه الادارة الامريكية من انشاء القناة "الحرة"، مخاطبة الجماهير العربية وبث الثقافة الامريكية اليها.

وقد ارتبط وجود الحرة منذ البداية بالتغيرات الجيوسياسية- العسكرية في المنطقة العربية ، وهي تغيرات بدأت باحتلال القوات الامريكية للعراق، وبات وجود الحرة مرتبطاً ارتباطاً وثي ق اً بوجود واستمرار الاحتلال الامريكي، وهو ما يطرح تساؤلا حول امكانية استمرار وجودها بعد زوال الاحتلال بشكلها وتركيبتها الحالية الداعمة بشكل صريح للوجود الامريكي في المنطقة، وذلك في ظل

ما تتلقاه من تمويل مالي ومعلوماتي من الاحتلال وهذا ما يضع أمامها الكثير من العقبات مثل رفض العراقيين والشعوب العربية كل ما يرتبط بالمحتل وتبعاته .

مشكلة الدراسة:

تنطلق الدراسة من عدة تساؤلات تحاول الاجابة عنها:
هل يلعب الواقع الرمزي دوراً في تشكيل الواقع السياسي للدول؟

وهل أدى التقدم في وسائل الاعلام الحديثة الى تراجع دور الدبلوماسية التقليدية؟ أم أن هذا التطور في ساهم في تعزيز الدبلوماسية التقليدية؟

كيف صنعت السياسة الخارجية الامريكية قناة الحرة؟ ثم كيف عبرت الحرة عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية؟

وهل تلتزم الحرة بالضوابط الاخلاقية في تغطيتها للساحة العراقية والمنطقة العربية؟ ثم الى أين تسير الحرة ؟هل تسير الحرة نحو الفشل نتيجة ارتباطها بالمشروع الامريكي في المنطقة؟

فرضيات الدراسة:

ان عملية انتاج السلطات وانتاج الخطابات أمران لا ينفصلان، فهما يتقاسمان الهدف أو الاشخاص المستهدفون أنفسهم، وذلك من خلال توجيه وصياغة تلك الخطابات للسيطرة على أشخاص أو دولة ما. وكما يقول بول فاليري "فان الرموز ما هي الا أرواح أفعالنا"، وهكذا فان الاعلاميين يصوغون سياسات دولهم من نسج خيالهم[4].

ان الاعلام الذي يرتكز على الجانب الرمزي يؤدي وظائف مختلفة في صنع السياسة الخارجية، وفي تخطيط وتنفيذ البرامج السياسية. هذه الوسائل(الاعلامية) تمثل القنوات الشخصية التي يستخدمها صانعو وواضعو السياسة لشرح المواقف الحكومية وجلب الدعم والتأييد لمواقف الحكومات، كما تستخدم أداة للتأثير في آراء قادة الرأي وجماعات المصالح وصانعي السياسة.

[4] دوبريه، محاضرات. مرجع سبق ذكره،ص198

ازادت أهمية الدبلوماسية الحديثة، أو ما أصبحت تعرف بدبلوماسية الاعلام أو الدبلوماسية الشعبية وتعززت على حساب الدبلوماسية التقليدية. مع ذلك، عززت الدبلوماسية التقليدية مكانتها وأستعانت بالدبلوماسية الحديثة لتعزيز موقعها الذي أصبح أكثر تميزاً عن ذي قبل نتيجة ما وفرته الثورة التقنية الجديدة[5].

تتمثل اليوم الادوات الرئيسية للدبلوماسية العامة الامريكية في المنطقة العربية مثلاً، براديو "سوا" وقناة " الحرة" . واذا ما نظرنا الى الاستراتيجية الحالية التي تعتمدها الدبلوماسية العامة الامريكية في الشرق الاوسط، نكتشف بكل وضوح أن لدى الولايات المتحدة منتجاً يمكن بيعه، يتمثل بالثقافة والمجتمع الامريكي.

لم تكن الحرة أولى الجهود التي بذلهتا الادارة الامريكية لتحسين صورتها في المنطقة، ف من أجل تحسين تلك الصورة البشعة بعد أحداث 11 سبتمبر، أطلقت وزارة الخارجية الامريكية في أواخر العام 2002 ما سمي وقتها بحملة" القيم"، التي استهدفت تحسين صورة الولايات المتحدة في العالمين العربي والاسلامي. وكانت الاعلانات تصور مسلمين في الولايات المتحدة، منهم رجل اطفاء في نيويورك، ولاعب كرة سلة، وكيميائي فائز بجائز نوبل، ومدير المعهد الوطني للصحة. ومع أن هذه الحملة كلفت الولايات المتحدة الكثير من الوقت والمال ، الا أنها فشلت في اقناع الجماهير العربية والاسلامية . ومع بداية دخول الولايات المتحدة للعراق، ازدادت النقمة ضدها ما جعل الولايات المتحدة تفكر بضرورة انشاء قناة تستطيع من خلالها تهدئة الجماهير العربية الساخطة[6].

لم تلتزم الحرة بالموضوعية و الحياد طوال فترة تغطيتها للشأن العراقي، ومن المعروف أنها انحازت الى فئة دون غيرها، وقد كان للفئة المؤيدة للوجود الامريكي في العراق نصيب الاسد من التغطية، كما وجدت الدعوات المطالبة بتقسيم العراق صدى لها عبر الحرة، في حين تم تهميش فئات محسوبة على المقاومة العراقية أو أنها تصنف ضمن الفئات الرافضة للوجود الامريكي، وهنا فان الطائفة السنية نالت نصيب الاسد ولكن من التهميش.

---

[5] مأمون فندي. حروب كلامية: الاعلام والسياسة في العالم العربي.ط1.( بيروت: دار الساقي،2008)، ص214.

[6] فندي. نفس المصدر السابق،ص216-219 .

ظ

اما في الشارع العربي فقد تفاوتت ردود الافعال تجاه قناة الحرة ما بين الاستنكار والرفض والمقاطعة، وأعتبر البعض أن اطلاق بث القناة من على موقع الفضائية العراقية السابقة، يمثل ابتزازاً للمواطن العربي. في حين عبرت النقابات الاردنية عن مقا طعة القناة باعتبار ان الحرة هي أداة بيد القوى الاستعمارية الجديدة، وتهدف الى اقناع العرب بالسياسة الخارجية الامريكية المتبعة في المنطقة والمناهضة لمصالح الشعوب العربية. في حين ذهب رجال دين سعوديون الى تحريم التعامل مع القناة التي ووصفوها بأنها كافرة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية دراسة دور الاعلام في صنع السياسة الخارجية في تناول أحد الأركان الذي تعتمد عليها السياسات الخارجية للدول، فقد أصبح الاعلام يمارس دوراً محورياً في رسم السياسة الخارجية للدول، بالاضافة الى معرفة العلاقة التي تربط الاعلام بمؤسسات صنع السياسة الخارجية.

اذ يلعب الاعلام الامريكي دوراً محورياً في صياغة النظرة السياسية الاولى لصانع السياسة الخارجية والداخلية على حداً سواء، لذلك تهدف الدراسة الى القاء الضوء على الدور المحوري لما تقوم به وسائل الاعلام والكشف عن أهميته بالنسبة لصانع السياسة الامريكية .

كما تلقي الدراسة الضوء على أحد أهم أدوات السياسة الخارجية الامريكية في المنطقة العربية، المتمثلة بقناة الحرة. وهي من بين الدراسات القليلة التي تناولت عمل القناة وحاولت الكشف عن الدور الذي تقوم به في دعم القوات المحتلة الامريكية في العراق.

أما الدافع من دراسة القناة فهو يتمثل معرفة خطورة الدور الذي تمارسه الحرة في الساحة العراقية، كونها تعتبر، كونها تحاول التأثير في الرأي العام العراقي عبر محاولاتها المتواصلة اثارت العديد من الخلافات بين فئات الشعب العراقي المختلفة على أسس طائفية وعرقية، كما أن لها دور واضح في مساندة الجهات العراقية المؤيدة للوجود الامريكي في العراق، بينما يتمثل الخطر الأكبر للقناة في محاولاتها المتواصلة جلب الشرعية لاستمرار الاحتلال في العراق، بالاضافة الى بث الدعوات المنادية بتجزئة العراق بين طوائفه وقومياته المختلفة.

كما تمثل دراسة القناة أهمية بحد ذاتها تتمثل في اضافة دراسة جديدة حول القناة و الدور الذي تقوم به في الساحة العراقية، نظراً للدراسات القليلة التي تناولت دور القناة في دعم السياسة الامريكية في المنطقة ودورها في تشكيل الرأي العام العراقي حول السياسة الامريكية.

لذلك فان أهمية الدراسة تكمن في اختيار الاعلام كونه يمثل أحد الخلفيات الرئيسية في تكوين انطباعات الساسة، الذين يستمدون الكثير من وجهات نظرهم والعديد من المفاهيم ا لذي يستخدمها الاعلاميون من قضايا ذات طابع سياسي من الخلفية الاعلامية، من هنا يمكن أن نفهم الكثير من العلاقات والقرارت التي تنسج على طريقة الاعلام الذي يخدم في الغالب وجهات نظر سياسية تنعكس في اداءُه وفي منهجه الاعلامي.

وبشكل عام فان اهمية الدراسة تكمن بالبحث في الاعلام باعتباره أحد أدوات السياسة الخارجية للدول، وعلى وجه التحديد دراسة قناة الحرة كونها تع بتو نموذجاً تطبيقياً لتلك السياسة ، وهو دور انعكس فيه الاعلام بالسياسة وبالايدلوجيا. التي تحاول رصد بعض ما تقوم به القناة من ارتباطات سياسية هدفها التغطية على الوجود الامريكي في العراق.

أيضاً يحسب لهذه الدراسة أنها من بين الدراسات القليلة التي تناولت قناة الحرة ودورها الذي تمارسه في الساحة العراقية والعربية، وهو ما يعطي الدراسة جانباً مهماً يتمثل في قلة الدراسات التي تناولت الظاهرة المدروسة.

أهداف الدراسة

تهدف دراسة الظاهرة الى الاطلاع على الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في صنع السياسة الخارجية للدول، كما هو شأن قناة الحرة التي تعتبر من أهم ادوات السياسة الخارجية الامريكية المستخدمة في المنطقة، وذلك كنتيجة مُلحة بعد ما تعرضت له الالة العسكرية الامريكية ، اذ تعتبر الحرة الوجه السلمي للآلة العسكرية الامريكية، لذلك كان للبرامج والنشرات الاخبارية الذي تبثها القناة أهمية في عكس الوجه الحقيقي للسياسة الخارجية الامريكي في المنطقة، وهي البرامج التي أيدت بعض الفرضيات التي قامت عليها الدراسة مثل، دور القناة المنسجم مع المصالح الامريكية في المنطقة وعلى رأسها الحفاظ على الاحتلال في العراق .

وادراكاً من الباحث بخطورة عمل وسائل الاعلام، فان الدراسة تضطلع على ميكانيزمات العمل الاعلامي، سواء من خلال طابع التعميم أو التضليل، الى جانب استخدام العديد من الاساليب التي تحكم عمل وسائل الاعلام وتهدف لخدمة وجهة نظر سياسية بحته. وفي النهاية تظهر أهمية الجانب الاعلامي في طمس الكثير من الحقائق عبر ما تمارسه هذه القنوات من عمليات تضليل ضد الجهات المستهدفه، وهو جانب ظهر في العراق بشكل جلي عبر الدور الذي مارسته الحرة ضد فئات عديدة من المجتمع العراقي، فهي حاولت أن ترسم سلوكيات وتقترح آراء وتقدمها على أنها حقائق يجب على العراقيين أن يسلموا بها، وهي الحقائق التي تعكس في جوهرها وجهة نظر الاحتلال الامريكي للعراق وللمنطقة عموماً.

الاطار النظري

تكمن دراسة ظاهرة اعلامية– سياسية على كثير من التعقيد، فليس من السهل تناول دراسة ذات جانبين مختلفين نظرياً وان توافقا واقعياً في كثير من الممارسات، والتقيا في العديد من المصالح المشتركة التي تجعل كلاها يسخر خدماته ويضعها في خدمة الآخر . لكن على أيه حال لا يمكن فصل الخطاب الاعلامي عن الكثير من الجوانب الاجتماعية التي تكمن وراء سبب وجوده الاساسي.

وانطلاقاً من هدف وجود الاعلام، الذي يتمثل في خدمة الجوانب الاجتماعية المختلفة للمجتمعات، فان النظرية البنيوية تتصدر منهجية الدراسة التي تحاول البحث في بنية وأسس الخلفية الاعلامية التي تحكم عمل آليات العديد من وسائل الاعلام المختلفة واطارها الاساسي.

بالنظر لصعوبة فهم العلاقة بين المؤسسات الاعلامية والمؤسسات السياسية، فان الدراسة ستعتمد على النظرية البنيوية بشكل محدد، وهي تحاول تحليل اسباب نشأة القناة والظروف التي ظهرت فيها، والعناصر التي تشترك في صياغة خطابها، وذلك على اعتبار أن القناة تعتبر أداة من أدوات السياسة الخارجية الامريكية جنباً الى جنب مع القوة العسكرية في المنطقة، مما يعني أن الظاهرة بنيوية بالاساس، وأي محاولة لفهمها لا بد وأن تبحث في العناصر السابقة مجتمعة حتى تعكس الدراسة درجة عالية في تشخيص الظاهرة وتقييمها.

وهكذا سيكون للنظرية البنيوية الى جانب النظرية الواقعية الذي يعتبر عنصري القوة والمصلحة أحد أهم أدواتها الرئيسية، سيكون لهما الاولوية خاصة عند البحث في كيفية عمل تلك المؤسسات، وتحديداً

ف

فيما يتعلق بأداء قناة الحرة وخطابها وتمويلها والجهة التي تخدمها، فمنذ تأسيس قناة الحرة كان للخطاب الايدلوجي السياسي حضوراً بارزاً وذلك استجابة للسياسة الخارجية الامريكية.

أيضاً من بين النظريات التابعة للنظرية البنيوية ما يسمى بالنظريات المتكاملة، وقد عرفت هذه النظريات باسم نظريات الاعتماد على وسائل الاعلام . من أهم ما تقوم عليه هذه النظريات، هو تفسيرالعلاقات السببية بين الأنظمة المختلفة في المجتمع، مما يؤدي الى تكامل هذه الأنظمة مع بعضها البعض، حيث تقوم هذه النظريات البنائية على أن المجتمع تركيب عضوي تتعدد فيه الأنظمة (صغيرها وكبيرها)، وتترابط وتتفاعل سوياً ومن بينها وسائل الاعلام التي ترتبط مع الأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية الأخرى بعلاقات متبادلة [7].

وعلى هذا النحو، فان العلاقة بين الاعلام والسياسة تخضع لوجهتي نظر: الاولى تفترض خضوع الخطاب الاعلامي للخطاب السياسي الرسمي للدول، أما الفرضية الثانية فهي تقوم على أن وسائل الاعلام هي التي توجه خطابها بالطريقة التي تحلو لها، وبالتالي فهي التي توجه الخطاب السياسي للدول، فان كانت الفرضية الاولى هي السائدة فان نظرية التبعية هي النظرية التي تنطبق على عمل وسائل الاعلام على اعتبار أن وسائل الاعلام تخضع للسلطة السياسية. مع ذلك فقد أصبحت الصورة اليوم معاكسة لما كانت عليه من قبل، اذ أن الجهات السياسية هي من تخضع للوسائط الاعلامية وليس العكس. مع ذلك، ليس بالامكان نفي تلك العلاقة المتبادلة بين الطرفين، فكلاهما يكمل عمل الآخر بما لهم من أهداف مشتركة تستفيد منها جميع الاطراف.

ايضاً تستخدم الدراسة منهاج تحليل المضمون للخطابات التي استعملتها الحرة، خاصة عند تحليل العديد من البرامج والنشرات الاخبارية التي تبثها القناة، حيث تم تحديد العديد من ا لبرامج لدراستها وتحليلها وهي برامج عادة ما تناولت الشأن العراقي، وكشفت عن العديد من التد خلات التي عكست وجهة النظر الامريكية في تعاملها في الشان العراقي.

يمكن تشبيه الافكار بما يجري في العلوم الطبيعية من علاقات متبادلة حسب تعبير نيتشه، فالافكار تنبض بالحياة ولا يجوز معاملتها على أنها أشياء (غير فاعلة)، بل هي أجساد حية تحكمها علاقات متبادلة تفاعل فيما بينها. ففي العلاقات الطبيعية ليس هناك كائن حي يكتفي بذاته بل هو مرتبط

---

[7] حنان يوسف. الاعلام والسياسة مقارنة ارتباطية. ط1.( القاهرة: أطلس للنشر والانتاج الاعلامي،2006). ص52.

بمحيطه الذي يعيش فيه. وكما هو الحال في العلاقات الطبيعية فان الافكار لها نفس النظام ونفس التفاعلات، فكما أن علم البيئة يدرس علاقات التبعية والتفاعل بين الكائنات الحية والوسط غير الحي، كذلك علم الاعلام يدرس علاقات التفاعل التي توّحد الوقائع الرمزية في وسط مادي معين[8].

تدخل في دراسة منهاج تحليل الخطاب العديد من الجوانب المُشكِلة له، مثلا تعتبر الصورة أقوى من التقرير، كما تظهر الايماءات والحركات التي تعكس ملامح الشخص المتكلم عندما يحاول اثبات أو نفي قضية ما، عبر العديد من الجوانب كالصوت والصورة والحركات ...الخ. يعتبر ميشيل فوكو أحد أبرز الفلاسفة الذين تكلموا عن تحليل الخطاب بجوانبه المختلفة، كما يعتبر مؤلفة " تحليل الخطاب" من أبرز المؤلفات التي تناولت دراسة الخطاب الذي يقوم به البشر، الى جانب العديد من المؤلفات الذي تحدثت باسهاب عن تحليل الخطاب، وما يرتبط به من جوانب متعددة، كالرموز والحركات والايماءات..الخ، ومن أبرز الكتابات التي تناولت الجانب الرمزي للاعلام دراسة المؤلف الفرنسي بيير بورديو التي تناولت دور العلاقات الرمزية في تكوين آراء ومواقف الجماهير في كتابه الشهير " التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول".

حسب ميشيل فوكو فان علم الخطابات يعود الى لعبة القواعد التي تتحدد حسب ثقافة معينة . وفي جميع الحالات، يستهدف هذا النمط من المسار تشكيلات خطابية وأنظمة معينة، شأن الاقتصاد السياسي أو التاريخ الطبيعي، فهذا النمط من الخطابات عادة ما يبرهن على ارتباطه بالممارسات المؤسسية وبموازين القوى الاجتماعية.

لقد أظهر علم الاعلام على مدى تاريخه انحراف من الأعلى الى الأسفل، أو من ممارسة المعرفة الى ممارسة الاعتقاد. وهكذا فان معايير الصلاحية وقو اعد البناء لتشكيل خطابي معين غالباً ما تكون ضمن مهمة علم الاعلام، ويحتكم الاعلاميون في خطابهم هذا الى أن الاستقبال هو الذي يحدد قيم الارسال.

كما يفترض فوكو أن انتاج الخطاب في أي مجتمع يخضع لطقوس معينة، مثل مراقبته وأختياره وتنظيمه وأعادة توزيعه من قبل عدد معين من الاجراءات التي تلعب دور درء السلطات وابعاد المخاطر عنه، والسيطرة على الاحداث العابرة فيه. وحسب فوكو أيضاً فأن الخطاب غالباً ما تحميه

---

[8] دوبريه. محاضرات، ص149 .

ممنوعاته وتقسيماته الضمنية والمؤسسية، والتي يتنازعها جانبان، جانب الحلال والحرام، العقل والجنون، الصحيح والخطأ. وفي الخطاب من يتكلم ليس من حقه أن يقول كل شيء، وكل نظام يحتوي على مجموعة من الرموزالضمنية الذي تحميه. من هنا تطرح زاوية الهجوم الاعلامي ثلاثة أسئلة، ضد من؟ وراء من؟ بأية طريقة؟ ؛ أي حقل استراتيجي يحدث هذا الخطاب وضد من يوجه ضرباته؟، وكل ذلك يمنح الاعلام شرعية ما والتي غالباً ما يستمدها من المؤسسة التي تعطي له حق الكلام[9].

مراجعة الادبيات

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع دور الاعلام في السياسة الخارجية للدول، وهي دراسات عكست وجهي الظاهرة الاعلامي – السياسي في آن معاً، مع اغفال وجود الكثير من الاختلافات بين كل دراسة وأخرى في طريقة عرض الموضوع. هناك من تناول الموضوع بطريقة يغلب عليها الطابع السياسي وهناك من تناولها بطريقة يغلب عليها الجانب الاعلامي، وذلك كل حسب نظرته وايمانه بمن يؤثر في الآخر.

مع ذلك فقد واجه الباحث العديد من الصعوبات التي تمثلت في شُح المصادر الذي تناولت قناة الحرة، فقد كانت محدودة جداً فيما يتعلق بالبيانات المكتوبة، وهذا ما جعل الباحث يركز على منهاج تحليل المضمون عوضاً عن الدراسات المكتوبة حول الظاهرة المدروسة، وذلك من خلال تحليل العديد من البرامج الحوارية والنشرات الاخبارية.. وقد كانت الدراسة الرئيسية المكتوبة حول القناة تعود للمؤلف مأمون فندي الذي حاول تقديم صورة ما عن القناة بعنوان" حروب كلامية: الاعلام والسياسة في العالم العربي".

ركزت الدراسة على حاجة الولايات المتحدة لقناة اعلامية تكون قادرة على منافسة القنوات الاخبارية الصاعدة في المنطقة كقناتي الجزيرة والعربية، بعد ان لاحظت الولايات المتحدة ان القنوات العربية تستحوذ على اهتمام المشاهد العربي وبعد أن بدأت هذه القنوات تخطف الاضواء من القنوات الغربية المؤثرة في الساحة الدولية مثل CNN وBBC ، وقد باتت تلقى اهتماماً واسعا وتحظى باحترام ومصداقية كبيرين من قبل الكثير من المشاهدين في المنطقة العربية والاسلامية.

---

[9] دوبريه، محاضرات،ص 34.

ل

من هنا برزت الحاجة المُلحة لانشاء قناة تخاطب الفئات العربية الناقمة على الولايات المتحدة، وفي ظل هذه الظروف ولدت قناة الحرة بهيئتها الحالية والتي تعتبر احدى ادوات السياسة الخار جية الامريكية في المنطقة. ولا بد من ذكر أن الحرة فشلت حتى الآن في اقناع جميع الفئات العربية بما في ذلك الليبراليين المؤيدين للولايات المتحدة والطروحات الامريكية في المنطقة ، والذين رأوا أن الحرة فشلت فشلاً ذريعاً في التعبير عن السياسة الخارجية الامريكية[10].

أيضا من بين الدراسات التي تناولت الدور الذي يقوم به الاعلام خدمةً للسياسة الخارجية الامريكية خاصة في حربها على العراق . دراسة الدكتور مصطفى الدباغ بعنوان" امبراطورية تطفو على سطح الارهاب : الكتاب الذي يجيب على التساؤل الامريكي : لماذا يكرهوننا؟ تناول المؤلف بعض الاساليب الذي استخدمتها الادارة الامريكية قبيل اعلان الحرب على العراق، وهي ذات الاساليب التي سبق للولايات المتحدة أن استخدمتها في حرب الخليج الثانية .

تعتبر الحملات الحالية ضد العراق في الحرب "الثالثة" امتداداً للحملات النفسية لحرب الخليج الثانية بأساليبها وأهدافها وأدواتها، وقد استخدمت آلة الاعلام لتبرير السياسة الخارجية اساليب عدة مثل " الكذب والتعتيم والخداع"، وهي أساليب سبق الولايات المتحدة أن استخدمتها عبر قناة CNN الفضائية، وكانت الادارة الامريكية في حينها تمارس على القناة جميع أنواع الضبط والرقابة التامة، وذلك لضمان عدم تسريب وبث الاخبار حول العمليات الجارية، ومن هنا توصف آلة الاعلام الامريكية "بالديكتاتورية الاعلامية"[11].

أيضاً من بين الدراسات الأكثر أهمية تعتبر دراسة الكاتب الفرنسي الشهير ريجيس دوبريه من الدراسات التي أهتمت بتحليل منهاج الخطاب، وهي تعتبر من أغنى الدراسات التي عالجت الخلفية الرمزية للخطاب الاعلامي الحديث، بعنوان" محاضرات في علم الاعلام العام: الميديولوجيا" . يقول دوبريه ان وسائل الاعلام تعمل بالنيابة عنا من خلال عمليات التفكير التي تقوم بها، وهو ما يمنحها السيطرة علينا عبر الافكار التي تقدمها، كما ان التقنيات التي تستخدمها هذه الوسائل تمنحها فرصة ممارسة الهيمنة علينا بشكل أفضل، خاصة السيطرة على بعض السلطات الحاكمة، وليس بالامكان

---

[10] مأمون فندي. حروب كلامية: الاعلام والسياسة في العالم العربي.ط1. بيروت: دار الساقي،2008)، ص189.

[11] مصطفى الدباغ. أمبراطورية تطفو على سطح الارهاب: الكتاب الذي يجيب على التساؤل الامريكي: لماذا يكرهوننا؟.ط1.( بيروت: المؤسسة العربية للدراسات،2004)، ص85.

م

فصل نمط السيطرة السياسية عن أنماط التفكير الرمزي، فالترابط بين الوسيط المسيطر والفكر المهيمن، يترجم في كل مرحلة تطور تقني، وينسجم مع التوافق القائم ما بين التكنولوجيا الثقافية والتكنولوجيا السياسية للمجتمع المستهدف.

يرى دوبريه أن الثورة الاعلامية هي ثورة سياسية، والعكس ليس صحيحاً؛ بمعني أن السياسة لم تعد هي مركز القيادة. وهكذا فلن جماعة معينة وحزباً قائداً معيناً لا يستطيعون لفترة طويلة أن " يخبروا أي شيء كان" أو يدّعوا " تمرير" أي رسالة بواسطة أية قناة. لان الدولة لم تعد سيدة وسائل الاعلام حتى ولو كانت الوصاية الادارية لها، بل أن وسائل الاعلام هي سيدة الدولة التي عليها ان تتفاوض بشأن استمرارها في الحياة مع من يسميهم دوبريه ب" أسياد الفكر".

وحسب دوبريه، " فلن مع كل مجال وسائطي ثمة وسيط مناظر له، ومع كل وسيط مسيطر ثمة نمط معين يناظرُه من تنظيم الطبقة الأخلاقية التي قد تكون (الاكليروس، الانتلجنسيا)، وهي هياكل يكون لديها نمط معين من عمل الطبقة الاداريّ. باختصار، ان نظام ركائز ووسائل النقل الرمزية يحدد نظام أمر الانسان للانسان باختيار الوسائل القابلة للاتصال بشكل أفضل. وعليه يمكن تعريف حقل علم الاعلام المدني كونه المجموع المنتظم من الارتباطات المتبادلة التي تتوحد مع عصر معين بالنسبة لمجال حضاري معين، فيصبح لها تقنية معينة ووظيفة رمزية معينة ونمطاً معيناً من السيطرة"[12].

من بين الدراسات التي تناولت قناة الحرة الى جانب الدراسة السابقة، كانت دراسة مجدي خليل من الدراسات التي حددت أسباب الخلل والمشاكل التي تواجه القناة تحت عنوان، لماذا فشلت الحرة؟ . جاءت هذه الدراسة بناء على طلب عدد من أعضاء الكونغرس الذين طالبوا باعادة هيكلة القناة ومراجعة أداءها، بعد موجة الانتقادات التي قادها عدد من أصدقاء الولايات المتحدة من الليبراليين العرب.

تحدثت الدراسة عن الفشل الكبير الذي تخلل أداء القناة، وارجعت أسباب الفشل الى ال عديد من العوامل من بينها الخبرة المتدنية لدى العاملين في القناة، وهم يعتبرون من أصحاب الك فاءات المتدنية في المجال الاعلامي عموماً، كما يفتقر هؤلاء الى الكثير من الخبرة والدراية في مجال عملهم كاعلاميين، فضلاً عن عدم معرفتهم الكثير عن المنطقة العربية وعن الثقافة الامريكية، التي يفترض

[12] دوبريه. محاضرات،192-193-194.

ن

أنهم يروجون لها، وهو ما أنعكس على أداء القناة وتمثل في عدم قدرتها على اقناع المشاهد العربي بالخطاب الامريكي والثقافة الامريكية التي تهدف الى تغيير وجه المنطقة.

كما أتهم خليل القناة بأنها خاضعة لأجهزة المخابرات العربية التي تتدخل في عمل القناة، عبر العديد من الاساليب من بينها تعيين بعض الموظفين في القناة وتعيين المواد الحوارية، ثم ممارسة دور رقابي مشابه لما تقوم به الاجهزة العربية ضد أجهزتها الاعلامية التابعة للحكومات.

ومن أسباب فشل القناة أيضاً، موضوع الفساد الذي يكاد يسيطر على ادارتها، الى جانب سوء استخدام السلطة مع غياب واضح للتخطيط في عمل القناة . يقول خليل ان كل شيء في القناة يجري بشكل فردي وبشكل غير مخطط له من قبل مدراء القناة الذين كانوا يتصرفون في القناة بناء على ميولهم الشخصية وكأنها امبراطوريتهم الشخصية، وقد عزى الكا تب كل تلك الاسباب الى غياب الطرف الامريكي عن ادارة القناة والذي أوكل مهمة الادارة لجهات عربية تخدم أجندات ضيقة[13] .

[13] .Khaalil, Magdi." Why Did Alhurra?19 April 2006

shttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=55062

# الفصل الاول

## علاقة الواقع الرمزي بالواقع السياسي

إن علم الإعلام يهدف عبر عمليات الفكر إلى توضيح ووصف قدرة الكلمات عبر تأثيراتها الرمزية، أو دراسة دور الافكار في التاريخ وتأثيرها على مجرى الأحداث السياسية ، هذه القدرة المادية للأقوال حسب المفكر الفرنسي ريجيس دوبريه، "جعلت ادغار بو Edgar poe يحلم أن علم الإعلام يبغي دراسة الوسائط التي تصبح بها الفكرة قوة مادية"[14] .

كذلك فان الرغبة وتحقيق الذات لدى الإنسان فكرة قديمة قدم الفلسفة السياسية الغربية ، وقد جاء أول وصف لها في جمهورية أفلاطون الذي أشار إلى أن "للروح ثلاثة قوى : الشهوة ، والعقل، وما يسميه أفلاطون بالتيموس (thymos)، أي "الهمة والشجاعة "، ذلك أن العقل والشهوة يلعبان الدور الأساسي في توجيه السلوك الإنساني، فالشهوة تدفع الانسان إلى السعي من أجل الحصول على أشياء خارجه، في حين أن العقل أو (التقدير الواعي) أفض ل السبل للحصول على هذه الأشياء"، فهناك دائما سعياً من جانب البشر إلى نيل الاعتراف بقدر الأشخاص أو الأشياء أو المبادئ التي يرون أن لها قدراً كبيراً [15].

اذا بحثنا في "السكيولوجيات" فاننا نجدها تشمل على كل من قدرات الفعل والوعي معاً ، وهي تشبع حاجات الانسان ورغباته، "لكن السكيولوجيا التي تتجاهل التطور التاريخي للانسان لا يمكن لها أن تصبح علماً حقيقياً، فليس الوعي مفهوماً ميتافيزيقياً"، وكل شيء يجعل الناس يقومون بالفعل يجب أن يجد طريقه من خلال أدمغتهم، لكن هذا الواقع لدى الإنسان لا يقتصر على نشاط الفرد النفسي والذهني، بل هو أحد أشكال الفعل الخارجي وأحد أنشطتها المتعددة [16].

وإذا كانت الثقافة هي تصور العالم لدى مجموعة بشرية معينة . فان "اللغة هي "النظام" المُعبر عن هذا التصور"، ومن ثم فهي؛ أي اللغة لا تمثل نظاماً له مستوى واحد، بل تتعدد أشكالها

---

[14] دوبريه، محاضرات في علم، 12.

[15] فرنسيس فوكوياما، *نهاية التاريخ وخاتم البشر*( مركز الاهرام للترجمة والنشر،1993 )، 13.

[16] بيير بورديو، *الانطولوجيا السياسية عند مارتن هيدغر*(القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 2005 )، 18.

بتعدد مستويات الثقافة التي تعبر عنها ، "فاللغة تمثل "الرحم" الذي ينبثق عنه "الوعي " بكل أبعادُه "[17]. كما أنه، لا يمكن بناء منظومة فكرية ما، إلا بالاعتماد على مجموعة من الخطابات، ويتم ذلك على نحو يكون الغرض منه العثور خلف العبارات نفسها عن قصديه الذات المتكلمة حسب تعبير فوكو، وعلى نشاطها الواعي وما كانت ترغب في قوله[18] .

وهكذا فان الثقافة الرمزية الاعلامية تهيء للمجتمع تبريراً لكي يفرض من خلاله أعضاءُه سلوكاً ثقافياً ملزماً، اذ بدون ثقافة رمزية اعلامية لا يجد المرء حافزاً ولا سبباً للتدخل في سلوك الآخرين، ما لم يكن هذا السلوك يهدد مصلحته الذاتيه، والتي من خلالها يتم تحديد المصالح الذاتية أو تحديد مصالح قريب أو حليف[19] .

أن العلاقة بين الخطاب الرمزي وبين المذهب السياسي علاقة مترابطة، إذ يهيأ ل أحد هما الآخر عبر الذات المتكلمة، والتي تعبر عن مكانة اجتماعية أو تنتمي لقومية أو لمصلحة ما . فالمذهب السياسي يربط الأفراد ببعض الأنماط المعينة من التعبير، ويحرم عليهم نتيجة لذلك كل الأنماط الأخرى، لكنه في المقابل يستخدم بعض أشكال التعبير لكي يربط الأفراد فيما بينهم . وفي المحصلة فان المذهب السياسي يحقق إخضاعا مزدوجاً: الأول يكون بإخضاع الذوات المتكلمة للخطابات، أما الثاني فيكون من خلال إخضاع الخطابات لجماعة الأفراد المتكلمين[20] .

فالسلطة أو السياسة (domoninat) كامنة في خطاب يقوم به البشر . كما أن سلطة الأفكار تتسلل خلسة إلى الخطابات وليس بمقدور أحد إيقافها. وهذا ما جعل الكاتب الفرنسي رولان بارط يشبه السلطة بأنها متعددة كالشياطين، فهي تملكها الأجهزة كبيرها وصغيرها كما يملكها الرؤساء، اذ أن سلطة الأفكار حاضرة في أكثر الآليات التي تتحكم في التبادل الاجتماعي،

---

[17] نصر أبو زيد، *النص والسلطة الحقيقية: ارادة المعرفة وارادة الهيمنة* ( الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي2000 )، 83.

[18] ميشال فوكو، *حفريات المعرفة* ( الدار البيضاء: المؤكز الثقافي العربي،1987) ، 6.

[19] روبين دونبار وكريس نايت وكاميلا باور، *تطور الثقافة: رؤية في ضوء منهج البحوث المتداخلة* ( القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، 2005)، 65.

[20] ميشيل فوكو، *نظام الخطاب* ( بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر،1984)، 29.

فهي حاضرة في الدولة، ولدى الطبقات والجماعات ، وهي تمتد إلى أشكال الموضة والآراء الشائعة، والمهرجانات، والألعاب، والمحافل الرياضية، والأخبار، والعلاقات الأسرية ، بل وحتى عند الحركات التحررية التي تسعى إلى مقاومتها ومعارضتها [21].

اما اليوم، وفي ظل ثقافة الصورة التي أصبحت تمثل قوة في تأثيرها وانتشارها، وباتت تمثل فرصة غير مسبوقة في تاريخ البشرية ، فهي تستخدم في الإعلام للتوعية والتثقيف وكسر حواجز العزلة، وربط الإنسان بالكون، كما تفتح للإنسان آفاقه الفكرية للتعرف على قضاياه ، إنها فرصة للتوعية والتربية والتنشئة والاطلاع بأحوال الحياة واللقاء والتفاعل [22] . كما أصبحت الصورة تختُزل في الدهشة وكسر القواعد، وتخدير الجسد إلى الحد الذي رأى فيها الفيلسوف الفرنسي جان بودريار أن شعار الإعلام أصبح الآن هو " أنا أستمتع إذن أنا موجود "[23].

بالإضافة إلى ذلك، تستخدم الصورة اليوم في تزوير الحقائق وقلب الوقائع. وقد اعتاد الإعلام الأمريكي استخدام الصورة لإظهار المواطن العربي بشكل سلبي، فهو يحاول تصويره بأنه فلاح وبدوي وإرهابي، وتحولت صورة العربي إلى أيقونات ثقافية تنتمي إلى ثقافة متخلفة وقمعية، يتم تصويره على أنه يحَرِم النساء من الفرص ، ويخُضع الأطفال إلى نظام تعليمي مُضلل ومُبغض للبشرية، وأن صورته فاسدة تغار من الفوائد الذي يتمتع بها المحظوظو ن الذين يعيشون في الدول الديمقراطية على الطراز الغربي[24] .

عادة ما يقوم مسؤولوا أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول "الصور والمعلومات"، وهم يشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها ، تلك الصور

---

[21] رولان بارط، *درس السميولوجيا* ( الدار البيضاء: دار بوبقال للنشر،1978)، 11.

[22] مصطفى حجازي، *حصار الثقافة: بين القنوات الفضائية والدعوة الاصولية* ( بيروت:مركو دراسات الوحدة العربية1998)، 33.

[23] محمد حسام الدين اسماعيل، *الصورة والجسد: دراسات نقدية في الاعلام المعاصر* ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، 33.

[24] مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، *الاعلام العربي في عصر المعلومات* ( أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006)، 304.

والمعلومات غالباً ما تحدد معتقدات ومواقف الجماهير، كما تحدد سلوك تلك الجماهير في النهاية[25] . فربما لم يؤدي شيء إلى الإسراع في سقوط بغداد أثناء الحرب على العراق، أكثر من تلك المشاهد الذي بثتها قناة الجزيرة للعراقيين وللعالم أجمع، عندما أظهرت صور الجنود الامريكيون وهم يحطمون التمثال الضخم للرئيس صدام حسين، وهي الصور التي أظهرت الجنود يسيطرون على قلب العاصمة بغداد. وهكذا يقال في حالة جدار برلين، فقد أ حدثت الصور التي بثها الاعلام الغربي إلى برلين الشرقية من الغرب ذات الاثر، بعد تصوير أعداد اللاجئين الغفيرة الهاربين من المانيا الشرقية إلى الغرب [26]. وقد أصبحت الطريقة المناسبة لتقديم الواقع من خلال ما يسمى "الايقون Icon. "[27] .

واليوم ترتبط درجة التغطية الإخبارية ارتباطاً قوياً بتوافر الصور المثيرة، ينعكس ذلك على التغطية الاخبارية، فعندما تقيد الحكومات حرية الوصول إلى الصور خاصة المثيرة منها، فان الأخبار التلفزيونية تفقد بريقها، أما عندما يتوافر العدد الكافي من الصور، فان ذلك يؤدي إلى الاقتراب من القصة الحقيقية واستبعاد معظم القصص الأخرى . كما أنه في عالم الواقع لا يمكن أبداً الفصل بين القيمة الدلالية أو القيمة الناتجة عن الملاحظة الفعلية من المعنى التقليدي الرمزي .[28] . وهكذا فان وسائل الإعلام تنقل وأحيانا تخلق فيضاً من العلامات والرموز ، وتعتبر الصور السيميولوجية مجرد نقل حرفي مباشر لمفاهيم اللسانيات"، والتي تعبر عن الواقع الاجتماعي[29]

---

[25] هربرت شيللر، *المتلاعبون بالعقول: كيف يجذب محركوا الدمى الكبار في السياسة والاعلام ووسائل الاتصال الجماهيري خيوط الرأي العام*( الكويت: عالم المعرفة، 1999)، 5.

[26] بييتر مارشال، *الدبلوماسية الفاعلة* ( القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، 2005)، 174.

[27] يتم عبر الايقون تعريف الآخرين بشيء من الأشياء، حيث تعرض الأشياء من خلال صورة ذلك الشيء، فيعرض شيء ما بشيء آخر مشابه له"، وهذا الشيء الآخر يسمى أيقوناً. وهو يجمع كل من الرموز والصفات الحقيقية التي تُفسر فلسفياً كما لو كانت رؤية للعالم، "لكن علاقة الايقون بهذه الرموز لا تهم بقدر ما يدل الايقون على شيء تجمعه بشيء آخر علاقة المماثلة، إذ يتعرف في الايقون على النموذج Modele الذي يجعل الايقون مقابلاً له . محمد سرغيني، *محاضرات في السيميولوجيا*( الدار البيضاء: دار الثقافة، 1987)، 41.

[28] دوريس جريبر، *سلطة وسائط الاعلام في السياسة*(عمان:دار البشير للنشر والتوزيع، 1999)، 39

[29]محمد شومان، *تحليل الخطاب الاعلامي: أطر نظرية ونماذج تطب يقية* ( القاهرة : الدار المصرية اللبنانية،2007)، 59.

المبحث الثاني :

الإعلام واقع افتراضي .. أم تغيير!!

ظهرت في القرن السادس عشر في أوروبا دول تبنت الإصلاح، وقد رفعت هذا الشعار عدة تيارات من أبرزها الكنيسة، من بين الوسائل والأساليب التي كانت تعتمد عليها هذه الحركة في نشر أفكارها، مجموعة "نصوص أوراق مطبوعة تتحول من يد إلى يد وتقرأ وتفسر ويعلق عليها"، ومن بين الدراسات الخطابية التي أثرت في أوروبا كتاب مارتن لوثر 1517 تحت عنوان" خمس وتسعون أطروحة"، وكان لها صدى في كل أنحاء أوروبا، فأثارت حروب أهلية، وأدت الى نشوء مدن جديدة وحدود وهجرات جديدة، ونشوء أمم جديدة[30] .

لا شك أن أجهزة الإعلام تعمل على تسخير الجانب السياسي وإخضاعه لخدمة الجانب الإعلامي الساعي إلى تغيير بعض الأوضاع. فمثلاً، قد تعمل وسائل الإعلام على تفعيل دور السياسيين لتنسيق الجهود الثقافية تجاه دولة أو شعب ما ، وسبق لوسائل الإعلام أن نظمت حفلات لخدمة الجانب الإنساني تحت أسم "أطفال العالم " التي نظمتها مجموعة سمت نفسها(live Aid ) غنى خلالها فنانون عالميون لأطفال العالم تحت شعارات معلنة وغير معلنة، كان ذلك بهدف جمع المال لضحايا المجاعة في إثيوبيا وشرق إفريقيا، حيث لعبت وسائل الإعلام دوراً في تغليب الجانب الإنساني على الجانب السياسي الأيدلوجي [31].

على مر التاريخ، كان للأفكار تأثير في تغيير الأوضاع السائدة، فهل يمكن تصور حدوث الثورة الفرنسية دون الأفكار، فقد كان القول محور العمل في البداية وهو ما أوصل الفرنسيين إلى عمل تغييرات على الأرض نتيجة لهذه الأقوال، فكان لاتصال الأفكار أثر في تو حد الناس، وكان للرمزي في النهاية أثر سياسي [32] . ومنذ القرن التاسع عشر، أدت الثورة التقنية والصناعية إلى تغييرات واسعة على مستوى العالم، ولعبت الأفكار والتنظيرات الطامحة دوراً

---

[30] دوبريه، *محاضرات*، 17.

[31] حيدر بدوي صادق، *مستقبل الدبلوماسية في ظل في الواقع الاعلامي والاتصالي الحديث* ( أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1996)، 43.

[32] دوبريه، *محاضرات*، 18.

في خلق ذلك الواقع الجديد ، فالفجوة بين الواقع والخيالي قادت إلى السيطرة على الواقع الجديد.

إن محتويات وسائل الإعلام، باتت اليوم تساهم في إحداث الوعي بالذات وعلاقتها مع الآخرين، فالتجارب الرمزية التي تعرضها وسائل الإعلام قد تجعل الفرد يُعدل من آرائه ومواقفه وسلوكياته وفق ما يراه ذا قيمة من ظواهر أو أحداث أو قضايا ما كان بإمكانه الوصول إليها أو معرفتها خارج وسائل الإعلام[33] .

تعتمد تكنولوجيا الواقع الافتراض (تفترض نمط حياة معين، مما يجعل الكثير من المستخدمين يغيروا من سلوكياتهم لتتواءم مع هذا النمط )، "تعتمد على شاشات خاصة وأجهزة استشعار (sensors ) متصلة بأجزاء الجسم، يتم بمقتضاها نقل بيئة افتراضية من الشاشا ت الى المستخدم"، هذا النوع من المحاكاة التي ينتجها الكمبيوتر ، تخلق شعوراً لدى المستخدم وتكون حركات ضمن هذه البيئة المفترضة كما لو انه يعيش في عالم حقيقي [34] . وهي تنتج تصوراً للذات وللآخر وللعالم، وهي تحركها مقاصد مختلفة ليست معلنة، وتلعب دورا بارزاً في تشكيل الحقيقة الاجتماعية .[35] .

---

[33] عبد الرحمن عزي،" *الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيميه*". المستقبل العربي، 2003)،ع.295: 15–34.

[34] اسماعيل، *الصورة والجسد*، 105.

[35] هذه البرامج تدل أو تحتوى في جوهرها على قناعة مُبطنة أو ضمنية من خلال ما تحويه على ما يسمى " بالتمثلات" (Representations)، وهي توجه الجمهور باتجاه ثقافة معينة، ثم "تفعل فعلها في المشاهد بصرف النظر عن التجربة الاجتماعية التي يمتلكها هذا المشاهد أو سياق تطوره الوجداني والعقلاني". غالباً ما نجد الأفراد يعبرون عنها بواسطة العلامات والرموز والأشكال، ويبوح بها الأفراد والمجموعات عبر ممارساتهم إلى أن تصبح بمرور الزمن جزءاً لا يتجزأ من واقعهم الاجتماعي . حسن رزو وآخرون، *ثورة الصورة: المشهد الاعلامي وفضاء الواقع* ( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، 149– 155.

المبحث الثالث

العلاقة بين الاعلام والسياسة

يعتبر دوبريه أن ما يطلق عليه "بالخط العلوي والخط السفلي يلتقيان في الواقع"، فالسلطة العليا لا بد أن توفر أداة ووسيلة تعبر عن آرائها ومخططاتها[36]. ان النظام الاعلامي في مجتمع ما ليس سوى انعكاس للنظام السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري السائد في ذلك المجتمع، وهو يعكس درجة التطور الحضاري فيه .على سبيل المثال، يقوم التصور الفكري للنظام الاعلامي (الغربي خصوصاً) على الفلسفة الليبرالية بجناحيها الاقتصادي ويتمثل في الرأسمالية والسياسي ويتمثل في الديمقراطية[37] .

يرى فوكو "أنه لا توجد حقيقة خارج السلطة كما أنها ليست بدون السلطة، و هي ليست نتيجة للنفوس المفكرة الحرة"، فالحقيقة مرتبطة بالسلطة نتيجة عدة اكراهات تفرضها ومن خلال تأثيرات منتظمة مرتبطة بالسلطة، فكل مجتمع له نظامه الخاص المتعلق بالحقيقة التي يتم إنتاجها ونقلها تحت المراقبة وهي حقيقة ليست خاصة بها فقط، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالهيمنة التي تمارسها بعض الأجهزة السياسية وعلى رأسها السلطة الحاكمة والجيش . في المحصلة، فان المشاكل التي تواجه الاعلاميين ليست مشاكل ايديلوجية أو علمية، بل تكمن في الألفاظ التي قامت بصياغتها السلطة السياسية وفرضتها على وسائل الاعلام[38] .

لقد عرف ولتون(Wolton) الاتصال أو الاعلام السياسي، بأنه المساحة العامة التي يتم فيها تبادل الخطابات المتناقضة لثلاثة فاعلين لديهم الشرعية للتعبير علناً عن السياسة ، وهم : "رجال السياسة والصحافيون وقادة الرأي العام" [39]. كما لاحظ الباحث جان بول مارتوز، أ ن

---

[36] دوبريه، *محاضرات*، 10.

[37] حنان يوسف، *الاعلام والسياسة مقارنة ارتباطية* ( القاهرة: أطلس للنش ر والانتاج الاعلامي، 2006)، ص39.

[38] فوكو، *نظام الخطاب*، 81-82.

[39] نهوند عيسى، *قراءة في ثقافة الفضائيات العربية : الوقوف على تخوم التفكيك* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، 162.

بعض السياسيين والمعلقين بالإضافة إلى المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، قد وجدوا في صفحات أو في كبريات الصحف والمجلات الأمريكية مجالاً رحباً للتعبير عن آراءهم وعن مواقفهم وعن طروحاتهم.[40] . حسب اليكساندر هيج (Alexander Haig)، فان مراجعة نشرات الاخبار الليلية، كانت من الأعمال الذي اعتاد عليها عندما خدم رئيساً لموظفي البيت الأبيض ونائباً لمستشار الامن القومي، وقد أصبح التلفزيون على وجه الخصوص من خلال قدرته على صنع الصورة، عاملاً مساعداً في صنع السياسة، بل ويقوم في بعض الأحيان بدور المشارك، وكل ذلك يحدث على حساب الدبلوماسية التقليدية[41] .

أما اليوم في ظل الاعلام الحديث، فقد أصبح من الصعب على الفرد أن يختار حكومته بدون وسائل الاعلام، وكثيراً ما يقف المتلقي السياسي متعرضاً لوسائل عديدة تبثها وسائل الاعلام، فهي تساهم بشكل كبير في امداده بالمعلومات والمعارف السياسية والأهم من ذلك، أ ن هذه الوسائل تعمل على بناء فكره السياسي وصولاً الى تشكيل ارآءه ومعتقداته واتجاهاته ومن ثم سلوكه السياسي[42] .

وهكذا فان الدولة تتدخل في الاعلام حتى في أكثر الدول ادعاء للديمقراطية والحرية، فمثلاً في الولايات المتحدة، أدى ضعف اهتمام الأمريكيين عموماً بالقضايا الدولية ، واجماع النخبة الحاكمة حول أهداف أمريكا الخارجية، أدى الى اعتماد وسائل الاعلام الأمريكية على الدولة والذي يعد بمثابة دعم كامل لمعظم عناصر سياستها الخارجية [43]. وبحسب نعوم تشومسكي ، فان "الإعلام يحاول أن يلعب دوراً أكبر من حجمه، إذ يحاول أن يقدم نفسه على أنه معاد للسلطة، وأنه مدمر، ويحفر في المؤسسات القوية، ويقوضها، وتتظاهر المهنة الاكاديمية بانها متوافقة مع هذه اللعبة الأمر الذي يساعد العمل الاعلامي" .

---

[40] وقد برز كل من جورج ويل في NewsWeek، ووليام سافاير في New York Time، وش ارل كروثتامر في Washtinton post، وكذلك أندرو ساليفان في New Republic والتي انضمت الى صفوف المحافظين الجدد في تعاملها مع شؤون الشرق الأوسط أنظر شميط، *امبراطورية* " المحافظين، 113.

[41] جريبر، *سلطة وسائط*، 395.

[42] يوسف، *الاعلام والسياسة*، 71.

[43] محمد عبد العزيز ربيع، *صنع السياسة الخارجية والعرب* ( عمان: منشورات دار الكرمل، 1990)، 75.

وهكذا فان تقديم وسائل الاعلام على أنها عرضة للانتقاد، وخصم للسلطة، وربما أنها مخربة، يدخل كل ذلك ضمن الوظيفة الدعائية التي تحاول وسائل الاعلام دعم نفسها من خلال هذه الوظيفة . فحسب تشومسكي، فان الاعلاميين عندما يتبعون هذا الأسلوب، فلنهم سيطرحون سؤالاً أمام الجمهور ألا وهو، "أنظروا كم نحن منتقدين للسلطة، وكيف يستطيع أي شخص أن يذهب الى أبعد مما ذهبنا اليه"؟ . فقد اعتادت صحيفة التايمز الأمريكية القول أنها كانت أول صحيفة في الولايات المتحدة تقود حملة عنيفة ضد التدخل الأمريكي في فيتنام، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل كان موقفها المعلن من الحرب هو نفسه الذي كان يجري الحديث عنه خلف الكواليس؟[44] . مع ذلك فان لوسائل الاعلام مواقف مؤثرة وتتطابق مع ما تعلنه، فلا أحد ينكر الدور الذي قامت به وسائل الاعلام الأمريكية ضد المحافظين الجدد والحرب على العراق ، ففي بعض الاحيان أتت هذه الحملات أُكلها وكان من أهم تأثيراتها الاستقالات التي أ ض طر اليها الساسة الامريكان وعلى رأسهم دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الاسبق [45].

ظهر منذ نهاية الستينات تيار جديد عُرف بتيار "الصحافة الجديدة"، والذي قام برفض الأسلوب القديم للصحافة من حيث اعتماده بشكل كبير على المصادر الرسمية، فضلاً عن تركيز ملكية وسائل الاعلام التي انعكست في تقلص مساحة التعددية والحرية في الصحافة الأمريكية. [46].

وعادة ما يلعب الساسة دوراً في ترسيخ بعض أهدافهم مستخدمين في ذلك أسلوب الدعاية الاعلامية، فقد استعان الساسة الامريكيين في حرب الخليج بأساليب الدعاية التي طبقت لأول مرة ضد النقابات العمالية الأمريكية التي دعت للإضرابات، وأبتكرت الدعاية الأمريكية عدة مفاهيم لدعم التدخلات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية[47].

---

[44] نعوم تشومسكي، *ضبط الرعاع* (عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، 1997)، 147.

[45] الجزيرة الوثائقية، *برنامج حرب المواقع الاليكترونية*، بتاريخ12.2.2009.

[46] ارتبط ظهور هذا التيار بالمناخ الفكري الذي أفرزته" الثقافة المضادة" في أمريكا والغرب عموماً، كردة فعل على الحرب الفيتنامية، والتي كان لها دوراً في ظهور بعض الأسماء الذين قادوا حملة ضد ارسال الجنود للقتال في فيتنام لمحاربة الشيوعية. اسماعيل، *الصورة والجسد*، 70.

[47] ومن المفاهيم التي دارت حولها الدعاية الأمريكية، مفاهيم مثل (الامريكانية)، (الولاء لامريكا )، (دعم قواتنا)، وكما هو سائد الآن عبر مفهوم (الأمركة)، في اشارة الى أنه لا أحد يستطيع أن يعلن أنه ضد القوات الأمريكية. نعوم تشومسكي، *هيمنة الاعلام: الانجازات المذهلة للدعاية* ( دمشق: دار الفكر، 2003)، 24.

وقد اعتادت الدعاية الأمريكية أن تبلغ ذروة نشاطها أثناء الحروب، ففي أثناء الحرب على فيتنام، كان الاعلام والحرب بحاجة الى بعضهما البعض كل لأسبابه المختلفة، فالاعلام بحاجة الى قصص خاصة المثير منها. في المقابل كان الساسة بحاجة الى الاعلام في مجالات الدعاية والتجنيد والمؤازرة والتأثير السياسي[48].

وفي حرب الخليج الثانية، وضعت القوات الأمريكية ضوابط صارمة على دخول المراسلين الصحفيين الى مسرح العمليات، وقيدت اطلاعهم على المعلومات العسكرية من غرفة العمليات. ومع أن التغطية المميزة انفردت بها قناة ال CNN كونها دخلت مع القوات، الا أنه "غطى أحداث الحرب أكثر من 1400 مراسل إعلامي في مسرح العمليات، وإذا ما قورن هذا العدد بالمراسلين الذين غطوا آخر معركة في الحرب العالمية الثانية، والبالغ عددهم 26 مراسلاً"، فانما يدل ذلك على زيادة الاعتماد لدى السياسيين على الجانب الاعلامي[49] .

أصبحت اليوم وسائل الاعلام تؤثر على السياسات العامة بشتى الطرق ، وقد تحد الضجة الاعلامية من خيارات السياسة المتاحة أمام الساسة، وبذلك تخلق عملاً حكومياً ربما ما كان ليحدث لولا هذا التأثير، وقد تعرقل وسائل الاعلام اذا ما عبأت جمهوراً معادياً أو حشدت ارآء جماعات المصالح السياسات المتبعة أو المتوقعة . وقد ظهر ذلك المشهد بوضوح في مواقع عديدة، ففي خلال عملية اختطاف الدبلوماسيين الأمريكيين في طهران، عقد اهتمام الاعلاميين بالمفاوضات الخاصة، أو السرية، من صعوبة المفاوضات، كما أنه غير من آراء الجمهور حول السياسات الخارجية بالشكل الذي زاد من حدة الصراعات في مواضيع ما، وقد حدث كل ذلك عبر الهاب العواطف بطريقة من خلال تعمد نشر الصور المثيرة [50].

لقد أدرك آرمان ماتلار أن المثقف أو الاعلامي ليس " رجل الثقافة الذي يضطر للقيام بمهام رجل السياسة "، وليس " بالعالم الذي يخرج من دائرة اختصاصه لينخرط في مناقشة عامة تهم المجتمع المدني أو السياسي أو المجتمع ككل " . انه يراه في ذلك الذي يملك المقدرة على

---

[48] جريبر، *سلطة وسائط*، 367.

[49] صادق، *مستقبل الدبلوماسية*، 26.

[50] رولان بارط، *درس السميولوجيا* ( الدار البيضاء: دار بوبقال للنشر،1978)، 373.

استعادة الدلالات الأولى للمفاهيم التي تحورت وتلونت داخل المنظومات والمدونات الفكرية ؛ أي أن الاعلامي يقوم بدور الرقيب أو الناقد للسياسات التي يضعها رجل السياسة عندما يخرج ذلك السياسي عن المصالح القومية للشعب ، لكنه باي حال لا ينزل الى مستوى السياسي ، وأحيانا ينتقل دوره الى رسم الخطوط العريضة لتلك السياسة، فهو من يضع المفاهيم الأساسية التي يستعين بها هذا السياسي [51].

في الولايات المتحدة مثلا، تتضح العلاقة بين كبار المراسلين والمحررين ومقدمي نشرات الاخبار، الى جانب المسؤولين الحكوميين، ويبرز ذلك من خلال تشكيلهم حلقات صغيرة في كل من العاصمة واشنطن ونيويورك، كما تتضح العلاقة أكثر بين كل من الاعلامي والسياسي في عدة مناسبات، أبرزها سلسلة حفلات العشاء الرسمية التي تقام سنوياً بين السياسيين والاعلاميين [52]. لكن هذا الاعتماد المتبادل للمعلومات بين السلطة السياسية ووسائل الاعلام ، جر الكثير من المشاكل على السلطة السياسية ، وجلب لها الكثير من الشعور بالقلق من سلطة وكالات الأنباء الكبرى، والسبب يعود في ذلك الى أن وسائل الاعلام تنقل للسياسيين الصورة التي تخدم مصالحها، فقد تقوم وسائل الاعلام بنقل أمور ليس لها علاقة بالواقع ، أو أنها جزئيات من هذا الواقع بينما تترك أو تحتكر ما تريد من الحقائق الأخرى . ان أي نظام اجتماعي ذي سلوك عقلاني هادف لا يتخلى عن محتواه السياسي، بل انه يحتوي الى جانب السلطة المُعلنة على ما يسميه هبرماس بـ"تصنيع السلطة الخفية " التي تدعم وجوده المعلن[53] .

---

[51] أرمان وميشال ماتلار، *تاريخ نظريات الاتصال* ( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2005)، 10.

[52] وفي كثير من الاحيان يشترك هؤلاء بالمنزلة الرفيعة ذاتها، وينحدرون من الاحياء نفسها، ويشاركون في النشاطات الاجتماعية لأوساط بعينها، ويعيشون في عالم مشترك من خلال ما يسمى ب" الباب الدوار"، بل ثمة شخصيات اعلامية معروفة مثل، تيم روسيرت Tim Russert، وجورج ستيفانوبولس George Stephanopolous، وكريس ماثيوز chris Mattheuis، بيل مويرز Moyers Bill، وهم جميعاً ممن تنقلوا خلال السنوات الماضية ما بين المؤسسات الحكومية وما بين المؤسسات الاعلامية، ثم عادوا في فترة لاحقة للعمل السياسي. " يشبه البعض العلاقة بين الصحفيين والاعلاميين عموماً وبين السياسيين بالمجتمع القبلي "، حيث أصبحوا فيما بينهم يفهمون " قواعد الطريق "، ويتشاطرون معاني الكلمات ودلالاتها، كما يجيدون فنون وصف الأحداث الاخبارية، وفي اطار هذا النمط من الثقافة " القبلية "، يتعلم الصحفي الا يعترض على قوانين القبيلة، لأنه ان فعل ذلك، فانه يخاطر ب "فقدان ماء وجهه " أو ب" فقدان المنافد " التي يؤدي عمله عبرها" أنظر *مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية*، 270–272.

[53] هبرماس. 1994. *مدخل تعريفي الى هبرماس في العلم والتقنية* . *مجلة أبواب*. عدد: 59–70.

الفصل الثاني

## تراجع الدبلوماسية التقليدية لصالح دبلوماسية الجماهير (الاعلام)

أصبح للاعلام دور مهم في الحفاظ على مصالح الدول، فالعمل السياسي الفعال ينبغي اليوم أن يكون عملاً دولياً مباشراً من قبل تلك السلطات السياسية أو أصبح كذلك ولو جزئيا ، كما يلعب الاعلام الأداة المهمة لترسيخ هذا الدور، فاذا أرادت الدولة المحافظة على مصالحها الخاصة بفاعلية، فان أفضل الطرق لذلك هو محاولة التأثير في تلك الهيئات الاعلامية مباشرة، وتوظيفها في خدمة تلك المصالح [54] .

اعتمدت مؤخراً الدول الغربية الجانب الاعلامي عوضاً عن الدبلوماسية التقليدية ، وتعد الولايات المتحدة رائدة صناعة العلاقات العامة والاعلام عموماً، اذ هدفت من وراء تطويره (الاعلام) الى السيطرة على الرأي العام الخارجي، فأنشات وبررت أ همية الاعلام ابان الصراع الايديلوجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً، واستطاعت أن تخلق في حينها ما عُرف" بالرعب الأحمر "، عبر تنبيه أو تحذير المواطنين من خطره ومواجهة ما ينجم عنه . [55] .

وقد أدى التداخل بين"الدبلوماسية الاعلامية " و"الدبلوماسية الرسمية"، الى تعزيز الأولى على حساب الثانية، وما كان يصنف في الماضي بانه "سري للغاية" أو"سري جداً" أو "سري"، لم يعد كذلك، أو لم يعد جعله كذلك مدة طويلة نتيجة دخول وسائل الاعلام على الساحة، كما أدى هذا الأسلوب الى الحاق الضرر بالدبلوماسية الرسمية للدولة اذ أصبح "سرها" مكشوفاً، وهكذا أصبح ما يطلق عليه ب "الدبلوماسية الآنية" أو دبلوماسية الشعوب، أو الدبلوماسية الشعبية (الاعلامية) تتفوق على الدبلوماسية الرسمية وتتجاوزها[56] . ولم يكن للاعلام دور سياسي فقط. بل شجع وجود قنوات أكثر على تقديم اعلام سياسي يتعلق بالهوايات الخاصة والأذواق

---

[54] اسامة خولي وآخرون، *العرب وثورة المعلومات* ( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، 27.

[55] وقد وجدت العلاقات العامة توسعاً هائلاً في ظل ذلك الصراع القائم آنذاك، كما أفلحت في اخضاع الشعب الأمريكي والشعوب الأوروبية في تجنيده لتلك المهمة . ويذكر أن العلاقات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية تعد من أضخم صناعات الاعلام على مستوى العالم، حيث ينفق عليها سنوياً حوالي "مليار دولار أمريكي. أنظر تشومسكي، *هيمنة الاعلام*، 21.

[56] Haydar1992, 1

والظروف الخاصة، وهو ما أعطى الفرصة لكثير من الأفراد كم ا أدى الى بروز التنوع في أشكال الاعلام السياسي بحيث أصبحت تلك القنوات بمثابة الفرصة لالئك الذ ين كانوا مستبعدين للتعبير عن أرآءهم [57]. وهكذا فقد بات الاعلام يحتل الاعلام مساحة واسعة من حياة الانسان المعاصر الذي يعتمد عليه في الحصول على المعلومات وتوفير الراحة الذهنية [58].

تعتبر وسائل الاعلام من بين الفروع العامة لوزارة الخارجية، وهي منصب ذات أثر خارجي مهم في سير العمل الدبلوماسي سواء على مستوى الجهاز الفني أو بالنسبة الى الاستخدام العملي لجهاز العمل الدبلوم اسي، فقد أصبح العمل الدبلوماسي اليوم بحاجة الى السرعة اللازمة للتكيف مع أحداث وضرورات العصر وأصبحت كل من المادة والعملية الاتصالية يمتزجان امتزاجا كبيراً، اذ كلما كانت الاتصالات دقيقة وآمنة وسريعة كلما قل شعور السفير في الخارج أنه معزول عن حكومته، و كلما رغبت الحكومة في معرفة حقيقة ما يجري في الخارج سرعان ما تزود السفير بالتوجيهات المطلوبة وبالسرعة المطلوبة أيضاً [59] .

في اعقاب أحداث 11سبتمبر، قامت الولايات المتحدة بأكبر حملة دبلوماسية شعبية في العالم، وقد تمثلت أداتها الرئيسية في أجهزة الاعلام الأمريكي التي ركزت اهتمامها في هذه الحملة على "الدبلوماسي الشعبية" عبر دور الوسيط الاعلامي، وقدرته على ايصال رسالة وزارة الخارجية الأمريكي والتواصل مع العالم الاسلامي . حيث قامت بأكبر حملة أ مريكية للعلاقات العامة يقودها شارلوت بيرزCharlotte Beers، وهي مديرة تنفيذية متمرسة في احدى شركات الاعلان والتي شغلت منصب وكيلة وزارة الخارجية للدبلوماسية الشعبية

---

[57] محمد نصر مهنا، *الاعلام السياسي بين التنظير والتطبيق* ( الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007)، 119.

[58] بالاضافة الى حاجة الانسان للمتعة الفنية في بعض الاحيان، حيث تقدم أجهزة الاعلام أفكاراً متنوعة ورؤى جديدة للاشياء والأحداث، والتي سهلت للانسان المعاصر امكانية الانفتاح على العالم الخارجي، بل ونقل ذلك العالم بكل أحداثه المعقدة والمتلاطمة اليه . فقد بلت انسان اليوم مرتبطاً بوسائل الاعلام للحصول على مبتغاه من المعلومات، يظهر ذلك من خلال الفترات التي يقضيها الفرد العادي لمشاهدة التلفزيون أو متابعة الاذاعات العالمية، وتصفح الجرائد والمجلات ..الخ أبو زيد، أحمد .2006. *التكنولوجيا الرقمية والاعلام الجديد* . مجلة العربي. عدد577: 142-147.

[59] ماتلار، *تاريخ نظريات*، 196.

والشؤون العامة ومولتها وزارة الخارجية الامر يكية، وكانت مهمتها الرئيسية ما أطلق عليه ب" بيع" السياسات ووجهات النظر الأمريكية للعرب والمسلمين[60].

[60] *مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية*، 323.

المبحث الثاني:

الاعلام السياسي كاداة_

تناولت مجلة ال Time الأمريكية في عددها 8 الصادر في 21 آب/اغسطس 1995 موضوع الحرب المعلوماتية الفضائية (Cyber War) ضمن الاقتباس الآتي.

" عندما يظهر طاغية في المرة القادمة من بابل حديثة (مثل بغداد، أو طهران، أو طرابلس ) ليهدد حلفاء أمريكا ( في منطقة الخليج أو القاهرة أو القدس )، لن ترسل الولايات المتحدة جنوداً وبوارج حربية، بل سترسل أوبئة حديثة بواسطة شاشات الفيديو، ومفاتيح الحاسب الآلي، أو سترسل فيروساً حاسوبياً لشبكة هواتف العدو ، يحدث عطلاً كاملاً لنظام الاتصال الهاتفي، وسترسل بعده أوامر وهمية مصطنعة للضباط في جيش العدو م ن خلال نظم اتصالاتهم، وهم بدورهم يطلقون هذه الأوامر لجنودهم دون علم بأنها مصطنعة، وسينتشر الجنود بأمر من الضباط في الصحراء، وهذا سيشتتهم ويضعف قوتهم الدفاعية، بعد ذلك تقوم طائرات أمريكية مهيأة خصيصاً لعمليات الحرب النفسية ببث رسائل دعائية من خلال تلفزيون العدو، تؤدي الى تأليب الشعب في دولة العد ضد زعيمه ، وحين يدير هذا ال زعيم جهاز الحاسب الآلي الخاص به، سيجد أن حسابه في البنوك السويسرية قد تم تصفيته، يحدث كل هذا دون أن تطلق رصاصة واحدة"[61] .

في كثير من الاحيان، يلجأ السياسيون الى الاستعانة بالاعلام وتحديداً بالتلفزيون كأداة ووسيلة لفرض واقع ما، اذ يُتخدم التلفزيون كقناة مباشرة للاتصالات بين الموظفين الحكوميين أ و النخب التي تصنع السياسة في أحدى الدول ونظراءهم في دولة أخرى .

ففي عام 1978 قام التلفزيون بدور الوسيط أو القناة لايصال نشاطات آية الله الخميني وأفكاره من باريس الى ايران وبقية أنحاء العالم . كما استخدمت كل من ايران والولايات المتحدة التلفزيون والمراسلين كوسيلة مباشرة للاتصال بين الحكومتين أثناء أزمة الرها ئن

[61] يمكن للقاريء أن يتخيل ما حدث ويحدث خلال الثورات العربية ضد الانظمة، حيث يلعب ما يسمى بالفيس بوك تماماً هذا الدور الذي تحدثت عنه المجلة الامريكية، فقد كشفت مصادر عديدة أن مواقع الفيس بوك تقوم بارسال رسائل وهمية باسم أشخاص مشهورين من بينهم مطربين الى جانب شخصيات أخرى يثق فيها الجمهور، تحضهم فيها على الثورات ضد أنظمتهم: صادق، *مستقبل الدبلوماسية*، 23.

الأمريكية، بينما كان ممثلوا الدولتين يلتمسون السبل لانشاء قنوات غير رسمية وأكثر سرية[62] .

وفي كثير من الاحيان، يلجأ الساسة لوسائل الاعلام بهدف تضليل وتوجيه الجماهير، وذلك من أجل الحفاظ على السيطرة الاجتماعية أو تغيير واقع ما. لذلك، لا أحد يجزم أن الاعلام هو الأداة أو الأسلوب الوحيد لتنفيذ رغبات ما، بل نجد في كثير من الاحيان يلجأ الى القمع كأحد الأدوات البديلة [63].

ومن بين الأسباب الأخرى وراء لجوء الساسة الى الاعلام كأداة تتمثل في الوصول الى الجهات التي يرغبون في مخاطبتها، كما تزداد هذه الحاجة في حالة اندلاع الحروب . فقد أجرى مراسل قناة CNN الأمريكية (تد تيرنر ) أثناء حرب الخليج الثانية، مقابلة مع الرئيس العراقي السابق صدام حسين، والتي على أثرها هوجم من قبل الكثير من المسؤولين والصحفيين الامريكيين على اعتبار أن الرئيس العراقي استغل القناة لايصال خطابه الدعائي الى الغرب، حيث اتهم تيد في حينها أنه وفر الأ داة المناسبة للرئيس صدام كي يوصل صوته الى الغرب والى العالم أجمع.[64].

تميزت في الحرب الأخيرة على العراق قناة الجزيرة في هذا الجانب، حيث أتهمتها القوات المحتلة في العراق أنها تروج لثقافة العنف ضد الوجود الأمريكي في العراق، كما ا تهم حلفاء الاحتلال القناة بأنها أداة تستخدمها المقاومة العراقية لبث صور العمليات التي تنفذها ضد الجنود الامريكيين، وأنها المرير الرئيسي لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن الذي اعتاد توجيه خطابه نحو الغرب من خلالها. وقد وصل الامر بالقناة أن بثت أشرطة الفيديو للرهائن وعمليات قطع الرؤوس التي نفذت في العراق، وهو ما أثار جدلاً واسعاً حول دور القناة، التي اعتبرت بأنها أصبحت أداة طيعة بيد المنظمات التي تعبر عن طريقها بهذا الاسلوب .

---

[62] جريبر، *سلطة وسائط*، 408.

[63] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 6.

[64] بييتر آرنيت، *الاعلام وحرب الخليج* : دراسة شاهد عيان .ط1.( أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والتحوث الاستراتيجية، 1997)، 16.

أيضا وفي أثناء الحرب على العراق، تبين أن وسائل الاعلام الأمريكية استغلت وتم توريطها واخضاعها لتوجيهات الحكومة الامريكية . برز ذلك بشكل جلي قبيل وأثناء الاستعداد للحرب، ولوحظ أن بعض وسائل الاعلام الأمريكية ضالعة بشكل مخزٍ في ترديد صدى طبول الحرب التي كانت الادارة الأمريكية قد شرعت في قرعها.

فانطلقت شعارات خاصة تحمل مفاهيم درامية مثل "العد التنازلي للحرب". بل ان احدى الشبكات أظهرت على الزاوية السفلى من شاشة التلفزيون ساعة وهي تدق تنازلياً حتى لحظة اندلاع الحرب.

وتقول منظمة "فير" Fair وهي منظمة مهمتها البحث في وسائل الاعلام، ان العا ملين في وسائل الاعلام تصرفوا وكأنهم "كتلب اختزال" أكثر من كونهم صحفيين، فنقلوا الأحداث دون اعتراض، بل وتحولوا الى قنوات توصيل "للحملات الاعلامية المضللة " التي تطلقها المؤسسة العسكرية . ونتيجة لذلك، أصبح بامكان حملات العلاقات العامة البالغة التأثير التي قادها البيت الأبيض أن توظف اعلاماً طيعاً الى حد الاذعان لكسب دعم الرأي العام وحشده لصالح الحرب.

لقد أثبت الاعلام في هذه الحا لات أنه ليس بالكيان المعزول الذي يمارس نشاطاته بصورة مستقلة ليحقق غايات خاصة به، وانما هو أداة أو مجموعة أدوات تعمل على خدمة مصالح قطاعات معينة من المجتمع [65] .ومن بين ما قامت به وسائل الاعلام الأمريكية أثناء الحرب على العراق، عملية صياغة الاسئلة بطريقة تدعم وجود الجيش الامريكي في العراق .

من بين تلك الاسئلة، أسئلة لا تحتمل النقاش، والاجابة عليها تكون بنعم أو لا، مثل " هل تؤيد الجيش في العراق " أو هل تدعم سياساتنا . كما رفعت شعارات مثل "ادعموا قواتنا". فليس المطلوب هنا أن يفكر الشعب في هذه القضية، وانما هو طرح شعار لا يمكن لأحد أن يقف ضده، بل ما من أحد الا ويقف معه [66].

---

[65] *مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية*، الاعلام العربي، 237-274-268.

[66] تشومسكي، *هيمنة الاعلام*، 25.

المبحث الثالث

الاعلام : تشكيل البعد السياسي والثقافي

أدى التطور التكنولوجي لوسائل الاعلام والاتصال الى اختراق العقائد والثقافات و التأثير على الشخصيات والسلوكيات، كما أدى الى المساس بسيادات الدول واستقلالها، والى شيو ع ما عُرف بنشر القيم الديمقراطية، وهو يوظف في تجميع الأخبار ومراقبتها، وبالتالي مراقبة الأفراد والجماعات . بالاضافة الى أنه يوظف في التجسس على الشعوب أو لسحق القوى الناشئة كما حصل في العراق، وهو ما بات يُعرف لدى البعض بـ"الحرب الاليكترونية"[67].

لم يشهد أي من العصور الماضية تسارعاً في مجال الاعلام والاتصال كالذي يشهده عصرنا الحالي، اذ أصبح الاعلام يجاري حياتنا بكل تفاصيلها، وغدا حاضراً ومؤثراً في قراراتنا وتوجهاتنا، وفيه يحضر العالم بكل أسراره وتفاصيله، ومن خلاله تتسع دائرة الرؤيا وتصاغ السياسات والتوجهات، كما ينمي الأفكار ويبلور المصالح والغايات. بل بات الاعلام يعمل على صياغة اسلوب حياة الأمم والشعوب[68] .

يرى عبد الرحمن عزي، "أن الاختلالات المعرفية التي تظهر في بعض المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية..الخ، تعود الى اطارها الفكري، ومن ثم فان الصراع أو التدافع يكمن في ميدان الفكر قبل أن يبرز الى مستواه المُجسد أو وجوده الملموس، فهو مجرد قبل أن يصبح مجسد" [69]. وقد برز دور الاعلام في التأثير الثقافي، من خلال المساعدة التي قدمها لأصحاب السلطة في المجتمع على فرض نمط معين من الثقافة الجماهيرية [70]. اذ لم تعد تأثيرات وسائل الاعلام جانبية، بل باتت اليوم أداة شديدة الفاعلية، ويمس تأثيرها كل مناحي الحياة، وهي لا تستهدف التثقيف والتسلية فحسب، بل تسهم أيضاً في صياغة الأفكار وأنماط السلوك وخلق الحقائق، ورسم معالم الصور الذهنية في عقول البشر [71].

---

[67] يحيى يحياوي، *في العولمة والتكنولوجيا والثقافة: مدخل الى تكنولوجيا المعرفة* ( بيروت : دار الطليعة، 2002)، 122.

[68] رزو، *ثورة الصورة*، 9.

[69] عزي، *الثقافة وحتمية*، 75–76.

[70] اسماعيل، *الصورة والجسد*، 37.

[71] مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، *الاعلام العربي*، 267.

يستخدم الاعلام أساليب عدة للسيطرة على الشعوب، فهو يقوم بتبني بعض الفرضيات والعقائد المسيطرة والمتغلغلة في المجتمع، فقد تبنت بعض القنوات من بينها الجزيرة الخطاب الديني للتعبير عن وجهة نظر بعض التيارات الاسلامية كاسلوب لزيادة شعبيتها في المنطقة وهي تدرك الخلفية الدينية لغالبية مجتمعات المنطقة، الامر الذي أكسبها كثير من التأييد والشهرة لدى الأوساط الاسلامية، وهي ممارسات ثابتة ويستخدمها الاعلام في السياسة التنظيمية وفي التجنيد والترفيه، فمن خلال فهم خلفيات تلك المجتمعات تفهم الكثير من اتجاهات وسلوكيات تلك المجتمعات[72] . ان العلاقة بين الاعلام كأداة وبين تشكيل البعد الثقافي أصبحت اليوم معضلة وموضع اشكال، وهي تبدو هكذا بقدر ما تبدو العولمة زاحفة، وبقدر ما تبدو الهوية محصورة في زواياها الضيقة أو في دوائرها الخانقة.

ثم بانت المجتمعات تواجه ما أصبح يعرف اليوم بأزمة الهوية، وجوهر الأزمة أن ما تواجهه المجتمعات المعاصرة من تحديات ثقافية يجد صداه على أكثر من صعيد، اذ يؤثر في الانسان على مستوى مفردات وجوده، مع الذات والهوية، مع اللغة والمعرفة، مع القيمة والعقيدة ، وأخيراً يصل أثره على مستوى السلطة والمؤسسة، أو مع العمل والانتاج . وبكلمات أخرى ، تعكس تأثيرات وسائل الاعلام على كل مناحي الحياة الثقافية، على نظام المعنى وعلاقات القوة، وكل ما يتصل بانتاج المعرفة والقيمة والثروة والسلطة .

لذلك فان الأزمة عامة لا يقتصر تأثيرها على مجموعة معينة من الناس دون أخرى، وانما تشمل شرائح واسعة من الناس، فالكثير منهم يشعرون باهتزاز ما استقر في وعيهم من الثوابت والأصول، أو بتغير ما ألفوه من نماذج الرؤية ومباديء التقييم أو بعدم انتظام ما ساروا عليه من قواعد التوجيه ووسائل العمل والتدبير [73].

اهتمت مدرسة التحليل الثقافي للاعلام، بتحليل الخطاب الاعلامي من زاوية تأثيره في "خلق الوعي أو عملية تغييبه لدى الجمهور . وقد رأى ستيوارت هول Stuart Hall، أن وسائل

---

[72] جريبر، *سلطة وسائط*، 349.

[73] علي حرب، *حديث النهايات:فتوحات العولمة ومآزق الهوية* ( الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي،2000)، 6.

الاعلام لا تعكس الواقع وانما تقوم بانتاجه عبر المعاني والاختيارات الايديلوجية التي تنتجها وتروج لها" .

كما انه لا يستطيع نفي أن التأثير الايدولوجي بات أمراً مسلما به، فقد عمت الفكرة القائلة بوجود أيدلوجية منفردة و هي الرأسمالية التي تسود المجتمع، ولا تترك مجالاً فعلياً لمقاومة فعالة بما يعني التسليم بما تفرضه الأيديلوجية الرأسمالية المهيمنة، والجمهور المتلقي السلبي للرسائل الاعلامية التي تجسد تلك الأيديلوجية. والسائد اليوم هو الفرضية الايدلوجية المهيمنة the dominant ideology thesis التي تقلل من قدرة الأفراد على مقاومة الايدلوجيات الثقافية للمجتمعات الأخرى [74].

كما أدى دخول تقنيات المعلومات والاتصال الجماهيري، الى تطور هائل في سرعة انتقال الأفكار والثقافة عبر الأقمار الصناعية، وفي مضمار الفكر والثقافة كثر الحديث عن " الغزو الثقافي " و " الاستعمار الفكري "، وما شابه ذلك من اسقاط فكري وثقافي غربي على "الآخر"، وتراوحت الاسقاطات ما بين "الهيمنة الاقتصادية " وما لازمها من هيمنة عسكرية، وهيمنة سياسية، ومن ثم هيمنة فكرية وثقافية[75].

هذا الأسلوب الاعلامي الجديد أدى الى المزيد من التخصص والتمايز الاجتماعي المتزايد لدى المجتمعات المستهدفة . بالاضافة الى ادخال أساليب الحياة والمواقف الأخلاقية المتناقضة مع ثقافة تلك المجتمعات، والتي تفرض على المجتمعات التي تغزوها نمط حياة مختلف تماماً عن النمط السائد لديها، الى جانب عمل وسائل الاعلام على تحطيم المنظومات الاجتماعية التقليدية والمصالح الوطنية والهويات، وهو ما أدى الى تفجر اشكالية أزمة الهوية السياسية فضلاً عن الهوية الثقافية لدى العديد من المجتمعات [76].

فقد أصبحت وسائل الاعلام تؤثر على فئات عديدة من المجتمع، أبرزها التدخل في صياغة نمط حياة تلك المجتمعات. وقد عبر دوبريه عن هذه العلاقة خير تعبير " عندما تكون في حوزتكم جميع وسائل الاستماع و التأثير، تصبحون اعلاميا "عمياناً "، والسبب هو أ ن هذه

---

[74] شومان، *تحليل الخطاب*، 73– 77 .

[75] صادق، *مستقبل الدبلوماسية*، 27.

[76] مهنا، *الاعلام السياسي*، 119.

الوسائل أصبحت شفافة بالنسبة لكم. هنا يظهر الخطر في قدرة وسائل الاعلام على حجب الأهداف وحجب الأقوال[77] .

وقد ظهرت حديثاً ما تسمى ب "تكنولوجياالحشود". نتيجة للجدل والمناقشات الواسعة للطبيعة السياسية للرأي العام، الذي تم تحريره حديثاً من الاكراهات التي كانت مفروضة على حرياته، لا سيما حرية التجمع، ظهر المفهوم على يد كل من السوسيولوجي الايطالي سيبيو سيغل Scipio Sighele عام 1868–1913، والطبيب الفرنسي غوستاف لو بون Gustave le Bon عام 1841– 1931. تبنى هؤلاء الرؤية القائلة "بامكانية التحكم التوجيهي التضليلي في المجتمع" .

كما وضع سيغل دراسة بعنوان "الحشود المجرمة"، حيث يصف الكاتب ما يسميه بكل أنواع " العنف الجماعي للرعاع "، ابتداءاً باضرابات العمال وصولاً الى الثورات الشعبية، بلفه من توجيه وسائل الاعلام، ورأى أن كل حشد يجتمع فيه موجِهون وموجَهون، مرؤِمون ومَنومون، ويفسر مسايرة الفئة الثانية للاولى من تورو أو مساءلة، بقوة "الايحاء" التي تتمتع بها الفئة الأولى، وقد تجلت فكرة " تضليل الحشود" لديه بوصف الصحافي الذي يسميه صاحب "أدبيات الدعاوى القضائية" بانه يوجه قرائه "كعجينة لينة تظهر عليها بصماته بسهولة "[78].

تحدث ميشيل فوكو عن ما أطلق عليه " بالعدة التنظيمية التي تستثمرها السلطة من خلال الاتصال للسيطرة وتوجيه الجماهير . فالنموذج القائم على فكرة "البرج الرقابي، يصف طريقة الضبط التي تمارسها العدة التلفزيونية، والتي تظهر من خلال طريقة تنظيم المكان /الفضاء ، والتحكم في الوقت، والمراقبة المتواصلة للفرد، وضمان خلق سلوكيات ايجابية .

هذه الطريقة التي استوحاها فوكو من الفيلسوف جيرمي بنتام Jermy Bentham ، على شكل من أشكال السلطة الضبطية، تأخذ شكل آلة رقابية تتيح لها مراقبة الموجودين في الغرف الانفرادية المفصولة عن بعضها البعض، ورؤيتهم من دون أن يتمكنوا هم أنفسهم من مشاهدة من يراقبهم، فيصبح المراقبون هم الذين يمارسون فعل المشاهدة دون أن يراهم القائمون على مصدر الرسالة، مع فارق أن الفعل الرقابي لا يقوم على الضبط القهري، بل على آليا ت

---

[77] دوبريه، *محاضرات*، 25.

[78] ماتلار، *تاريخ نظريات*، 34– 35.

أخرى، كالابهار، والجذب، والاقناع . وبذلك يغدو التلفزيون " الآلة التنظيمي ة " أو " البرج الرقابي المعكوس " بعبارة الفيلسوف اتيان المان [79] . لا يمكن التقليل من عوامل التأ ثيرات الثقافية لوسائل الاعلام، فهي تنشأ وتؤدي وظيفتها ضمن بيئة ثقافية تسهم في تكوينها، وتوجيهها، فعملية نقل الأخبار وبثها شأنها في ذلك شأن أي نمط من أنماط الاتصال، وعملية جمع المعلومات تعتمد على معان وقيم مشتركة، وعلى احساس مشترك يقيم الصلة بين وسائل الاعلام والمتلقي [80].

ان أدبيات الاتصال الحديثة تركز على الوسيلة، كما أن وسائل الاتصال باتت تمثل أساس الثقافةالمعاصرة. يتردد القول كثيراً أننا اليوم في "عصر الوسيلة"، الا أن هذا القول يقوم على تسخير الوسيلة الاعلامية لخدمة الاهداف الثقافية، فالثقافة تستوعب وسائل الاتصال ب ينما تشمل وسائل الاتصال جزءاً محدداً ومحدوداً من الثقافة فقط.[81].

ان قدرات التلفزيون في احداث التأثير تجاه المجتمعات، لا تعني بالضرورة أن الرسالة الاتصالية هي العامل الوحيد والأساسي للتأثير، فعملية التأثير في ذاتها تخضع لعوامل متعددة، من بينها اتجاهات الأفراد وولاءاتهم وجماعاتهم وأطرهم المرجعية، بالاضافة الى عوامل أخرى كالانتباه والادراك والفهم والتذكر الانتقائي، أي أن هناك تأثير للافراد عل ى وسائل الاعلام من خلال تقبلهم أو رفضهم لما تبثه تلك الوسائل[82].

كما أن التلفزيون بفضل التقنية الفضائية الجديدة، ومن خلال تجاوزه الحدود السياسية بين الدول، أصبح قوة ذات فاعلية سياسية باعتباره مصدراً لتكوين انطباعات الناس ومعاييرهم

---

[79] ماتلار، *تاريخ نظريات*، 111.

[80] *مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية*، *الاعلام العربي*، 269.

[81] أي أن الثقافة هي من يوجه وسائل الاعلام ويدفعها لنشر قيمها ومعتقداتها، فوسائل الاعلام توضع في خدمة الثقافة وليس العكس. والنتيجة هي، ماذا تفعل الثقافة بوسائل الاعلام أو الاتصال ؟ وليس : ماذا تفعل وسائل الاتصال بالثقافة ؟ .عزي، *الثقافة وحتمية*، 15-34.

[82] عزي عبد الرحمن، *العرب والاعلام الفضائي*، سلسلة كتب المستقبل العربي.( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2004)، 65.

ووجهات نظرهم السياسية، فاذا كان التلفزيون قبل أن تتهيأ له ظروف البث الفضائي استطاع أن" يغير وجه الحياة السياسية، ويعدل العادات اليومية، ويكيف اسلوب حياة الناس، ويجعل الاحداث المحلية ظواهر عالمية "، فقد بات بفضل الاتصال الدولي الفضائي مهيئاً لاحداث آثار انقلابية في حياة المجتمعات، وفي التفكير السياسي، والوعي به على مستوى شعوب العالم قاطبة[83] .لا شك أن "الأختراق الثقافي" قد أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة المعاصرة . وبالنسبة لعالمنا العربي، فان هذه الهيمنة ليست جديدة ولكن الجديد فيها هو الاستعانة بأحدث التقنيات الاعلامية، وتسخيرها في خدمة هيمنة ثقافية مسيطرة [84].

لا شك أن الاعلام أصبح احدى حقائق العالم المعاصر، بل أصبح واحداً من أهم قوى تشكيل السلوكيات والقيم والعلاقات الانسانية والثقافية. كل ذلك يحدث بما يبثه الاعلام عبر قنواته المتعددة والمتنوعة من أفكار وآراء تتسلل في رفق وهدوادة الى أذهان الجماهير العريضة ، فتعمل على تغيير واقع حياتهم والأخطر من ذلك، أنه يغرس فيهم قيماً جديدة تزيح من أمامها كل أنماط القيم السائدة[85] . سبق لهبرماس أن تحدث عن القوى الخارجية التي تماس تأثيرها على الانسان، وأبرزها سلطة التكنولوجيا على الانسان، فهي تكشف عن وعي جديد يتخذ في نهاية الامر صورة "عقلانية تكنولوجية". فالعلم والتقنية تتوسع باستمرار حتى اصبحتا تسيطر على المجتمعات سيطرة تامة.

ويمكن القول ان البنيات المعرفية قد تصبح مستقلة عن الاهداف التي رسمت لها أو قامت من أجلها، وبذلك تصبح لها قوة فا علة ودور حاسم في اصدار القرارات . رأى هبرماس ظهور شكل جديد من السلطة اطلق عليها " السلطة التقنية أو العقل التقني "، وهي وسيلة من وسائل الكبت والاحباط التي عادة ما تكون مصحوبة بايدلوجية تهدف الى ترشيد وتوجيه السلوكيات. وهكذا اتخذ العلم والتقنية وظيفة لشرعنة السلطة[86] .

---

[83] عزي، *الثقافة وحتمية*، 67.

[84] عبد الرحمن، عواطف .2006. *الاعلام العربي: هل يقدر على حماية الثقافة* . مجلة العربي.عدد 577: 138-147.

[85] أبو زيد، *التكنولوجيا*، 142-147.

[86] هبرماس.1994. *مدخل تعريفي الى هبرماس في العلم والتقنية* . مجلة ابواب.عدد7: 59-70.

## الفصل الثالث

### السياسة الخارجية الأمريكية

عند دراسة السياسة الخارجية الأمريكية، يخلص الدارس إلى عدم وجود سياسة خارجية محددة المعالم للنظام ككل، أي عدم وجود منهجية واضحة يفرضها حزب أو فرد من جانب واحد. بالرغم من ذلك فقد شهدت السياسة الخارجية الأمريكية سيطرة بعض الفئات وتجلى ذلك في سياسة إدارة بوش وما نفذه المحافظين الجدد من سياسات خارجية اختلفت عن سياسيات الولايات المتحدة في السابق بما جلبته من كوارث على الولايات المتحدة.

وعلى مر تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية. منحت مؤسسات السياسة الخارجية العديد من الفئات الفرصة لتطبيق ما تعتقد به من سياسات ومعتقدات تتماشى مع رؤيتها[87]. وهكذا فقد نجد تبايناً واضحاً بين السياسات داخل المؤسسة الواحدة .

يرى جوزيف ناي (joseph Nye)، أن الرئيس بوش الأب أخذ من أفكار الواقعيين أمثال الرئيس ريتشارد نيكسون، كما استعار في ذات الوقت خطاب (Rhetroic) الرئيس وودرو ولسون(Wilson)[88].

كما برزت معالم التخلي عن استراتيجيات الحرب الباردة القائمة على الدفاع بعد أ حداث الحادي عشر من سبتمبر، وتم تبني استراتيجيات جديدة قائمة على الهجوم. وقد تحدث نائب الرئيس الأمريكي الاسبق ديك تشيني في خطاب وجهه لمجلس الشؤون العالمية بت اريخ 16 كانون الثاني/يناير 2004، عن استراتيجية الأمن القومي الجديدة وكيف تغيرت منذ هجمات سبتمبر، وأشار تشيني الى أن استراتيجية زمن الحرب الباردة التي تتمثل في الردع والاحتواء لم تعد كافية لمواجهة التهديد الجديد المتمثل حسبما أسماه " بالارهاب".

---

[87] هادي قبيسي ، *السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين : المحافظية الجديدة والواقعية* ( بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008)، 14.

[88] عدنان هياجنة، *دبلوماسية الدول العظمى في ظل النظام الدولي تجاه العالم العربي* ( أبو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1999) ، 11.

وعبر عن ذلك " أنه من الصعب ردع عدو جديد ليست له أرض يدافع عنها، ولا جيش عامل يمكن مواجهته ولا ممتلكات فعلية يمكن تدميرها لكي نعوقه ونحول دون شن هجوم علينا" [89]. وقد افترض اللجوء للضربة الوقائية التي تعني في عالم السياسة " القيام بهجوم أو بعمل مسبق لصد واسكات وتدمير تهديد محتمل لم تبرز عوامل تنفيذه والقيام به بعد[90] .

ان أجندة العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للدول هي أجندة محددة وثابتة وتتميز بترتيب محدد للقضايا أساسه هيمنة وأولوية قضية الأمن القومي بمعناه العسكري . ذلك أنه في ظل الفوضى الدولية فان الادارة العسكرية تصبح بمثابة الادارة المركزية لحماية الامن، ومن ثم فان الأمن القومي ينطبع بطابع عسكري واضح، وهو ما شاهدناه فعلياً بعد أحداث 11سبتمبر، اذ اعتمدت السياسة الخارجية الامريكية بشكل رئيس على القوة العسكرية التي عبرت عن السياسة الامريكية العسكرية في كل من أفغانستان والعراق[91] .

وهكذا، فقد تبنت ادارة بوش الحرب الاستباقية المبنية على النوايا فقط، والتي تفترض ضرب العدو قبل أن تكتمل استعدادته ويهاجم الولايات المتحدة . بينما أظهرت تلك السياسة أن الولايات المتحدة تنتهج سياسة تخالف كل ما يعلنه قادتها مثل ادعاءات الولايات المتحدة المتكررة حول نشر الديمقراطية، وقد أثبتت سياسة بوش فشلها بعد أن ثبت للعالم أجمع أن تلك السياسة هدفها السيطرة والهيمنة على الدول الأخرى بغض النظر عن ما تدعيه الولايات المتحدة من ادعاءات نشر الديمقراطية.

كما ازدادت صورة تلك السياسة فظاعة بعد احتلال العراق وتدميره، وازدادت سوءاً لدى اعتراف بوش الذي نزل كالصاعقة حين أعلن أن تلك الحرب كانت مبنية على معلومات

---

[89] سوسن عساف، *استراتيجية الردع : العقيدة العسكرية الامريكية الجديدة والاستقرار الدولي* (بيروت : الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2008)، 144.

[90] تُعرف الموسوعة السياسية الضربة الوقائية بأنها تعني" توجيه ضربة قاضية لقوات العدو الضاربة في قواعدها ومراكزها، للحيلولة دون تحويلها الى خطر هجومي يتهدد سلامة القوات التي عليها ان تاخذ زمام المبادرة لتكون البادئة بتسديد الضربة . وهذا الاصطلاح شائع في الاستراتيجية العسكرية الحديثة، لا سيما في صدد تدمير الأسلحة النووية لدى الدول الكبرى . عبد الوهاب كيالي واخرون، *الموسوعة السياسية* .ج7.( بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1994)، 706.

[91] محمد السيد سليم. 2005. *تطور الاطار النظري لعلم السياسة الدولية* . السياسة الدولية.عدد161: 46–51.

خاطئة، خاصة فيما يتعلق بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وثبت بعد انتهاء مهمة بوش أن أسفه الذي نتج عنه مقتل مليون عراقي وتهجير خمسة ملايين الى جانب مئات الالاف من اليتامى والأرامل، ثبت أن تلك التصريح انما يكشف عن مدى ما وصلت اليه الادارة الامريكية من استهتار واستهزاء بالشعوب الأخرى، وما تمنحه الادارة من فرص لالئك الاشخاص الذين يحملون أكثر الأفكار تطرفاً تجاه الدول والشعوب الأخرى[92].

تركزت سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية منذ الحرب الباردة ع لى الأحداث المتلاحقة في المنطقة، نظراً لما تمثله المنطقة من أهمية اقتصادية وإستراتيجية للولايات المتحدة . وأزداد هذا الاهتمام بعد بروز ظاهرة الحركات الإسلامية ليس فقط في المنطقة العربية، ولكن عبر جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وشمال أفريقيا.

دلت تصرفات الولايات المتحدة على تطبيق سياسة الاحتواء Containment ومنطق الدومينو(الهيمنة)، على مجريات الأحداث السياسية في العالم الإسلامي. لكنه من غير الواضح من هم الخصوم الذين يجب أن تواجههم هذه النظريات . ففي مضامين معينة، يبدو أن هناك بعض المخاوف المتعلقة بالإسلام السياسي كقوة سياسيةٍ وفكرية متنامية في هذه المنطقة.

على سبيل المثال، نقلت وسائل الإعلام الأمريكية عن دبلوماسي أمريكي تصريحاً يفيد بأنه" لو استطاع الأفغانيون والمتطرفون المسلمين السيطرة على طاجيكستان ، فهذا يعني أنهم قد وصلوا إلى الميدان الأحمر Red Square ( في قلب العاصمة الروسية موسكو )، وأن المصالح الأمريكيةٍ في طاجيكستان ترتبط بشكل أساسي بمساعدة روسيا في منع سقوط أولى أحجار الدومينو ( طاجيكستان) الغنية بالنفط واحتياجات الغاز والأسلحة ا لنووية وهو أمر في غاية الأهمية .

لكن التساؤل الذي يطرح في العلاقة ما بين الولايات المتحدة والإسلام هو حول المستهدف من السياسة الأمريكية، هل المستهدف هو الإسلام كعقيدة، أم هي الدول التي تسعى لتصدير بعض الأفكار الذي يعتقد الغرب وخاصة الولايات المتحدة أنها تهدد مصالحهم؟

---

[92] عساف، *استراتيجية الردع*، 208.

عادة ما تنفي الولايات المتحدة والغرب عموماً أن ينصرف تركيزهم في السياسة الخارجية على الإسلام "كعقيدة أو كأيدلوجية"، بل إن المستهدف في هذه الحالة حسب رأيهم هي الدول التي يعتقد الغرب أنها تقوم على تصدير بعض الأفكار الراديكالية. وقد انصب تركيزهم قبل أحداث سبتمبر على دول مثل العراق وإيران والسودان وكانت تطلق عليهم النعوت والأوصاف مثل محور الشر أو الانظمة المارقة...الخ. وقد تخوفت الولايات المتحدة من تصدير إيران للثورة نحو الخارج[93].

ومنذ أحداث 11 سبتمبر، دأب رسميو حكومة الولايات المتحدة نحو التوجه الى استخدام القوة العسكرية، وقد كادت أن تبلغ الأداة الرئيسية في السياسة الخارجية الأمريكية. فالاستراتيجيات التي دعت إليها إدارة بوش والقدرات التي تسعى لتوفيرها تؤسس لما هو أكثر من مجرد رد فعل على تهديدات تصفها الولايات المتحدة "بالإرهابية"، فبعد أن كانت تصر على استخدم استراتيجيات القوة العسكرية في حالات تعرض مصالح الولايات المتحدة أو حياة مواطنيها للخطر، أصبح بند استخدام القوة العسكرية قائمة على مجموعة واسعة من الاحتمالات والسيناريوهات المتوقعة وغير التوقعة في أنحاء العالم . مع ذلك فقد ثبت أن استخدام القوة العسكرية وترجيحها على السياسات الأخرى لم تجلب للولايات المتحدة الأمن والاستقرار اللذان ترجوهما الولايات المتحدة .

وقد بات واضحاً بعد أحداث سبتمبر الانشغال المهووس بحماية الولايات المتحدة من ما يسمى " الإرهاب"، وهو أمر قاد إلى الدخول في حربين ضد العراق وأفغانستان ولم تختف قوائم الدول والمنظمات التي وضعت كأهداف محتملة لحروب قادمة في عهد إدارة بوش ، لكن الجديد هو إدارة أمريكية غيرت من أسلوبها في التعامل مع دول العالم بما فـي ذلك تغيير النغمة العدائية ضد أنظمة لطالما اعتبرت مارقة كما هو الحال في تعامل الولايات المتحدة مع إيران[94] .

---

[93] كونينجهام، كارلا واخرون. "*الاصولية الاسلامية ونظرية الدومينو : قراءة في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الاسلام السياسي*"، 8-25.

[94] برأون سيوم، *وهم التحكم : القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين* . *ترجمة فاضل جتكر* (بيروت: شركة الحوار الثقافي،2004)، 17.

المبحث الثاني

كيف صنعت السياسة الخارجية الأمريكية قناة الحرة؟

منذ أحداث 11 سبتمبر التفت ماكينة الدعاية لدى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على استبعاد الأساليب التقليدية التي خاضتها الدول الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي هذه المرحلة الجديدة تم انتقاء واختيار الصحافيين الذين لديهم قدرة عالية على الجعجعة ودق طبول الحرب أكثر من غيرهم .

برز كثير من الصحافيين الذين تبنوا وجهات نظر السياسيين وصفاتهم ، بالإضافة إلى مشاركتهم المباشرة في التعبير عن ما يصدر من الجهات الحكومية من آراء ومواقف رسمية، بل قام هؤلاء الإعلاميين بالكثير من الأعمال الحمقى والتافه وتم تضليلهم بشكل ساذج [95].

بعد الحرب على العراق، نقلت وسائل الاعلام بعض الحكايات والقصص عن اتها مات ومحاكمات تعرض لها الصحافيون، اضافة الى فضائح تكشف عن تورط أجهزة مخابرات وشركات كبرى وحكومات وزعماء دول في عمليات خداع وافتر اءات وقع ضحيتها الاعلاميون، أو انقادو لها عن سابق اردة وتصميم.

هناك عمليات الرشى مقابل تقارير كاذبة أو الانخراط في عمليات تجسس على المستوى الدولي، أو لجوء الحكومات الى عملية ترويج لمواقف و اتجاهات مستخدمة صحافيين محترفين. فقد ظهر في عام 2005 أن ادارة بوش خلال فترة ولايته الثانية تورطت في عمليات دفع رشى الى الصحافيين بهدف اعداد تقارير زائفة ونشرها من خلالهم [96].

بعد أحداث سبتمبر وجدت الإدارة الأمريكية أن " الإعلام بالنيابة" مثل " الحرب بالنيابة" . من هنا بدأت تتحول من تقاليد عريقة في منظومة العمل الإعلامي الأمريكي على مدى عقود من الزمن، إلى نمط جديد يتقدم نحو ساحة الواقع ليحمل وجهة النظر الرسمية الأمريكية، وليعلن عن مرحلة اختبار الموقف الأمريكي الرسمي .

---

[95] David Miller and Mark CURITS, TELL ME LIES : propaganda and Media Distortion in the Attack on Iraq.( www. Pluto Books. Com2003) 4

[96] أبو بكر ملا.2011. *الاعلام والاخلاق: نماذج من انحرافات الاعلام الامريكية البريطاني خلال الحرب على العراق . المستقبل العربي* ، : 64-83.

وقد أدى تورط الولايات المتحدة في الحرب على العراق الى هذا التغيير والذي وجد صداه في المنطقة العربية نتيجة الحاجة المُلحة للقوات المحتلة في العراق، ولجأت الولايات المتحدة عبر استبعاد الأساليب القديمة القائمة على الطريقة غي ر المباشرة، ودون تزويق أو موارية ، وبانسجام مع ثنائية القوة والثروة إلى استخدام الاعلام المباشر في المرحلة الأمريكية الجديدة .

ومن أجل الخروج من قيود العمل الإعلامي القديم، أخذت الولايات المتحدة مبدأ المخاطرة في الدخول إلى الميدان، وأعلنت عن مرحلة جديدة من العمل الإعلامي خارج حدودها الإقليمية ، في إشارة إلى المرحلة الجديدة التي عبرت عنها التدخلات العسكرية المباشرة، تماماً كما حدث في أفغانستان والعرق. كما دل ذلك على فشل سياسة الاختباء خلف عباءة الآخرين، وقدرتها في الوقت ذاته على مباشرة خطابها الإعلامي بوسائلها وإدارتها الموسومة بعلامة " Media in U.S.A " .

وقد كان من أبرز النتائج لتلك السياسة المباشرة الجديدة إطلاق قناة " الحرة" الفضائية الناطقة باللغة العربية لمخاطبة الجماهير العربية والإسلامية بشكل مباشر ، واتسم ذلك بالخطاب الأمريكي المنادي شكلياً بإدخال الديمقراطية إلى المنطقة ورفض الثقافة الديكتاتورية، فهو دخل إلى المنطقة بعدوانية لم تعتدها شعوب المنطقة، فبدأ يتهم ثقافتها بأوصاف دنيئة كالدكتاتورية والتطرف والإرهاب ..!![97].

لوحظ مع بداية احتلال العراق، أن القوات الأمريكية من بين المواقع التي تقصفها وكالات الأنباء العاملة في العراق، وهي الوكالات التي تحاول نقل الصورة الى العالم، ففي خلال الأيام الأولى لسقوط بغداد دمرت الصواريخ الأمريكية مك اتب الصحافة الاجنبية وقتل وجرح العديد من الصحفيين . وباتت القوات الأمريكية تخشى الفضائيات العربية من نقل الصورة الحقيقية الى درجة توصلت الادارة الأمريكية الى قناعة انشاء قناة تستطيع أن تحل محل تلك الفضائيات، ويستطيع من خلالها الأمريكيون تزوير ما يشاءون من حقائق وصور المنطقة[98].

وقد أنشات قناة الحرة على غرار الإعلام الموجه وضد ما تصفه الولايات المتحدة بالأع داء، ويلاحظ أن الولايات المتحدة استعملت اسم القناة اقتباساً من قنوات مثل، اذاعة " أوروبا الحرة

---

[97] عزي، *العرب والإعلام*، 90–91.

[98] شميط، *امبراطورية المحافظين*، 281

" راديو الحرية " اللتان وجهتا لأوروبا الشرقية في ظل الصراع الايدلوجي الذي كان قائماً آنذاك بين كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً.

وربما كانت ترمز هذه الأسماء : الحرة أو الحرية الى تحرير شعوب تلك المناطق من قبضة ما كانت تسميه الولايات المتحدة بالأنظمة الشمولية أو المركزية، كما وجهت الولايات المتحدة هذه الاذاعات الى كل من ايران بعد اعلان الثورة في ظل الجمهورية الاسلامية ، وقبل أ ن توجه قناة الحرة الحالية ضد المنطقة العربية أنشات ما أطلقت عليه اذاعة صوت "العراق الحر " وهي اذاعة كانت مهمتها تهيئة العراقيين عبر الأثير لحقبة الاحتلال الراهن[99] .

وهكذا بدأت قناة الحرة التفلزيونية الأمريكية الناطقة باللغة العربية بثها بعد ظهر يوم الجمع ة الموافق 13 فبراير من عام 2004، بدأت القناة بثها اليومي بأربع عشرة ساعة يومياً من الأخبار والبرامج، وسرعان ما أصبحت تبث أربع وعشرين ساعة يومياً من الأخبار والبرامج على القمرين "عربسات" و "نايل سات" .

تخضع قناة الحرة في ادارتها الى شبكة تلفزيون الشرق الأوسط Middle East T.V Network ink، وهي مؤسسة غير تجارية وغير ربحية، بمعنى آخر تخدم مصالح قومية أمريكية ترعاها وزارة الخارجية الأمريكية ويمولها الشعب الأمريكي عبر الكونغرس.

كما تتلقى تمويلها بواسطة مجلس امناء الاذاعات الدولية The Broadcasting board of Governors:BBG، وهي الوكالة الفدرالية التي تدَعي أنها تعُنى بحماية الاستقلال المهني ونزاهة الاعلاميين ضمن مؤسساتها، وقد أثبتت في تعاملها الخارجية أنها عكس كل ادعاءاتها، فهاجمت القنوات الاعلامية الرئيسية عند قدومها الى المنطقة العربية، كما تعرض الصحفيون

في ظل وجودها في العراق الى أكبر أعمال اجرامية قادتها الادراة الأمريكية في المنطقة[100] .

---

[99] حسام شاكر. "*قناة الحرة الأمريكية .. الاعلام في خدمة الحرب* "(اسلام أون لاين .71 فبراير 2004). (نسخة اليكترونية). ( استرجعت بتاريخ 17 فبراير 2004).
www.islamonline.net/servlet/satellite?c=ArticaleA C&cid=1179664492286&page name=zone

[100] منى سعيد حديدي وحسن مكاوي وحسن عبد الشافي، *الفضائيات العربية ومتغيرات العصر :اعمال المؤتمر العلمي الأول للاكاديمية الدولية لعلوم الاعلام* (القاهره : الدار اللبنانية المصرية، 2005) ، 209.

يظهر اهتمام الادارة الأمريكية وعلى أعلى المستويات بالقناة الجديدة من خلال الحرص الذي أبداهُ الرئيس بوش عن الاعلان شخصياً على اطلاق " الحرة" الموجهة الى الشرق الأوسط ، في هذه المناسبة نتذكر الاقتباس الذي لطالما أثبت الرئيس بوش أن أقواله لا تعكس أفعاله . "هذه الفضائية ستنقل الى شعوب الشرق الأوسط الحقيقة عن قيم الولايات المتحدة ومبادئها .. من أجل اختراق الدعاية الحاقدة التي تملأ الأثير في العالم الاسلامي، ومن أجل تشجيع الحوار ..الخ، وبث رسالة التسامح والحقيقة " . وقد قصد بوش بالجهات التي تبث الدعاية الحاقدة كل من قناتي الجزيرة والعربية [101].

الى جانب تصريح بوش، امتدح القناة أيضاً كل من وزيرة الخارجية السابقة كونداليزا رايس والسيناتور جوزيف بايدن راديو سوا وقناة الحرة اللتين أنفقت الولايات المتحدة عليهما ما يقارب 200 مليون دولار بواسطة شبكة اذاعة الشرق الأوسط الأم (MBN) .

وفي مقابلة نشُرت مؤخراً في ذي أمريكان بروسيكت (The American Brosket)، قال كينيث تومبلنسون صديق كارل روف مستشار بوش عن القناة " كم يسوعني ما في امكانهم أن يفعلوه"، كما اعتاد تومبلنسون الثناء على موفق حرب المدير السابق للقناة[102] .

ان منح الصلاحيات الواسعة لادارة القناة من قبل الأمريكيين كشف مدى جهل الأمريكيين وعدم معرفتهم في المنطقة العربية، لدرجة ذهبت فيها الادارة الأمريكية الى منح صلاحيات واسعة للفريق العربي الذي يدير القناة على الرغم من استمرار فشل تلك الادارة .

ومنذ انشاء القناة ثارت الكثير من التساؤلات حول دور القناة في المنطقة وما قدمته؟ فهل قدمت القناة اعلاماً أمريكياً مميزاً باللغة العربية كي تنجح في التعبير عن السياسة الخارجية الأمريكية؟ وهل استطاعت أن تخفي موجة عمليات التشويه والدعاية السلبية ضد الولايات المتحدة والمنتشرة في المنطقة العربية؟ وهل ساعدت القناة كما أدعت الادارة الأمريكية في دعم التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية؟ ثم التساؤل الأهم والذي يكمن خلف انشاء

---

[101] شميط، *امبراطورية المحافظين*، 178

[102] ارت ليفين. *ما مصير قناة الحرة بعد الفشل المتلاحق لادارتها العربية ؟* " .9 فبراير 2006 ( نسخة اليكترونية ).

www.mafhoum.com/press9/264C33.htm

القناة وهو، هل ظهرت الحرة كوسيلة اعلام قوية ومنافسة للاعلام العربي كقناتي العربية والجزيرة؟.

يرى الكثير من المراقبين من بينهم الليبراليين الذين تطلعوا الى قناة على النمط الأمريكي ، الى القاء اللوم والفشل على ادارة القناة، وعلى رأسها موفق حرب ( المدير السابق للقناة )، والذي كما سبق الذكر مُنح الكثير من الصلاحيات التي لم يكن جدير بها.

هؤلاء الليبراليين الذين هاجموا القناة اعتقدوا أن القناة ستغير الكثير في ثقافة المنطقة التي أثبتت حتى الآن أنها عصية على كل أنواع التأثيرات الخارجية، ومن ثم توجه النقد الى السيد حرب الذي اتهموه بأنه يسخر القناة بصورة سلبية، مما يؤثر على صورة أمريكا وقدرتها على انتاج اعلام عربي منافس. فالحرة لدى هؤلاء الليبراليين ليست سوى قناة عربية تعكس رداءة الاعلام العربي وقضاياه[103] .

كما رأت الدكتوره صباح ياسين، أن التجربة الأمريكية في توظيف الاعلام اعتمدت على اللجوء الى اسلوب الاعلام الرسمي الموجه، وهو ذات الاسلوب الذي تعتمد عليه الدول الشمولية، حيث كان شائعاً في زمن الاتحاد السوفيتي السابق مع فارق بين الخطابين الأمريكي والسوفيتي في الشعارات الذي رفعها كل طرف مثل " حرية الشعوب المناضلة في مقاومة الامبريالية " عند الاتحاد السوفيتي، أو الشعارات الأمريكية مثل " حرية الشعوب من أجل الديمقراطية " .

من هنا يمكن تفسر خطوة" الأسلوب الحَذر " فيما كانت تعتمد عليه الولايات المتحدة في المجال الاعلامي غير المباشر تجاه المنطقة، والتي انطلقت من نقطتين، الأولى : مساندت اسرائيل ضد العرب. أما الثانية والأكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة، تتمثل في حماية التورط الأمريكي المتزايد في العراق.

من المعروف أن من بين أهداف الادارة الأمريكية من وراء انشاء قناة الحرة، هو تجميل صورة أمريكا في المنطقة العربية، فلا بد أن تعترف أنها خسرت نصف المعركة مقدماً، وثبت

---

[103] مجدي خليل ." *قناة الحرة ؟ لماذا فشلت* ؟

www.mafhoum.com/press9/264C33.htm

مع مرور الوقت أن القنوات والوسائل التي تعلن عن هوية مسبقة، أو التي أنشات لمناصرة طرف خارجي ضد المنطقة، وهي تعلن للمتلقي انحيازها المُسبق ودفاعها عن وجهة نظر أحادية معادية للمنطقة، إلى جانب استبعاد عنصري الموضوعية والحياد، أنها خاسرة مسبقاً.

وحتى أن وضعت الحرة الكثير من مساحيق التجميل هنا أو هناك ، فلن تستطيع أن تخرج من نطاق مهمتها كناطقة بلسم القوات الأمريكية في المنطقة، أو باسم الحاكم المدني الأمريكي في العراق.

وبالرغم من محاولاتها اليومية لعقد اللقاءات والبرامج مع المواطنين العراقيين في موقع الأحداث، فهي تبقى "أسيرة" السياسة الأمريكية وقيودها ولا تستطيع أن تقدم نفسها ودورها الا باعتبارها جزءاً من آلة السياسة والحرب الأمريكية على المنطقة . فهناك الكثير من القيود الأمريكية على القناة، وهي لا تنأى بنفسها عن نعت المقاومة العراقية بألفاظ لا تعبر إلا عن وجهة النظر الأمريكية مثل " الإرهابيين " و"القتلة" و " أعداء الديمقراطية" و" المجرمون " و" أعداء الشعب العراقي وبناء العراق الجديد " و" المسلحون الخارجون على سلطة الائتلاف القانون ..الخ[104].

وقد أعتمدت القوات الأمريكية في العراق على الأستعانة بجهات لبنانية لتدريب الإعلاميين العراقيين التابعين والداعمين للاحتلال الأمريكي في العراق، ومن أبرز الجهات التي ساعدت القوات الأمريكية في هذا الجانب محطة "ال . بي . سي" اللبنانية[105].

ربما يخطر ببال القارئ عن الحرة وإدراكه لواقعها الحالي مقولة " رُب ضارة نافعة"، فهي أثبتت حتى الآن عدم قدرتها على التعبير عن وجهة النظر الأمريكية، وفشلها في خدمة السياسة الخارجية الأمريكية، لا سيما خدمة الاحتلال الأمريكي في العراق.

وربما يصدق وصف الباحث العربي مأمون فندي في قناة الحرة بأنها "تبدو الحرة وكأنها متآمرة مع الإعلام العربي، الحرة قدمت الوطن العربي للعرب ولم تقدم لهم أمريكا، وهي لا تعكس زخم الإعلام الأمريكي والثقافة الأمريكية والقيم الأمريكية، وإنما هي صورة بائسة وباهتة للإعلام العربي".

---

[104] عزي، *العرب والاعلام*، 97–99.

[105] عيسى، *قراءة في ثقافة*، 85.

وكما ذكرنا آنفا، انصب غضب الكثير من أصحاب التوجهات الليبرالية على أداء الحرة، وهم توقعوها قادرة على إشباع حاجات المواطن العربي من المعرفة، فعند سؤال هؤلاء المتابعين للقناة، نجدهم لا يتورعون عن انتقادها بشكل جريء، فهي عندهم : مملة، بطيئة الإيقاع، ثقيلة الظل، جافة، بلا جاذبية ، وبلا روح .

كما أنها عند البعض صورة باهته لقناة الجزيرة، تفتقد للرشاقة والاحتراف، وقد عجزت عن إثبات هويتها كقناة أمريكية، ثم أنها لم تأت بجديد إلى المنطقة ولم تحقق السبق الصحفي، وقد أرجع البعض أسباب الفشل تلك إلى تصنيف العاملين فيها بالصحافيين من الدرجة الثالثة ، وحسب تعبيرهم تبدو قناة لبنانية ناهيك عن كونها أمريكية.

" وقد شبه بعض الليبراليين تسليم إدارة القناة للفريق العربي بأنه يشبه خطأ بول بريمر بقرار تسريح الجيش العراقي بعد سقوط نظام صدام حسين . فوجود تلك المؤسسات الإعلامية الضخمة بيد العرب على هذه الشاكلة كما يقول هؤلاء، يشبه وجود طائرة عصرية بيد محمد عطا أحد المشاركين في أحداث سبتمبر، فمن عرف الإعلام الأمريكي وعمل في واشنطن يشعر بالصدمة وهو يشاهد فضائية تخرج بهذا المستوى، فآخر ما توقعناه هو أن تبيع لنا واشنطن بضاعتنا الرديئة"[106].

---

[106] مجدي خليل *قناة الحرة لماذا فشلت؟*

www.mafhoum.com/press9/264C33.htm

المبحث الثالث:

كيف تقدم الحرة السياسة الخارجية الأمريكية؟

بتعبير أدق، كيف نفهم السياسة الخارجية الأمريكية في ضوء وجود الحرة؟ أو بكلمات أخرى، كيف تقدم الحرة نفسها عبر السياسة الخارجية الامريكية؟.

اذا نظرنا الى الإستراتيجية الأمريكية الحالية التي تعتمدها الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط، نجد بوضوح أن لدى الولايات المتحدة الأمريكية اعتماداً على منتج واحد، يتمثل في تسويق المجتمع والثقافة والقيم الأمريكية التي تروج لها الإدارات الأمريكية المتعاقبة في المنطقة العربية[107] .

فالسياسة الخارجية الأمريكية تصنع تبعاً لوسائل الاتصال الدولي، وتلعب الصورة المرئية دوراً بارزاً في ابراز تلك السياسة، وحسب شيليزنجر "فان القوات تتبع كاميرا التلفزيون (Troops follow the TV cameras)"[108].

غالباً ما كانت الولايات المتحدة تستعين بالإعلام أثناء تدخلاتها الخارجية وفي أوقات الحروب خاصة، ففي اثنا حرب الخليج الثانية استعانت القوات الأمريكية وقوات التحالف الدولي بشبكة CNN، وحملت إحدى الطائرات القتالية أثناء الحرب أحد مراسلي الشبكة، والذي بقي في العراق أثناء الحرب واستطاع الوصول إلى صدام حسين وإجراء المقابلة الشهيرة معه[109].

قبل ذلك، ومنذ عام 1945، ازدادت عدد الطبعات للإعلام الأمريكي التي تصدر في الخارج، وبلغ عدد طبعات (النيويورك انترناشيونال)، 35 طبعة توزع في كل بلدان العالم تقريباً [110].

واستخدمت الولايات المتحدة لنشر ما أسمته ب ( اتصالات ما وراء البحار )، الشركات

---

[107] فندي، *حروب كلامية*، 214.

[108] هياجنة. *دبلوماسية الدول*، 21.

[109] بيتر ارنيت،*الإعلام وحرب الخليج : دراسة شاهد عيان*. أبو ظبي: مركز الإمارات **للدراسات** والبحوث الاستراتيجية 1997)، 7.

[110] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 149.

متعددة الجنسيات، وهي تُشرف على استثمارات خاصة ومباشرة فيما وراء البحار بنسبة تقارب مائة بليون دولار .

تعتبر المنطقة العربية من بين المناطق التي استهدفها الإعلام الأمريكي في العالم، ووفقاً للرؤية الأمريكية، فان العرب تنقصهم المعلومات الموضوعية، وأن الولايات المتحدة يمكن أن تزودهم بالأخبار المتوازنة. إذ يعتقد الأمريكيون أن المشكلة التي تواجه المنطقة العربية بكل بساطة هي الافتقاد إلى المعلومات، فإذا عرف العرب ما يعرفه الأمريكيون فإنهم سوف يرون الأشياء بالطريقة نفسها، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على استخفاف بحق الإنسان العربي، فالتبريرات لا يمكن أن تنفي محاولة الولايات المتحدة بث التأثيرات الثقافية بواسطة قناة الحرة[111] .

وكجزء من إستراتيجية أمريكية للتأثير في الرأي العام العربي بشكل خاص و الرأي العام الاسلامي عموماً، تُستخدم الحرة عبر البث الدولي كأداة للدبلوماسية العامة بهدف إحداث ذلك التأثير، فعادة ما تسعى الدول من وراء اللجوء للبث الإذاعي الدولي، الى التأثير في قناعات ومعتقدات الشعوب الخارجية.

ذلك الاعتقاد السائد لدى الدول والذي يفترض أنها اذا استطاعت تغيير مواقف المواطنين في مجتمع ما، انما تريد من وراء ذلك التأثير في مواقف حكومات الدول عن طريق مواطنيها، اذ تسعى هذه القنوات لتكون بمثابة الصوت البديل عن القنوات الحكومية لتلك الشعوب، وهي تحاول أن تضرب قنوات الاعلام المحلية في تلك الدول، تلك القنوات التي تحاول منع التأثيرات الخارجية على مجتمعاتها[112] .

أدى تورط الولايات المتحدة في الحرب على العراق إلى التركيز عل ى بؤرة الحقيقة الدبلوماسية الشعبية والتركيز على العالم العربي، وهو أمر افترضتْه الحاجة العسكرية التي لا تحسد على وضعها في كل من أفغانستان والعراق.

---

[111] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 149–151.

[112] M.Clark, Andrew and Thomas B. Christie,.Molding public opinion in the Middle East: Understanding the Credibility and Effectiveness of the radio Sawa and Television Alhurra Among Audience in Egypt.issue1.vol.2. 23-37.

في المقابل كان للدور الفاعل لقناة " الجزيرة" في توجيه الرأي العام العربي والإسلامي عامل قلق بالنسبة للإدارة الأمريكية، وهو ما دفعها لإنشاء قناة مهمتها منافسة الجزيرة في توجيه الرأي العام العربي تمثل في ظهور قناة "الحرة" في هيئتها الحالية [113].

" ان الحرة هي مصطلح عربي يعني (الحرية الاولى)، وهي تتخصص بالاخبار والمعلومات والبرامج الحوارية والشؤون الجارية، حيث تدعي أن 35 مليون متابع معظمهم من البالغين الذين تتراواح أعمارهم ما بين (15–29) سنة، وتبلغ ذروة المشاهدين في كل من مصر والأردن ولبنان"[114] .

وهكذا اعتمدت الولايات المتحدة إستراتيجية الإرسال الدولي التي استخدمت بادئ الأمر لمواجهة الاتحاد السوفيتي السابق، واعتمدت على " خليط من راديو سوا وراديو العراق الحر على نسق راديو أوروبا الحرة / راديو الحرية" . وأطلق الأمريكيين على ذلك بالإستراتيجية الفضلى في إشارة إلى إنشاء قناة الحرة [115].

وقد تراوحت وجهات النظر من دوافع انشاء الولايات المتحدة " للحرة" بين الاعلاميين، فمنهم من رأى أن تحسين صورة الولايات المتحدة لدى العالم العربي والاسلامي هو سبب انشاء القناة، بينما رأى آخرون أن الترويج لمباديء التغيير في المنطقة العربية هو سبب الانشاء وهناك من أرجع السبب الى رغبة الولايات المتحدة في تغيير النظم العربية وترسيخ الديمقراطية الامريكية، الى جانب مواجهة قناتي العربية والجزيرة.

في حين طرح البعض مواضيع أخرى مثل تحرير العقل والفكر العربي وغرس مباديء الحرية، وتقديم الحقيقة بلا خوف أو قيود أو خطوط حمراء، ونظر اليها آخرون أنها اسلوب من أساليب الدعاية النفسية أو بوق جديد للدعاية الأمريكية في المنطقة العربية، وهي موزعة بالنسب المئوية على هذا النحو، 48% من الاعلاميين العرب ترى في الحرة أنها بوق جديد للدعاية الأمريكية في المنطقة . يليها رغبة الولايات المتحدة في تحسين صورتها في المنطقة العربية بنسبة 39% .

---

[113] *مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية*، 327.

[114] Look Andrew2006,23-37)

[115] حديدي، 230.

ما يثير الانتباه حقاً، هو أن الأعلام الامريكي خلال الحرب على العراق، والحرب على ما يسمى "الارهاب"، تحول الى اعلام شبيه باعلام دول العالم الثالث، أو ما يسمى بلعلام الحزب الحاكم أو القائد، فقد عانى الكثير من عدم الموضوعية والحياد، وأصبح يتبنى كل ما تقوله وجهة النظر الرسمية.

وتعرض الاعلام الأمريكي والتي كانت الحرة احدى أدواته الرئيسية بعد الحرب على العراق الى الكثير من الانتقادات . لاحظ جان كروز– موفد صحيفة الليموند الفرنسية الى واشنطن 2003، " أن المواطن الأمريكي يرى الحرب عبر شاشات التلفزة أو عبر الصحف والمجلات من منظار الجندي الامريكي والجيش الامريكي ووجهة النظر الرسمية، حيث طغت الدعاية على التغطية الاعلامية، فالمراسلون الذين التحقوا بالوحدات العسكرية الأمريكية لم يراعوا أية مسافة بينهم وبين الجنود، بل حرصوا على نقل مشاعر وأحاسيس ومعاناة هؤلاء الجنود.

يرى الاعلاميون العرب أن المضمون الاخباري لقناة الحرة يتعمد دائماً تزييف الحقائق وتقديم أدلة خاطئة وغير حقيقية، وتتفق هذه النتيجة مع ما تتبناه بعض النظريات الحديثة للاتصال، والتي ترى أن وسائل الاعلام ( قناة الحرة) في كثير من الاحيان غالباً ما تقدم بيئات زائفة الى عقول الجماهير pseudo-Environment.[116].

[116] حديدي، *الفضائيات العربية*، 228–114.

الفصل الرابع

## حجج وادعاءات انشاء قناة الحرة

تدعي الولايات المتحدة أنها أنشات كل من راديو سوا وقناة الحرة لتشجيع الأجواء الايجابية في منطقة الشرق الأوسط، أو ما تسميه الولايات المتحدة دمقرطة دول ا لمنطقة المعادية للوجود الامريكي.

وهكذا اعتمدت الولايات المتحدة بادئ الأمر في حربها على العراق على الوسائل الأمريكية المعروفة. ففي حين اقتحمت الدبابات الأمريكية بغداد في 9 أبريل/نيسان 2003، استسلم مشاهدوا التلفزيون في الولايات المتحدة لمشاعر لحظة الفرح الأولى في الحرب وهي لحظة إسقاط التمثال العملاق لما أسموه " الديكتاتور" العراقي صدام حسين[117]. والواقع أنه لا أحد ينكر القوة العسكرية التي تغلبت على الجيش العراقي بسهولة، مع ذلك أدركت الولايات المتحدة بعد هزيمة الجيش العراقي أن المعركة الحاسمة، والتي ثبت أن الولايات المتحدة خسرتها، هي معركة السيطرة على قلوب وعقول العراقيين وشعوب المنطقة العربية والإسلامية.

ففي مارس/آذار 2003، نشر مركز "بيو" استطلاعاً للرأي أظهر موقف الرأي العام العالمي من شن الحرب على العراق وعرض للإحصائيات والمؤشرات المقلقة التي بدأت في الظهور حتى في البلدان التي تعتبر حليفة لأمريكا منذ مدة طويلة. " فمنذ بداية العام 2002 تدنت النسبة المئوية للفرنسيين الذين يحملون وجهة نظر مؤيدة للولايات المتحدة من 63 إلى 13% فقط . في ايطاليا هبطت النسبة المئوية من 70 إلى 34% فقط، في روسيا من 61 إلى 28% . وفي تركيا من 30 إلى 12% . حتى في انجلترا فان 48% فقط من السكان يحملون وجهة نظر مساندة للولايات المتحدة بالمقارنة مع 75% في السابق".

لكن الأهم من ذلك كله هو موقف الشعب العراقي. فقد أصبح واضحاً بعد أيام قليلة من إسقاط تمثال صدام حسين، وبالرغم من الترحيب الذي أظهرته بعض الفئات من المجتمع العراقي بسقوط ما يسميه الغرب " الديكتاتور"، إلا أن الشعب العراقي لم يكن متلهفاً لإلقاء باقات

---

[117] شيلدون رامبتون وجون ستوبر، *اسلحة الخداع الشامل : استخدام الدعاية في حرب بوش على الارهاب* (رام الله : دار الشروق للنشر والتوزيع،2004)، 7.

الورود على الجنود الأمريكيين كما صورته آلة الاعلام الأمريكية، ففي مدينة النجف المقدسة " للشيعة" اغتال حشد غاضب من الناس رجل دين مسلم عرف بعلاقته الودية جداً مع الأمريكيين، وفي الناصرية تجمع حوالي 20 ألف شخص للتعبير عن معارضتهم للوجود العسكري الأمريكي.

وهكذا توالت هتافات الرفض للوجود الأمريكي، وهو ما دفع القوات المحتلة لإنشاء قناة تخاطب الجماهير الغاضبة والرافضة بغية تغيير قناعات الناس[118] .

[118] شيلدون، *أسلحة الخداع*، 12.

المبحث الثاني

الحرة.. تبني الخطاب الامريكي

عند الحديث عن الاعلام الأمريكي بشكل عام، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار، الحقيقة التي مفادها أن الدعاية والاعلام الأمريكيين تعتبران بمثابة جوهر الحركة السياسية، بل هي احدى الأدوات الرئيسية للسياسة الخارجية الأمريكية. لذلك يمكن القول أن هناك تلازماً شديداً ما بين الخط السياسي ووظيفة الأجهزة الاعلامية، بما يحقق لها أهدافها السياسية المرسومة. وعليه فاننا نستطيع وصفها بأنها فعالة ومؤثرة [119].

وتستعين الحرة بعدة تقنيات لدعم الخطاب الامريكي في المنطقة، بكل ما يرسخ هذه الاهداف من تقنيات الخطاب التي قال عنها فوكو (تقنيات الخطاب) بانها ظاهرة لسانية تشتمل على نصوص وكلام وتعبيرات كتابية وغيرها، كما تشتمل على الفكر الذهني سواء كان نثرا او شعرا، وقد تكون هذه تقنيات مكتوبة أو منطوقة وتستخدمها المؤسسات والافراد على حد سواء وتتناسب مع الفترة الزمنية التي قيلت فيها، كما تناسب المكان الخاضع للتأثيرات البشرية[120]. فهو يحمل دلالات مختلفة (الخطاب) ويدخل ضمن علم الاجتماع الحديث الذي يعبر عن التفلعلات الاجتماعية سواء المباشرة أو عبر وجود وسيط، كما أن له علاقة بعلم النفس كونه يسعى لتحليل الكثير من الخطابات عبر محاولة تحليل نفسية الذات المتكلمة[121]

كما ان الحرة في محاولاتها المستمرة تغيير واقع العراق تحاول المساس به عبر التلاعب في تقنيات المرئي من خلال تغيير بعض السياقات مستعينة باللعب في تقنيات التحليل مثل الصوت والصورة، واعادة ترتيبها من جديد وضمن سياق مختلف عن الذي قيلت فيه، وقد استخدمت في كل ذلك تقنيات مثل الحجب والعرض أو الاظهار واختيار الضيوف الذين يدعموا من وجهات النظر التي تتبناها بالاضافة الى اختيار السياقات ومحاور النقاش، الى جانب التحكم بالوقت المعطى للضيوف ومقاطعتهم عند الخروج عن السياق الذي تضعه الحرة لضيوفها[122]

---

[119] عبد الرزاق الدليمي، *الاعلام والعولمة* ( عمان: دار مكتبة الرائد العلمية، 2004)، 90.

[120] فوكو، *نظام الخطاب*، 8.

[121] يول براون، *تحليل الخطاب* ( الرياض:جامعة الملك سعود، 1997).

[122] بيير بورديو، *التلفزيون واليات التلاعب بالعقول* ( دمشق: داركنعان،2004).

في برنامج 7ايام الذي بثته الحرة بتاريخ 9-8-2009، وهو البرنامج الذي تناول زيارة المالكي لاقليم كردستان، ركزت الحرة على الطابع الرسمي للزيارة عبر تقنية بث الصور التي أخذت الطابع الرسمي من خلال عرض مراسم الاستقبال، أظهرت استقبال سلطات الاقليم للمالكي على أعلى المستويات مثل جلال الطالباني ومسعود البرزاني، واستعرضت الحرة مراسم الاستقبال الذي بدت للمتلقي العراقي انها استقبال بين زعماء دول وليس ضمن اقليم الدولة الواحدة، ثم صاحبت تقنية عرض الصور تناول مفاهيم لتعزيز نظرية وجود طرفين مثل "العلاقة بين الجانبين الكردي والعراقي"، ومفاهيم أخرى مثل ابراز الفروقات بين الاقليم والعراق من حيث التركيز على البنية المختلفة للطرفين من حيث التركيبة الاقتصادية للاقليم، أو الفروقات السياسية وما شابه.

وعند الحديث عن ذلك، فان الحرة استخدمت تقنية الصورة التي صاحبت الخطاب الايدولوجي_القومي للطرف الكردي، لدرجة أوحت للمتلقي العراقي انه أمام كيانين مختلفين عن بعضهما كل الخلاف. حدثت عملية ابراز الفروقات هذه مع تغييب وتجاهل واضح للمفاهيم المشتركة للشعب الواحد أو الدولة الواحدة التي تضم الجميع، كل ذلك يشير الى استخدام التقنيات من جانب الحرة لترسيخ وجهة النظر المبنية على التجزئة وتقسيم العراق في ظل خطاب مصاحب للصورة الموجه لمخاطبة المتلقي العراقي[123].

كثيراً ما تعمل الحرة عبر الدعاية المخطط لها من جانب الاحتلال، الى تعبئة وبث الكراهية ضد ما تسميه الولايات المتحدة "بالعدو". وهنا فان مفهوم العدو الذي تستخدمه الحرة وهو مفهوم أمريكي بالأساس، يعتبر واسعاً وهو يستخدم ضد كل من يعارض المشروع الامريكي في العراق، فهي تهاجم الغالبية العظمى من الشعب العراقي تحت مسميات مثل العدو والطائفية والارهاب والتكفيريين.

لكن عند الحديث عن تركيبة المجتمع العراقي، فاننا نجدها تركيبة طائفية بامتياز ما بين سني وشيعي أو قومية ما بين عربي وكردي.. وهذه التركيبات جميعها تتحدث عنها الحرة وتزجها في خانت العدو، وفي الحقيقة اذا سلمنا بهذه التقسيمات نتوصل الى حقيقة وهي أن الشعب العراقي كله يقف خلف كلمة "عدو" التي تستخدمها الحرة في خطابها. فقد حاربت القوات

[123] قناة الحرة. برنامج 7ايام. بتاريخ9-8-2009.

الأمريكية السنة في العراق تحت عنوان ارتباطهم بالقاعدة أو الارهاب أو الارتباط بالبعثيين، بينما حاربت الشيعة تحت مسمى الطائفية والعلاقة مع ايران..

وضمن هذا المفهوم لا يمكن ان يفهم من خطاب الحرة، الا انها تسعى لتحطيم ال روح المعنوية للشعب العراقي واخضاعه للمطالب الأمريكية المتمثلة باستمرار الاحتلال، الى جانب السعي للحصول على تعاون المحايدين في الشعب العراقي والحفاظ على صداقة الأصدقاء . وبالطبع فان كل ما تقوم به الحرة يتوقف بحد ذاته على نجاح المخطط الدعائي الذي يضع أسسه المحتل الأمريكي ويربطه بالتخطيط السياسي المتمثل باستمرار وجوده في العراق[124].

وفي الحقيقة، فان كل ما تقوم به الحرة في الشارع العراقي انما يعكس وجهة نظر سياسية بحتة، كما تعكس الواقع التي ترغب فيه السياسة الامريكية أن يكون هو السائد، وقد عبر دوبريه عن ذلك بقوله ان التلفزيون لا يعبر عن وجهة نظر شخصية بل يعكس وقائع الاحداث الجارية ويحاول فقط ان ينقلها، فهي بحسب دوبريه تحاول تصوير الواقع وليس البحث في الخلفية السببية للاحداث. وهكذا فان تعبير دوبريه يضعنا بالصورة الزائفة التي تحاول الحرة نقلها وترسيخها لدى المشاهد، وهي صورة لا تمت للحقيقة بصلة ما دام المقرر والعارض هو السياسي في النهاية [125]

وعلى الطريقة الاسرائيلية في التعامل مع الشعب الفلسطيني. تبنى الاحتلال الامريكي خطاباً سياسياً وتضليلياً عبر الحرة تجاه الشعب العراقي، فكما تشن اسرائيل حرباً شاملة لا هوادة فيها على الشعب الفلسطيني، ترمي من وراءها الى خلط الأوراق والحقائق وقلبها رأساً على عقب، وتحويل النضال والانتفاضة الفلسطينيتين الى "ارهاب" و"عنف" يبرر ويس وغ حق اسرائيل في مواصلة اجرامها، ومحاربة الشعب الفلسطيني تحت مسميات مشابه تماماً للخطاب الامريكي في العراق مثل القضاء على ما تسميه اسرائيل " الارهاب الفلسطيني "، كذلك تستلحم الأدارة الأمريكية عبر توظيف كافة أسلحتها وأجهزتها ونفوذها وبلطجتها وسماسرتها في الداخل العراقي والعربي بغية تزييف الحقائق وتغيير مسار الأحداث، وتحويل مفاهيم

---

[124] دليمي، *الاعلام والعولمة*، 72.

[125] دوبريه، *محاضرات*، 274.

رئيسية عبر الحرة مثل المقاومة والانتفاضة الشعبيتين في العراق ضد الاحتلال الأمريكي الى ارهاب و"قاعدة" و"خروج على القانون[126].

[126] لعب الاعلام الغربي والصهيوني دورا هائلا في تشويه وتزييف الحقائق وقلبها راسا على عقب ، وتحويل الحق الى باطل والباطل الى حق والضحية الى مجرموالمجرم الى ضحية .انظر: الجدل حول الارهاب في وسائل الاعلام الامريكية الاسرائيلية، 198.

المبحث الثالث

الأبعاد الاخلاقية للحرة

بدا الاعلام الامريكي في تعامله مع الشعب العراقي يؤسس لنظرية جديدة لا علاقة لها بالمباديء والأخلاقيات التي تدرس في معاهد الصحافة، أو تلك التي تُطلق كارشادات في صالات النقابات والجمعيات المهنية الصحافية لتذكر العاملين بالتزامهم " الأخلاقي"؛ باختصار، ان كل ما يُعنى به الاعلام الأمريكي في العراق من خلال أداته الحالية "الحرة" هو تطبيق نظريته التي تستند الى حق مُكتسب لقوة الاحتلال الأمريكي في أن تفعل شيء ما، وكل شيء ما دام هذا الأمر سيقود الى حماية الاحتلال من ما تسميهم الولايات المتحدة " بالاشرار " أو " الارهابيين " ...الخ

ان اسلوب الحرة في العراق كشف ودون موارية عن الوجه الحقيقي والمغاير لمسؤولية الاعلام الأمريكي وما يدعيه من مباديء وقيم، فقد أصبح مبدأه الأخلاقي الوحيد يتمثل في ايجاد المبررات والمسوغات للاحتلال الأمريكي في العراق، وبالتالي ضمان ميل أو انحياز التغطية الاعلامية الى التكيف مع رأي الم سؤولين، وذلك بهدف تقديم منظور قومي للاحتلال عبر اضفاء الشرعية على ممارساته الاجرامية بحق الشعب العراقي[127] .

دأبت الحرة باستمرار، ان تحدد هوية المنفذين للتفجيرات التي تستهدف الشارع العراقي ، انطلاقاً من تحديد هويتهم الطائفية أو انطلاقاً من تقسيم الفئات العراقية هذا مع وهذا ضد ، فعادة ما نجد الحرة تتحدث عن العنف الطائفي وتربط ذلك بان المستهدفين من ا لتفجيرات هم ابناء الطائفة الشيعية، والحديث يوحي أن هناك طائفة أخرى تستهدفهم بينما تربط الطائفة السنية بما يحدث من خلال اتهام السنة بعلاقاتهم بالقاعدة وبالنظام العراقي السابق [128].

ففي اعقاب التفجيرات التي تعرضت لها كل من وزارتي الخارجية والمالية العراقية في 9-8-2009 ، خصصت الحرة في اليوم التالي برنامج " ساعة حرة " لمناقشة موضوع

---

[127] روبرتسون، *الاحتلال الامريكي*، 33.

[128] حنين صادق. "*التفجيرات في العراق..*" *ابتزاز سياسي*" أم "*انتقام*" أم "*قتيل حرب طائفية*"؟. منتديات درة البحرين : منتدى القضية الفلسطينية والعراقية". 10-5-2009 ( مسخة اليكترونية). (استرجعت بتاريخ 10-5-2009).

http://www.durbah.com/vb/t55404.html

التفجيرات، وتعليقاً على التفجيرات ربط مقدم البرنامج بين تلك التفجيرات وبين الاتهامات المتكررة للمجلس الاعلى للمقاومة العراقية وهو المجلس التي تقوده الطائفة السنية ويمثل التيارات الاسلامية الذي يمثل المجلس الاعلى عنواناً لها، وهنا فان الحرة تحاول تغليب الطابع الطائفي للتفجيرات بالتذكير أن المجلس الاعلى هو المتهم دائما بهكذا تفجيرات، في ذات الوقت الذي تحاول الحرة نفي التهمة عن الاخرين والذين اشارة اليهم في صيغة الضحايا.

الى جانب ذلك، كان العنوان البارز على الشريط الاخباري للحرة يقول" هذه التفجيرات هي الأعنف بعد تخفيف الاجراءات الامنية" وهي بذلك تربط بين تخفيف الاجراءات الامنية وبين الفوضى والعنف الذي يتعرض له الشارع العراقي، وبين التفجيرات وبين اتهامات المجلس الاعلى للمقاومة بهكذا اعمال، في طريقة واضح ان الهدف من وراءها هو تأجيج الحرب الطائفية وتقوية القبضة الامنية من جانب الاحتلال التي لم تأت الحرة على ذكره في تلك النقاشات في مشهد غيبت فيه الحرة كل الدلالات التي تدينه، وهو مشهد يوحي أ ن القوات الامريكية لا تحكم العراق وأن المسؤوليات الامنية تقع على القوات العراقية.

وهنا عززت الحرة ارتباطات الطائفة السنية بما يجري من خلال أحد ضيوفها وهو النائب عن الائتلاف العراقي الموحد فالح الفياض، وهو يمثل الائتلاف الشيعي الذي يعتبر من أكبر الكتل الشيعية التي توجه الاتهامات للطائفة السنية وتربطها بالتكفيريين والصداميين ، ومن بين العبارات التي عززت ادعاءات الحرة في اتهام الطائفة السنية، أن النائب عن هذا الائتلاف قال" وأنا أضع هذه الجرائم التي استهدفت العراقيين في هذا اليوم في ذات المسلسل، وأ ن الفاعل هو ذات الفاعل الذي حارب وقتل ابناء الشعب العراقي سابقاً، وأن الفكر التكفيري الطائفي والبعث الصدامي هي القوى التي تقف في وجه التحرر هي التي تقف خلف تلك التفجيرات" ، والحديث واضح، فقد ارتبط ذكر القوى التكفيرية بالطائفية؛ أ ي الربط بين الطائفة السنية المتهمة بعلاقاتها مع التكفيريين والبعثيين حسب النائب الذي ر بط ذكرهم بالطائفة السنية المؤيدة لحزب البعث، ثم دعمت الحرة هذه الفرضية بقولها ان الأجهزة الأمنية في بغداد أعلنت أن التحالف التكفيري البعثي هو الذي يقف خلف تلك التفجيرات.[129].

في النهاية فان المتلقي لا يصل الى تحديد الجهة المنفذة للاحداث، والتي ضيعتها الحرة في ثنايا خطابها بين ما هو طائفي وارهابي وبين ما هو اقليمي وتكفيري . ان التقنية التي تسير

[129] الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ10-8-2009.

عليها الحرة لقلب الحقائق في الشارع العراقي تتمثل في تغييب الحقيقة بين ما هو طائفي وارهابي..الخ انها تسير حسب خدعة ما يسميه جاك الون "بالتشفير الديمقراطي لوسائل الاعلام"[130] . بمعنى أن الحرة تتيح المجال للمشاركة والتعليق على بعض المرئيات أو الأحداث وتمنح حرية التعليق عليها، انطلاقا من تمريئة أو نظرة لها، مما يقلل خيارات الرؤية وخيارات التعليق على ما هو مرئي من خلالها، " فالرؤية تحصل أو تتحقق هناك حيث يبدأ مرئي في أن يرى، ويصبح مرئياً لنفسه، وبواسطة رؤية كل الاشياء[131] .

وتاكيداً على ما تسميه الحرة بالحرب الطائفية في العراق، عرضت الحرة خلال برنامج 7 أيام بتاريخ 16-8-2009، صور مشاهد مدمرة لما وصفته الحرة بانه التفجير الذي استهدف عمال بناء في المنطقة التي تسكنها أقلية من طائفة الشبك الشيعية وبعض الأكراد، صاحب عرض تلك المشاهد تأكيد مقدم البرنامج للاسباب الطائفية للانفجار قائلا لضيف البرنامج وهو استاذ العلوم السياسية في جامعة بغداد عبد الجبار أحمد،" كيف تقرأ العودة الى موضوع العنف الطائفي في العراق؟ ثم تلاه تقرير عرض الحالة الانسانية للضحايا وصورة بعض العمال والمسنين الذين قال عنهم التقرير أن الانفجارات استهدفتهم، بعد ذلك علق ضيف الحلقة بان الطرف السني غير راض عن التركيبة السياسية الحالية في مشهد درامي يوحي للمتلقي أ ن الطرف السني يمارس نوع من انواع الارهاب ضد الطوائف الاخرى الذي استهدفتها التفجيرات، حدث كل ذلك مع غياب ذكر الجانب الامريكي الذي بدا انه غير مطلع على ما يجري في العراق، بل ذكرت الحرة الموقف الانساني للولايات المتحدة من تلك التفجيرات وأن الولايات المتحدة تستنكر التعرض لعمال البناء الذي استهدفهم التفجير.

في تلك الموقف عرضت الحرة الج انب الانساني للجهة المستهدفة مع تغييب واضح لذكر الجهات السياسية التي استهدفها التفجير وهي بعض مقرات الأحزاب في تللك المنطقة وأ كدت على الحرب الطائفية عبر تحديد سكان المنطقة المستهدفة وهم- شيعة وأكراد- مع ربط الطائفة السنية بعدم الرضا عن التشكيلة السياسية الحالية.

كما استخدمت الحرة تقنيات الصورة عبر اظهار بعض العمال وكبار السن الذين وصفتهم الحرة بانهم ضحايا التفجير[132]. وعرضت في مشهد انساني تزيد منه كل صورة عن سابقتها

---

[130] جاك الون، *خدعة التكنولوجيا* ( القاهرة: مكتبة الاسرة، 2004)، 469

[131] بونتي ميرلو موريس، *العين والعقل* ( الاسكندرية: منشأة المعارف،1989)، 19-20.

[132] الحرة. برنامج 7 ايامز بتاريخ 16-8-2009).

تأثيراً، فالصورة تحمل الموقف والفعل، وهي تحرم المتلقي(العراقي) من الحركة جسديا وذهنيا لدرجة تجعله يسلم بكل ما تقوله رواية الحرة عن التفجير.

وصف ماكلوهن التلفزيون بانه يحدث فعلته أو تأثيره عبر عرض تسلسل الاحداث . فقد هدفت الحرة من وراء عرض مشاهد الدمار والحالة الانسانية للعمال وكبار السن الى التسليم من قبل المشاهدين بالقصة المصاحبة لتلك التفجيرات والمعدة سلفاً من جانب الحرة، كي يستنتج المتلقي بان الطائفة السنية تمارس نوع من الارهاب على الطوائف الاخرى، الى جانب أ ن الطرف الامريكي اقتصر دوره على الحالة الانسانية، مع تغييب واضح للحديث عن وجود القوات الامريكية في المناطق التي تعرضت لها التفجيرات، وبالتالي فان القصة السائدة حسب ما رسمتها الحرة هي الحرب الطائفية الجارية في العراق[133].

[133] MACGLUHAN MARSHALL, *Understanding Media*.( New York: Mcgraw-hill.1964), 312

المبحث الرابع

الحرة .. فزاعة الاحتلال

يمكن فهم بث المخاوف التي تطلقها الحرة بين الفينة والاخرى بشأن تردي الأوضاع الأمنية في العراق، بانه نوع من أنواع التضليل الذي تمارسه القناة خدمة للاجندات السياسية، خاصة أن تلك التصريحات تنسجم تماماً مع تلك الفزاعة التي لطالما نادى بها الاحتلال، فهو يسعى لخلق المزيد من المبررات من أجل البقاء أطول فترة ممكنة في العراق وفي المنطقة العربية، فهذه التصريحات التي تبثها الحرة تريد أن تبعث رسالة واضحة باسم العراقيين بقولها للمحتل" لا ترحل.. والا فسوف تحل مكانك الدول المجاورة.. وهي ذات الرسالة التي تريد الادارة الأمريكية سماعها من العراقيين.

خلال برنامج الجهات الاربعة بتاريخ 22-8-2009، علق مقدم البرنامج على التفجيرات التي استهدفت وزارتي الخارجية والمالية العراقية بنوع من التهويل وارهاب العبارت التي تحمل شحنة من الخوف والرعب لما هو قادم بعد الانسحاب قائلاً " أطنان ضخمة من المتفجرات استهدفت وزارات بعينها" وهي جملة صاحبت حركة يدي المقدم اللتان اشارتا الى الحجم الكبير للتفجير. هنا نلاحظ أن التأثير في نفوس المتلقي صاحبه عملية تهويل بايماءات واشارات هدفت جميعها الى زرع الخوف في نفوس العراقيين، صاحب تلك العملية الحديث عن أوكار الارهاب داخل العراق الذي قيل أنها هي من يخطط لتلك العمليات ، كما زج الخطاب الدول المجاورة التي تسعى لفرض سيطرتها على العراق بعد الانسحاب على حد قول المتحاورين.

نلاحظ أن الخطاب العنيف الذي تناوله الضيوف تزامن مع حركات وايماءات تعبر عن فظاعة طرف ما، وهنا تم الاشارة الى أطراف قد تكون غير معروفة للكثير وهي الاطراف التي تدعى" بالعدو"، الا أن الحديث عنها كان بعبارات مبهمة مثل أوكار الارهابيين الذين صاحبه الحديث عن رغبة الدول المجاورة في فرض سيطرتها على العراق. كل ذلك الحديث تزامن مع التفجيرات التي تتعرض لها المدن العراقية [134]. وهكذا يمكن القول، أن الحرة من خلال استغلال حادث أو حوادث معنية قد تكون بسيطة، ولكن يتم استغلالها بنجاح من أجل خلق

[134] قناة الحرة. *برنامج الجهات الاربعة*، بتاريخ22-8-2008.

أزمة تؤثر في نفسية ما تسميه "العدو" وتستفيد منها الدولة المستخدمة لهذا الأسلوب، تحاول تنفيذ ما عجزت عنه الآلة العسكرية[135].

وهكذا فان الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تبقى في العراق تحت ستار النداءات التي تبهثا عبر الحرة، بمظهر من يستجيب لرغبات الشعب العراقي الذي يتعرض لهجمات يومية من قبل من تصفهم الحرة "بالارهابيين". وأن مهمة هذه القوات (المحتلة) باتت تتمثل في توفير الحماية للشعب العراقي من هؤلاء الارهابيين. وفي هذه الحالة فان تقنية التضليل تحقق الهدف المرجو منها وهي تقنية لا تتورع القناة عن استخ دامها باستمرار [136] . تستخدم الولايات المتحدة والجيوش المعادية في حربها النفسية أساليب عدة لضرب الخصم، من بينها الدعاية التي تقوم على استخدام وسائل الإعلام الحديثة من نشر وترويج للأفكار والمعتقدات والأخبار التي تود نشرها وترويجها بغرض التأثير في نفسية الأفراد وخلق اتجاهات معينة لديهم . والدعاية كأحد أساليب الحرب النفسية تأخذ أشكالا متنوعة طبقا للأهداف.

تستهدف الدعاية التي تقوم بها الحرة في المقام الأول بث الفرقة، وعدم الوئام بين صفوف الخصم ووحداته المقاتلة أو في صفوف المقاومة، فهي تسعي للتفريق بين الخصم وحلف ائه وبين الحكومة والشعب وبين القادة والجنود ، وتقصد من وراء ذلك كله تفتيت الوحدة وتفريق الصفوف ليسهل لها النصر. ومن بين الأساليب التي تستخدمها الولايات المتحدة في حربها على العراق اسلوب الإشاعة، من خلال المبالغة في أخبار معينة والترويج لها ونشرها على نطاق واسع أو خلق أخبار لا أساس لها من الصحة، بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقاً لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية[137].

من الواضح أن الحرة تخلط بين التقنية والخطاب الايدولوجي الذي تحمله رسالتها الاعلامية، وهنا نستذكر مقولة بورديار أن وسائل الاعلام تحمل في ر سالتها ايدولوجية ناعمة، ويمكن

---

[135] أن علماء النفس وخبراء الحرب النفسية يجمعون على أن الحرب النفسية " تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من الإيمان الحق، ومن العقائد الثابتة وذوي الوعي السياسي الضيق وغير المثقفين ". سمير محمود قديح. *الحرب النفسية على العراق وطرق التصدي لها* .(نسخة اليكترونية)،(استرجعت بتاريخ4-4-2003)

(www.alarabnews.com/alshaab/GIF/04-04-2003/t18.htm)

[136] قناة الحرة. نشرة أخبار السادسة مساء. بتاريخ22-8-2009.

[137] سمير محمود قديح. الحرب النفسية على العراق وطرق التصدي لها .(نسخة اليكترونية)،(استرجعت بتاريخ4-4-2003) www.alarabnews.com/alshaab/GIF/04-04-2003/t18.htm

فهم ذلك بان وسائل الاعلام هي مؤسسات قائمة على بنية معقدة من العلاقات، وهي تمثلاً لنسق خفي حسب تعبير فوكو، ونظام غير معلن له أهدافه ومصالحه، فليس من الضروري أن تعبر الحرة بطريقة صريحة عن التوجهات الايدولوجية في الشأن العراقي، ولكن من المهم النظر الى الخطابات التي تنتهجا الحرة في شكلها النهائي، ونشاطها اليومي التي تحاول تثبيته في عقول العراقيين على مدار الساعة[138].

أن الولايات المتحدة تستند الى الحرة في حربها الاعلامية على العراق، مستخدمةً في ذلك الاعلام كأحد التكتيكات لاستمرار وجودها، والذي يتمثل دوره في "نفخ العدو "، واظهاره بمظهر العدو الذي له جيش خطر متمرس يتطلب قهره جهداً وعتاداً[139].

تتمثل مهمة الحرة الاولى في العراق من خلال خطابها، في قدرتها على تشكيل الدلالات الاولى عن واقع ما، أو رسم واقع عراقي جديد، وقد يظهر عدم التجانس في عملية التشكل التي تقوم بها الحرة، لكن عدم التجانس هذا مرده الى اسلوب الحرة ذاته، التي تحاول توظيف الدلالات الرمزية لخدمة استراتيجية الاشباع والازاحة للخطاب، وبالتالي التأثير في الواقع المشكل.

وعبر استخدام الحرة للمدلولات الرمزية فانها تحاول تشكيل صورة الواقع الذي تريد نقله بيسر الى عقول العراقيين، وقد أصبحت هذه الرموز فاعلة نتيجة تأثيرها على مجريات أمور عديدة في الساحة العراقية، من بينها التأثيرات التي خلقتها في نفوس العراقيين حول قضايا محددة، منها محاولة ترسيخ التركيبة الطائفية وتمسك بعض الفئات باستمرار الاحتلال نتيجة ما تبثه من مخاوف في نفوس العراقيين قد تترتب عن انسحاب القوات المحتلة. وهكذا فان الحرة استطاعت أن تحقق نوع من النجاح حينما قامت " بصناعة علاقة بين الموجود الفعلي والتصور.

ما تقوم به الحرة في الشأن العراقي خاصة وفي المنطقة عموماً، هو محاول ة م نح الناس الطريقة التي تراها الادارة الامريكية مناسبة لتحقيق الاهداف التي تسعى الادارة الامريكية لتحقيقها، وهي العملية التي تتم بشكل مبرمج أساساً من جانب الاحتلال الذي يقدم رؤيته لما يمكن أن تكون عليه الامور في الساحة العراقية . فلحيانا، فعبر الحرة نجد أن الاحتلال يلجأ

---

[138] شاكر عبد الحميد، *نظام الخطاب* ( بيروت: دار الفارابي، 2007)، 8.

[139] قناة الحرة *نشرة اخبار السادسة*، بتاريخ 29-7-2009 .

الى استبعاد بعض الفئات المناوئة لوجوده في مقابل تعزيز وجهات نظر الفئات الأكثر قبولاً لتحقيق مصالحه المتمثلة بلطالة وجوده في الساحة العراقية، فهي تلقي الضوء على القضايا التي تخدم مصالح المحتل وتتجنب الحديث عن القضايا المناوئة له. وهنا يظهر للمشاهد أن ما تقدمه الحرة عن الساحة العراقية وعن المنطقة على انه الحقيقة لا يعكس سوى وجهة النظر الامريكية. مع ذلك فقد فشلت الحرة فشلت فشلاً ذريعاً في اقناع العراقيين بوجهات النظر الامريكية والتي تحاول ان تُفرض عليهم كُمسلمات لا يمكن التشكيك فيها. فهي تحاول ان تنقل للمشاهدين الواقع بشكل مشوه من خلال نقل أمور لا تنم للحقيقة بصلة، وذلك بما يخدم مصالح القناة والجهة التي تقف خلفها.

كما تحاول الحرة رسم الواقع العراقي الجديد عبر تأثيرات الصورة التي ت بثها للمشاهد العراقي، وهي تعلم أن الصورة المرئية تنتج صيرورة الرموز والصور الذهنية عبر التشكيل الذهني للمدلولات، " فبين الوجود الفيزيائي والتصور العقلي وتشكل الرموز تنتج ثقافتنا"[140]. ولم تنأى الولايات المتحدة عن استخدام اسلوب (التضليل) في حربها على العراق بوصفه أحد أدوات الهيمنة الخارجية، الذي أصبح الى جانب استخدام القوة العسكرية أحد أدواتها الرئيسية المفضلة في تعاملها مع الدول التي احتلتها كالعراق وأفغانستان[141].

فعندما تستخدم الحرة تقنية "الرسائل" أو الأوامر، فانها تسعى لشرعنة خطابها الساعي للتجزئة، والذي يتزامن مع تغييب واضح للخطابات الأخرى التي لم تظهر للمشاهد نتيجة احتكار الآلة الاعلامية من قبل هؤلاء الساعين لفرض وجهات نظرهم، وهنا فان الحديث عن وحدة العراق حتى وان نادى بها الكثيرون، يغييب نتيجة التغييب الواضح في خطاب الحرة ، والسبب يعود أن الحرة استخدمت تقنية " التغييب" من أجل طمس تلك الاصوات المنادية بالوحدة.

ففي ظل هذه التقنية"التغييب" فان كل ما يراه المتلقي عبر الشاشة، هي مفاهيم التجزئة التي تحاول أن تطغى على خطاب الحرة، وذلك لاضعاف تركيبة المجتمع العراقي الذي ت ظهر ه الحرة انه بحاجة للوجود الامريكي للمحافظة على المساواة، وضمان التوازن بين التركيبات العراقية المختلفة. وهنا فان خطاب حماية العراقيين والحفاظ على التركيبة القائمة – وان كان غير موجود فعلياً– يسود على حساب مفاهيم الوحدة وخروج القوات ..الخ، وهي أمور تبدو

---

[140] JOHN FISK and JOHN HARTLEY, Reading TELEVISION. ( NEW York: Methuen&Co.Itd,1982),p38.

[141] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 8.

سهلة على من يقوم بها ما دام يمتلك كل من الوسيلة والتقنيات والخطاب الايديولوجي، وهنا يكمن خطر الحرة في امتلاكها لوسائل التأثير.

وهكذا استخدمت الحرة تقنيات"التأثير" لكي تنتج قيماً وسلوكيات جديدة، وهي تأمل أن تصبح هذه القيم والسلوكيات مقبولة ومعتمدة لدى الشارع العراقي، مما يعني أن الفضاء الاعلامي يعتبر منتجاً لاحداث جديدة" منتج لوسط كيميائي " تتفاعل فيه أنساق مختلفة من السياقات والمفاهيم الجديدة على الشعب العراقي، وكل ذلك يتم عبر انتهاج خطاب واحد يكون بمثابة المخرج النهائي، والمعبر عن منظومة القيم التي تسعى الحرة أن تفرضها على العراقيين.

كما استخدمت الحرة لتنفيذ أجندت الاحتلال الأمريكي تقنيات مثل" الحجب والاختيار"، تمثلت في حجب جميع الوقائع التي تدعم استمرار وحدة العراق، وانتقاء المفاهيم التي تعزز عوامل الفرقة بين الشعب العراقي. يمكن القول، أن التوافق بين الخطاب الاعلامي الذي تروج له الحرة وبين الاهداف الامريكية في العراق مرده الى أن فكرة انشاء الحرة تعود أساساً لخدمة الاهداف الامريكية . لذلك، فان النظر الى الحرة باعتبارها كيان مستقل عن الوجود الامريكي في العراق هو بالاساس فكرة غير منطقية، فالمهمة التي تطلع بها القناة تتمثل في خدمة الاحتلال أولا وأخيراً، وهي فكرة يجب أن لا يغفلها كل متتبع للقناة. وبحسب ماكلوهن فانه لا يمكن فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية بدون المام وادراك عمل وسائل الاعلام[142].

في برنامج الجهات الاربعة بتاريخ 22-8-2009، كان النقاش الذي يدور عن التدخلات الخارجية في العراق يحمل صيغة الأوامر التي يفرضها خطاب الحرة على الدول المجاورة، أكد ضيف البرنامج " رضوان زيادة " أن العمليات التفجيرية التي تستهدف الشارع العراقي، تنطلق من داخل العراق، لكن الذي تطلبه العراق وتطلبه الولايات المتحدة من سوريا هو التعاون الاستخباراتي السوري، فيجب على سوريا أن تقدم معلومات استخباراتية عن الوضع.

صاحب حديث زيادة أن أكد الضيوف الذين كانوا يمثلون لوناً سياسياً واحداً التأكيد على كلام زيادة بايماءات وحركات الرؤوس، هنا يلاحظ أن الحرة تحاول الحديث باسم الحكومة الامريكية من خلال تعبيرات مثل" ما تطلبه الحكومة الامريكية من سوريا"، وذلك في صيغة أوامر تحاول الحرة اصدارها للدول المجاورة بان عليها التعاون مع المحتل الامريكي . وهنا تظهر الرسالة الواحدة للقناة التي تحاول أن تختفي تماماً خلف عباءة القوات الأمريكية، وتبث

[142] (MARSHALL2001, 9)

رسالتها بصيغة أوامر وليس انطلاقاً من كون وسائل الاعلام لديها رسالة نزيهة تحاول ايصالها للجمهور.

لذلك يمكن الحديث هنا أن الحرة وبقية وسائل الاعلام عموماً، تُستخدم ليس فقط كقنوات من أجل مخاطبة الآخرين، بل تستخدمها الجهات التي تقف خلفها كرسائل بحد ذاتها بشكل أوامر تسعى من وراء بثها أن يطبقها وينفذها المستهدفون. ان الحديث عن وسائل الاعلام كونها رسائل تقنية وليست فقط قنوات وسيطة غايتها تحقيق التواصل ليس بالامر الجديد، فقد سبق لماكلوهن أن تحدث عن وسائل الاعلام باعتبارها رسائل أكثر من كونها وسائل وسيطة . والحديث عن أن وسائل الاعلام عبارة عن رسائل وليس وسائط، هدفه أن هذه الرسائل تخرج في شكل تقنيات (أوامر) يسعى من يصدرها الى تنفيذها وفرضها على الآخرين وليس مجرد الترويج لفكرة ما.

وعند الحديث عن دور الحرة في تشكيل واقع عراقي جديد أو واقع مفروض، فانها تلجأ للتحليل البنيوي للخطاب الذي يعتمد أساساً في تشكيل بنية ما على آليات تشكيل الواقع، بم ا في ذلك شكل ومضمون الخطاب، اذ تعتمد في الشكل على ترتيب الصور واختيارها ومعالجتها صوتيا ومرئياً، الى جانب الايماءات التي تصاحب الجسد، اما الثانية (المضمون ) فتتمثل في التصورات المؤسسة لانتقائية الموضوع المطروح، وتحديد العن اصر الذي من المفترض انها تشارك في تعزيز فكرة ما، وكل ذلك يحدث عبر اسلوب التغطية الى ج انب الوقت المحدد لها[143].

ومن بين الاساليب التي تستخدمتها الحرة لاخضاع العراقيين، اللجوء لاثارة الفتنة بين طوائف الشعب العراقي المتعددة، فقد جاء في احدى المقابلات التي عقدت قبيل شهر رمضان، أن سأل مراسل القناة أثناء مقابلة أجراها مع وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري حول ما اذا كانت الطوائف العراقية متوحدة أم لا ، بعد أن أعلنت عن بدء صيام رمضان في ذات اليوم، وذلك في اشارة واضحة لاظهار الفروقات والخلافات بين الطوائف العراقية المنقسمة ما بين الطائفة الشيعية والطائفة السنية..

---

[143] مصطفى حجازي، *حصار الثقافة: بين القنوات الفضائية والدعوة الاصولية* ( بيروت :مركو دراسات الوحدة العربية، 1998)، 47.

هنا تحاول الحرة تحويل الانظار عن القضايا الجوهرية والمُلحة التي يواجهها الشعب العراقي، وذلك من خلال اللعب على وتر الخلافات الطائفية وابرازها. وقد لا يلاحظ المتلقي العراقي البسيط المغزى من وراء الحديث عن ابراز الفروقات الطائفية في ذات الوقت الذي يتعرض فيه الشارع العراقي للتفجيرات؛ أي أن الحرة تحاول تعزيز الخلاف الطائفي بشتى السبل، بدءً بالتفجيرات التي تقدم أسبابها على أسس طائفية وليس انتهاءاً بابراز الفروقات المذهبية التي تمنح الخلاف على الارض أبعاداً نظرية، فقد يؤمن المتلقي البسيط أن الخلاف بين الطوائف هو خلاف ديني بعد محاولة الحرة تقديم تفسيرات دينية على انها تمثل سند شرعي للتفجيرات، لذلك، فهي تجعل المتلقي يقتنع أن هناك سبباً دينياً تنطلق منه التفجيرات التي تستهدف فئة مقابل أخرى، وهنا فان جميع فئات الشعب العراقي تعتقد أن الطوائف الأ خرى تستهدفها باعتبار أن المجتمع العراقي يخضع للتركيبة الطائفية بأكمله[144].

ان انتظام الحرة في اللعب على وتر التناقضات الطائفية ليس بالأ مر العفوي أو بالموضوع العابر، فانتظام وتكرار الخطاب الطائفي يمثل ترجمة خفية تقوم بها الحرة لتأجيج الصراع الطائفي الهادف الى اعادة رسم التاريخ العراقي وفق نظرة ابستمولوجية. وحسب فوكو فان انتظام الخطابات المعرفية ينتج عن كون تلك الخطابات خاضعة ومحددة ومراقبة بواسطة قواعده، وأن تلك القواعد ليست عفوية ولا مجانية بل تنم عن مبدأ خفي للتنظيم، ولها مقدرة على تكوين موضوعات وذوات[145].

وفي التوكيز الواضح على قضايا بعينها، فان التغطية التي تقوده ا الحرة، تعكس الارادة الأولية لعلاقات القوى. حيث تعتبر التغطية الانتقائية لبعض القضايا من أهم أدوات التوجيه لدى وسائل الاعلام، مقابل الانتقائية هذه فان تقنية حجب الأشياء التي لا ترغب الحرة بظهور قضايا معينة من وراء استخدامها، تهدف لاعطاء صورة مكتملة عن الحدث الذي تسعى الحرة الترويج له، وقد عبر هبرماس عن العلاقة ما بين تقنية الانتقاء والحجب أ ن التحكم التوجيهي لوسائل الاعلام يوجه العقل الأداتي تجاه قضايا تخص ذات العقل التقني (الوسيلة الاعلامية ) وليس المتلقين[146].

---

[144] قناة الحرة. نشرة أخبار السادسة مساء. بتاريخ22-8-2009.

[145] عبد الرزاق دواي، *موت الانسان في الخطاب الفلسفي* المعاصر ( بيروت: دار الطليعة،1992)، 153.

[146] محمد ابو الرب، دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لقطر(رام: جامعة بير زيت،2008)، 26.

ان التساؤل عن هؤلاء الذين يقفون خلف المصادر التي تستقيها الحرة في نموذجها العراقي، يحيلنا للرجوع الى الأساليب المستخدمة منذ أمد طويل لدى هؤلاء الموجهين، وقدرتهم على اقناع الشعوب. وهنا لا بد من ذكر بعض الشواهد المبكرة لما هو آت على طريق تعليب الوعي.

أن فن التحكم والسيطرة الذي يعتمد على الاستمالة والاقناع لدى الحرة لم يظهر هكذا دفعة واحدة، وقد سبق أن استخدم هذا الاسلوب أولاً ضد الشعب الأمريكي قبل تصديره للشعوب الأخرى، وقد مثل الجهد الذي كلل بالنجاح لاقناع الشعب الأمريكي عام 1945، بأن وجوده اليومي تتهدده المخاطر بهدف دفع الجماهير نحو الحرب العالمية الثانية، وهو الخطوة الأولى نحو تبلور عملية "توجيه العقول"[147].

[147] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 11

## الفصل الخامس

### الحرة .. ووحدة العراق

من محتوى الرسالة التي تحاول الحرة تطبيقها في الساحة العراقية، نجد أنها تسعى لبث رسالة تجزئة العراق عبر تقنية "الابراز" للفروقات الطبيعية ما بين شرائح المجتمع العراقي المختلفة، من بين هذه الوسائل اللعب على عنصر الطائفية التي لم يكد المشاهد العربي يسمع عنها بهذا الحجم الا في عصر الاحتلال الامريكي.

من الوسائل الخبيثة التي لجأت إليها القوات الغازية في حربها على العراق ، محاولة تضليل الرأي العام وعزل الخصم عن أصدقائه وحشد التأييد والمساعدة العسكرية والاقتصادية والفنية من جانب الأصدقاء .

إضافة إلى إشغال العراقيين في معارك جانبية، وخلق الأزمات والصراعات الداخلية وباستغلال هذه الاحداث وتصعيدها، ومحاولة لاستخدام أبواق الدعاية للنيل من وحدة العراق والتشكيك في نوايا العراقيين تجاه بعضهم البعض، وفي إخلاصهم وفي التزاماتهم إزاء القضية العراقية، ناهيك عن إشاعة الفرقة والانقسام بين صفوفهم، والتفرقة بين فئات الشعب المختلفة وبين الشعب العراقي والشعوب المجاورة، مما يؤدي إلى تمزيق الجبهة الداخلية واستنفاذ الطاقات في الخصومات.

وقد عمدت الحرة خلال مراحل تغطيتها في الساحة العراقية على التعامل مع اقاليم العراق المختلفة باعتبارها تتمتع باستقلالية عن بعضها البعض، وجاءت تغطيتها تاكيداً على ذلك بهدف ترسيخ واقع تسعى الاداراة الامريكية لتكريسه في الساحة العراقية، يتمثل في تقسيم العراق وتشجيع النزعات الانفصالية بين أقاليمه المختلفة.

خلال زيارة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي لاقليم كردستان العراق بتاريخ 3-8-2009 ، قامت الحرة بتغطية الزيارة بشكل أوحى للمشاهد أنها كانت زيارة رسمية بين دول وليس ضمن أقليم الدولة الواحدة، حيث ركزت الحرة في تغطيتها للزيارة على الطابع الرسمي من خلال ابراز الشكل المراسمي لها، كما ركزت على الاستقبال الرسمي التي حظيت به الزيارة من قبل سلطات الاقليم المحلية ، وقد ظهر بعد ذلك أن الزيارة هدفت لعقد

تحالف ما بين البرزاني وبين كتلة المالكي التي تسعى للحصول على تجديد ولايته لفترة رئاسية ثانية عبر التحالف مع الاطراف الكردية.

وفي تلك الزيارة أيضا يبدو أن المالكي عمد الى اظهار الجانب الرسمي للزيارة بغية ارضاء حلفاءه الأكراد، حتى وان تم ذلك على حساب وحدة العراق الذي ظهر أن المالكي لم يكن مهتماً بها بقدر ما كان يسعى لارضاء طموحه الشخصي في الحكم. وهنا فان تصرف المالكي جاء مطابقاً لرؤية القناة التي تعكس وجهة النظر الأمريكية تجاه وحدة العراق[148].

ما يزيد الشكوك حول دور الحرة ومحاولتها بث النداءات المؤيدة لتجزئة العراق، تأييداً لفئة على حساب أخرى، أنها غالباً ما تستقي مصادر أخبارها وتوجيهاتها من وزارة الخارجية الأمريكية، وذلك عبر مجموعة من الساسة الذين يشغلون مناصب رسمية، فقد تركت الادارة الامريكية للساسة حرية توجيه القناة والاستعانة بها لتوجيه خطابات تخدم أهداف السياسة الخارجية.

بات واضحا أنه لم يعد هناك فارق بين وجهات النظر المتطابقة أصلا لكل من قناة الحرة والادارة الامريكية. ويمكن للسياسيين الذين يحتلون مناصب في الحكومة أن يتمتعوا بقدرة عالية على تدفق المعلومات للقناة، كما كانوا يفعلون ذلك في زمن الاتصال المباشر، وذلك عبر منح الحرة امتيازات تؤهلها لان تكون مصدر رسمي للاخبار[149].

فمنذ بداية انطلاق الحرة، حاولت الادارة الامريكية من خلال الحرب الاعلامية الخبيثة تسخير تركيبة المجتمع العراقي وزجها في المعركة لخدمة أهدافه، وقد كان الدين مثل ابراز الطائفية من بين العناصر الذي مثلت هدفاً لوسائل الإعلام وذلك لانجاح مخطط ات الادارة الامريكية، هذا الاسلوب الذي تعتمده الادارة الامريكية يأتي تطبيقاً للرأي القائل " إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال " .

لذلك، فان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى من وراء استخدام الحرب الاعلامية، إلى إضعاف الروح المعنوية للشعب العراقي، ولم تنأى الولايات المتحدة في حربها على العراق

---

[148] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة.بتاريخ29-7-2009.

[149] ستيفن اينزلابير وروي بير وشانتو اينجز، *لعبة وسائط الاعلام: السياسة الامريكية في عصر التلفزيون* ، 10.

عن استخدام شتى الوسائل التي من بينها، الدبلوماسية والدهاء والعبقرية في الدعاية والإعلام إلى جانب قواتها الجوية والبرية والبحرية، وكذلك مخترعاتها واكتشافاتها العلمية والتكنولوجية . بل انها تستخدم أيضا إمكانياتها الاقتصادية والقصد من كل هذه الوسائل هدف واحد هو إقناع الخصم بالهزيمة [150].

خلال برنامج 7 أيام الذي بث بتاريخ 9-8-2009، الذي خصصته الحرة لمناقشة الخلاف الكردي – العراقي ، قال ضيف الحلقة أحمد مهنا وهو رئيس تحرير صحيفة الصباح الجديدة، ان الفجوة بين الجانب الكردي والجانب العراقي باتت متفاوته، والسبب يعود لنظام صدام حسين الذي عزز الفروقات بين الطرفين، ثم بعد ذلك ربط الضيف استمرار الفجوة بارتباط الطرف العراقي بالطائفية والأصولية والارهاب[151].

يلاحظ من النقاش السابق أن البرنامج كانت تنقصه الكثير من الموضو عية والحيادية التي ظهرت في عدة جوانب، اذ خصصت الحلقة بالكامل للطرف الكردي للدفاع وتعزيز وجهة النظر الكردية حول حق الأكراد في الاستقلال أو بمعنى آخر حقهم في تقسيم العراق، الذي بات مشروعاً حسب الضيف نتيجة خضوع الطرف العراقي للطائفية والارهاب، وقد انتهجت الحرة اسلوب تعزيز وجهات النظر الكردية عبر الغياب التام للطرف العراقي الذي لم نشاهد طرف يمثله، بل تركت الحلقة يديرها ويوجهها الطرف الكردي الذي تولك يتحدث باسهاب، لا بل ان البرنامج كان متروكاً له بالكامل، في ذات الوقت الذي يدور فيه الحديث عن عدة أطراف، اذ أن الخلاف كان يدور عن العراق وعن الاقاليم الكردية الذي أخذ الاكراد على الادعاء انها تقع ضمن اقليم كردستان.

وعند البحث في مضمون الخطاب، فقد عزز الخطاب وجهات نظر باستخدام مفاهيم ضد مفاهيم أخرى. اذ اعتبر الضيف، أن الطرف الكردي يمثل حركة تحرر وطني لديها مشروع قومي، بينما الطرف العراقي اقترن وجوده بالارهاب والتطرف، وهو ما يفهم من كلامه أن الاقاليم الكردية التي هي جزء من العراق، تعتبر في خضوعها الحالي للجانب العراقي خاضعة للاحتلال، وأن الحركة الكردية تسعى لتحريرها من الجانب العراقي.

---

[150] سمير محمود قديح، *الحرب النفسية على العراق وطرق التصدي لها* .(نسخة اليكترونية)،(استرجعت بتاريخ4-4-2003) (www.alarabnews.com/alshaab/GIF/04-04-2003/t18.htm)

[151] قناة الحرة. برنامج 7 ايام. بتاريخ 9-8-2009)

كما عززت المفاهيم السلبية عن الجا نب العراقي بربطه بالاصولية والارهاب في مقابل المشروع القومي والحركة التحررية الكردية؛ بمعنى التركيز على عدالة القضية الكردية التي تسعى للتخلص من الاصولية والطائفية والارهاب الذي يمارسه الجانب العراقي، وكل ذلك حدث في غياب تام للجانب العراقي، اذ أريد من وراء ذلك تعزيز رسالة على حساب رسالة أخرى. ان المفارقة في الخطاب الذي تبثه الحرة، أن تلك الخطاب يصلح لحركات التحرر القومية وكأن الطرف الكردي يخضع لاحتلال الطر ف العراقي الخاضع أصلاً لاحتلال أمريكي مع تغييب واضح للحديث عن للاحتلال الحقيقي في العراق، فقد أصبحت القضية هنا ليست الاحتلال الامريكي، بقدر ما أصبحت تتمثل في الاحتلال العراقي الواقع على الاقاليم الكردية[152].

وهكذا فان الحرة بهذا الخطاب تسعى لترسيخ واقع على حساب آخر، وهي تسخر ما تملكه من تقنيات حديثة توفره ا لها الادارة الامريكية. فقد تحول دور التلفزيون بفضل التقنية ومنتجاتها الى فضاء استراتيجي وافتراضي للحدث، الى جانب انه أصبح آله من آلات التصفية لبعض القضايا، وعن طريقه تتم ابادة الموضوع الواقعي لصالح موضوع آخر افتراضي في قبضة الوسيط الاعلامي[153].

وقد حاول ضريف البرنامج تعزيز سلبية الطرف الآخر بذكر ما يتداوله بعض العراقيون من نكات وتعليقات قيلت بعد الاعلان عن شراء العراق لطائرات أمريكية، قائلاً " اثناء وجودي في أحد المقاهي العراقية، كان بعض (العرب العراقيين؛ تأكيداً على النظرة الطائفية) يتداولون النكات ويقولون، أين يمكن استخدام الطائرات بعد شراءها" ، رد عليه زميله قائلاً " عالجبل عالجبل". أراد الضيف من وراء ذلك تعزيز الفرضية القائلة ان الجانب العراقي ينوي استخدام الطائرات ضد المنطقة الكردية. فافترض أن الجانب العراقي ينوي استخدام الطائرات ضد الاكراد باعتبار أن النكات لا يقال مجاناً. وكما سبق فقد حدثت كل تلك التحليلات والتفسيرات في ظل غياب تام للطرف الآخر، وذلك بالاعتماد على استراتيجة التغييب التي طغت على عمل الحرة لتكويس نظرة مقابل أخرى[154] .

---

[152] قناة الحرة. برنامج 7 ايام. بتاريخ 9-8-2009.

[153] جان بودريار، *الفكر الجذري: اطروحة موت الواقع* ( الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006)، 46.

[154] الحرة. برنامج 7 ايام. بتاريخ9-8-2009.

وقد اعتادت الحرة على تخصيص لقاءات تطرح من خلالها نقاشات تحمل في جوهرها على النزعة الانفصالية لبعض الضيوف، بينما نجد موجهي تلك البرامج سرعان ما يقاطعون ضيوفهم الذين يحمل خطابهم رفضاً لدعوات التجزئة، لا بل لم نشهد أن استضافت الحرة من ينادي بالوحدة عبر أثيرها. أن كون الحرة لا تستطيع المجاهرة بموقفها الصريح المنادي بالتجزئة، لا يعني أنها لا تلجأ للأساليب غير المباشرة في طرح القضية، وقد عبر دوبريه عن الأسلوب النظري غير الصريح لوسائل الاعلام بقوله، " أن في جانب معين من الحديث الحواري يمكن أن تكون الخطوط الفاصلة كثيرة الوضوح، لكنها خادعة في وضوحها. من هنا يمكن فهم محاولة موجهي تلك البرامج تصنيف المشاهدين هذا مع، وهذا ضد[155].

ومن أجل تعزيز طروحات التجزئة لدى العراقيين، فان الحرة تلجأ الى استخدام عنف الرمزي من خلال استفزاز المتلقي باتجاه عقلنة الصور الجاهزة والمعدة سلفاً من قبل الجهات السياسية، فهي طروحات جديدة تسعى الحرة لعقلنتها، وهي تقدم بشكل يعزز الصورة التي تحاول فرضها هذه الجهات، لكنها تقدم بقالب رمزي يعزز الصورة السابقة .

لذلك يمكن القول، أن أخطر ما تقوم به الحرة هو دورها في تقديم تصورات جديدة للمتلقي العراقي انطلاقا من معالجة مغايرة للموضوع المقدم ، وهي معالجة هدفها الأساس يتمثل في خدمة أيدلوجية الوسيلة، وهنا لا ضير اذا تعارضت الوقائع ع لى الارض مع النداءات التي تسعى لفرضها الحرة على العراق. بحسب رولان بارت فان الاشارة والقرينة والرمز والدليل تعتبر أدوات موظفة لخدمة ظواهر مختلفة فيما بينها" وقد تتعارض فيما بينهما تعارضاً شاملاً"[156].

ومنذ أن بدأت الولايات المتحدة الأمريكية عدوانها على العر اق تنفيذاً لأطماع استعمارية خبيثة، وإدراكاً منها لصعوبة المعركة ورغبة في إيهام الرأي العام بأنها حققت انتصارات زائفة، لجأت الإدارة الأمريكية إلى استخدام أسلوب الحرب النفسية باعتبارها أكثر خطورة من الحرب العسكرية لأنها تستخدم وسائل متعددة، إذ توجه تأثيرها على أعصاب الناس ومعنوياتهم ووجدانهم، وفوق ذلك كله فإنها تكون في الغالب مقنعة بحيث لا ينتبه الناس إلى أهدافها، ومن ثم لا يحتاطون لها .

---

[155] دوبريه، *حياة الصورة*، 213.

[156] رولان بارط، *مباديء في علم الادلة* ( اللاذقية: دار الحوار، 1987)، 65.

فالإنسان يدرك خطر القنابل والمدافع ويحمي نفسه منها . ولكن الحرب النفسية تتسلل إلى نفس الإنسان دون أن يدري . وكذلك فان جبهتها أكثر شمولاً واتساعاً من الحرب العسكرية لأنها تهاجم المدنيين والعسكريين على حد سواء . كذلك هي أكثر دواماً لأنها تستخدم في أوقات السلم والحرب معاً، بل إنها تصوب هجماتها خارج الدولة الخصم نفسها حين توجه ذلك نحو الرأي العام العالمي [157].

وهي تدرك(الحرة) مدى التأثير الذي تحدثه هذه التقنيات، وما تقوم به كل تقنية من قيام بنية مخالفة لما هو واقع في الساحة العراقية تسمى بالبنية الحكائية الكبرى . فأحيانا تستعين الحرة بتقنية الصورة لتعزيز واقع جديد لا يمت للواقع بصلة، والاخطر من ذلك عندما تفصل الصورة عن القصة الحقيقة التي نشأت معها، فانها تقوم بخلق قصة أخرى تدعم واقع تسعى لترسيخه في أذهان العراقيين، وهي تنطلق من مبدأ أن غالبية الأحداث الأ ساسية تتحقق بصرياً، أو تنتمي الى فعل الحكي الذي تقوم به الكاميرا، وبالتالي فانها تسعى لخلق صورة ما عبر الاحداث الاساسية التي ينشأ عنها تفاعل تام بحكم ارتباطها بالحدث المحوري الأساس.

وفي ظل التأثيرات التي يمكن أن تحدثها تقنية (الصورة) التي تعرض على الشاشة، تقوم الحرة على غرار ما تقوم به القصة (المسرحية) بتصوير أو خلق قصة فنية مصورة؛ أي تقوم بنسج خيطاً متصلاً من العلامات والرموز تسعى الحرة من خلالها الى اعادة تشكيل محتوى اخباري آخر، عبر تحويل متتابع للانطباعات البصرية الى عناصر ذات معنى، وهو ما يفجر الطاقة التأويلية لدى المتلقي، ويحول نظام المرئي الى سياق منتج للمعنى يتمثل في عراق مقسم بين الطوائف المختلفة[158] .

---

[157] ترى الولايات المتحدة أن الحرب الاعلامية النفسية هي جزء أساسي من الحرب الشاملة التي تخوضها ضد ما تسميه الإرهاب العالمي ، ولذلك فهي تلجا لاستخدامها قبل الحرب وفي أثنائها وفي أعقابها . وهي لا تخضع لرقابة القانون ولا للتقاليد الحربية ، بل إنها عملية مستمرة، وهي وسيلة بعيدة المدى وليس من الضروري أن يظهر تأثيرها مباشرة مثل المعارك الحربية، بل إن نتائجها قد لا تظهر إلا بعد شهور أو سنوات من تنفيذها .أنظر سمير محمود قديح. الحرب النفسية على العراق وطرق التصدي لها.(نسخة اليكترونية)،(استرجعت بتاريخ4-4-2003) (www.alarabnews.com/alshaab/GIF/04-04-2003/t18.htm)

[158] أنظر فايزة يخلف، *الصورة الفلمية واشكالية السرد السينمائي: الوهم الجميل وحقيقة الواقع*. مجلة الرافد .2011 يناير. العدد161.

http://arrafid.ae/f1_1-2011.html

وفي سبيل تشكيل الرأي العام العراقي والعربي حول واقع سياسي ما، تلجأ الحرة الى الاستشهاد بمصادر معلومات تبدو في ظاهرها أنها قريبة الى الجماهير، فتنسب المعلومة الى مصدر أو شخصية تعتقد ايمان الجماهير بها، وهي تسعى من وراء ذلك الى خلق جو من التقبل لدى الجماهير العراقية، بهدف ايجاد فرص أوفر لاقناع الجماهير بالسياسات الامريكية.

فأحياناً، نجد أن الحرة تلجأ الى استخدام تقنية " الاقناع" للتأثير في رأي الجماهير، فتنسب مصدر الدعاية الى دولة أو منظمة دولية رسم ية أو حزب سياسي، أو حتى لبعض الأشخاص التي تطمح لتولي منصب معين. بكلمات أخرى، فإن الحرة تنسب المعلومة الكاذبة في جوهرها والمتحورة من سياقها الى الجهات التي تعتقد أن لديها قدر من الاحترام والمصداقية في الشارع العراقي، خاصة عندما تريد مخاطبة بعض الفئات التي تحترم شخص أو جهة معينة، فهي أفضل طريقة لاقناع بعض الجماهير[159].

كما تحاول الحرة عبر ترتيب خفي ومعمق تكوين شبكة من العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية أو الطائفية في قالب واحد وعلى شاشة واحدة، وهي تسعى أن يصبح هذا النموذج مرجعاً وحجاً للمتلقي عبر فعل الفعل النوعي والمغايرة، وهو ما تم ثل باستضافة الحرة للشخصيات على أساس طائفي أو ديني، أو بلغة أخرى هذا مع، وهذا ضد[160].

ومن بين وسائل الخداع التي تلجأ اليها الحرة ما يعرف بنظرية الحواس، وهي نظرية لا يمكن لأحد قياس صدقها ما دامت حواس البشر تخضع لامور بيولوجية تختلف من انسان لآخر، فهي نظرية تخطيء وتصيب انطلاقا من مبدأ غياب الكمال، فما يراه انسان واقع ما قد يختلف عند آخرون، فالصورة التي نراها تعبر عن واقع ما من خلال تصوير احدى زواياها ، قد يختلف معناها عند التعرض لها من زاوية أخرى .

من هنا تحاول الحرة على غرار ما تقوم به وسائل الاعلام من الآعيب، وعبر اللعب بالتقنيات المستخدمة تغيير ورسم أحداث ليست موجودة بالشارع العراقي، وانما هي رؤية من نسج خيال سياسية بحتة، وهنا يبرز ذكاء الحرة عبر محاولة عقلنة الصورة الذهنية من خلال عملية

---

[159] من المعروف ان الدعاية تلجأ الى الكذب في أحيان كثيرة، وهذا يتطلب أن تخضع الدعاية لعملية اعداد دقيقة ومسبقة، وهي بهذا المعنى ليست الا صورة من صور التخطيط السياسي، لذلك يتوقف نجاحها على احترام ومسايرة القواعد التي تقترحها عملية التخطيط المسبق. للمزيد: دليمي ، *الاعلام والعولمة*، 72.

[160] بورديو، *التلفزيون واليات*، 38.

انتقاء ذكية ومقصودة، لذلك يمكن القول أن الحديث عن وسائل الاعلام كما سبق على انها رسالة ليس بالصورة الكاملة، خاصة عندما تكون هذه الرسالة مجتزأة من سياقها، فالحديث يتمثل في رسالة متكاملة مع أهداف الآلة التي تبثها وليس منفصلة عنها، والآلة تحاول أن تستعين بكل شيء يضمن نجاح رسالتها.

والنتيجة أن العلاقة بين الواقع وتصويراته المختلفة، يرتكز على الاساس الفلسفي للظاهرة الاجتماعية، وعبر "هوسرل" عن ذلك بقوله ان العالم الذي نعيش فيه عبارة عن عالم مصنوع في وعينا أو عقولنا الذي نستمد منها فعل الممارسة" فالعالم الخارجي لا معنى له، الا من خلال وعينا عليه"[161].

وقد اتبعت الحرة هذا النهج خلال تغطيتها المتواصلة للساحة العراقية وذلك لدعم وجهات النظر الأمريكية. وأعتادت الاستشهاد بتصريحات المسؤولين العراقيين لاعتقادها أن الجمهور العراقي يثق بهؤلاء، وأقتبست أقوال هؤلاء ووضعتها في سياقات تخدم التوجه السياسي الذي تسعى لترسيخه في أذهان العراقيين. في 23 آب 2009، وضمن برنامج ساعة حرة، بثت الحرة تصريحاً لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي أشارت فيه الى أن التفجيرات التي تتعرض لها المدن العراقية، تعود لاسباب سياسية بحتة في اشارة الى توجيه الاتهامات الى فئة بعينها .

أرادت الحرة من وراء نقل ذلك التصريح عن شخص تعتقد في شعبيته لدى بعض الفئات ، أن تشُعل الخلاف بين الكتل السياسية المحسوبة على الطائفة الشيعية، خاصة بين كتلتي المالكي والكتلة الصدرية المتحالفتان في الحكومة العراقية الموحدة ، فقد حملت تصريحات المالكي في مضمونها اتهامات لجهات سياسية محسوبة على الطائفة الشيعية تحاول مواجهة المالكي؛ وهي الكتلة الصدرية التي تربطها أحيانا مع كتلة المالكي علاقات تحالف وأحيانا أخرى علاقات مواجهة.

وضعت الحرة قواعد الخلاف بين تلك الكتل بصورة غير معلنة، وصاحب الحديث عن التحالفات الجديدة حديث عن التفجيرات التي يتعرض لها الشارع العراقي، في اشارة الى أن التحالف الجديد يعمل على ضرب أطراف التحالفات القديمة، ولم تأت الحرة على ذكر أن

---

[161] ايان كريب، *النظريات الاجتماعية من بارسونز الى هبرماس* ( الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، 1999)، 134-135.

التحالف الجديد يسعى لعزل المالكي وهو الشخصية المقربة من الاحتلال، والذي قد يكون من يقف خلف التفجيرات التي يتعرض لها الشارع العراقي نتيجة رفضه للتحالف الذي يتكون لمواجهته .

في هذا الاطار، يظهر دور الحرة في دعم جهة عراقية على حساب أ خرى، عبر دعم التحالفات القريبة من الولايات المتحدة ، في مقابل ضرب الكتل المعارضة التي حاولت الحرة ربطها بالتفجيرات التي تستهدف المدنيين. اذ ان ربط التحالف الجديد بالتفجيرات التي تستهدف العراقيين قبيل اجراء الانتخابات العراقية آنذاك ، يعد بمثابة القيام بحملة تحريضية ضد هذا التحالف الجديد في مقابل كتلة المالكي التي تسعى لتجديد حكمها لفترة ثانية.

وقد ظهر في وقت لاحق، أن رئيس الوزراء العراقي الأسبق ابراهيم الجعفري كان المقصود من وراء التصريحات السابقة نظراً لقربه من الكتلة الصدرية. ما يلفت الانتباه حقاً، أن الحرة تسللت في ظل هذه الأجواء المشحونة بين تلك الكتل المختلفة لاثارة المزيد من الخلاف الذي يصب في النهاية في صالح الاحتلال الأمريكي الذي يسعى لدعم تحالفاته .

ولا يخفى على أحد أن الحرة استخدمت منهجية الاقناع في تأجيج الصراع ، وذلك من خلال اسلوب التكرار والاستشهاد بتصريحات المالكي على مدار الساعة، ووضعها في سياق النزاع القائم بين الكتل المختلفة، وهو الخلاف الذي انعكس في المزيد من العمليات التي استهدفت المدنيين العراقيين، من هنا يمكن القول أن الحرة تعتبر من عوامل عدم الاستقرار التي تشهدها الساحة العراقية[162] .

وفي المثال السابق لا شك ان الحرة استغلت غياب أو بالأحرى تغييب بعض الاطراف لاخفاء الصورة الحقيقية، وما يربط التفجيرات من اسباب غير بائنة للعيان . وبهذا فان الحرة تمارس اللعب على صيرورة العلاقة بين الدال والمدلول- الاداة والمعنى، وذلك لانتاج صورة ذهنية مقدمة عبر أشكال مختلفة عن الحقيقة. فالاشياء الظاهرة في المرئي في مقابل غياب الاشياء غير الظاهرة " تغييبها ". تحاول الحرة أن تعيد انتاج الواقع المشكل عبر انتاج جديد للصورة

[162] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ 23-8-2009.

الذهنية، يحدث ذلك اعتماداً على استراتيجية التغييب والحضور في العلامات والرموز في الأشخاص المعبرين عن قضاياهم[163] .

ولكن عند الحديث عن الصورة الجاهزة التي تقدمها الحرة، فان المتلقي العادي قد لا يميز بين الصورة الحقيقية والصورة الجاهزة، وبالتالي لا يميز بين أهداف كل منهما. ان الفارق الرئيس بين الصور الذهنية المصطنعة والصور العيانية ، هو أن الثانية تفتح آفاقاً للتفكير والتأمل أمام المتلقي، بينما تحمل الصورة المصطنعة تأملات من قام بتصويرها، وهنا فان المصور الى جانب صاحب الرسالة هما فقط يدركان العالم الذي يكمن خلف تلك الصورة[164].

ان عملية انتقاء الضيوف وتغييب آخرين، تعتبر من أساليب التزوير الذي تنتهجا الحرة لفرض وجهات النظر، وهي عملية ابستمولوجية تستخدم فيها القطيعة ما بين الواق ع والأحداث المبتكرة، وعملية التزوير هذه تستكملها الحرة بتزوير آخر يصاحب العملية الأولى، تتمثل في تحديد عناوين النقاش التي تحددها سلفاً وتوجيه المتحدثين وفق رؤية مؤيد/معارض، وهي أيضا لا تقل خطورة عن أداة التزوير الأولى باعتبارها تحاول أن تمنح الخطاب الاعلامي شرعية وتحاول تقنينة ومنحه سلطة جديدة، حيث تبدو الحرة وهي تطرح موضوع النزاع الطائفي أنها تناقش موضوع موجود اساساً، وفي الحقيقة أنها هي التي تخلق هذا الموضوع وهي من تريد بأدواتها أن تمنحه الشرعية والسلطة.

في هذه الحالة تحاول الحرة أن تظَهر كمن يراقب الحدث كما يراقبه المشاهدين وليس كمن يخلقه، وتحاول أن تبدو وكأنها بعيدة عن التأ ثير فيه وتتمتع بنوع من الموضوعية والحياد . وفي ظل هذه الصورة فأن الخطر الأكبر يتمثل في أن المشاهد لا يعلم دور الآلة الاعلامية الذي يعتبرها ناقلة للخبر وليس صانعة له، وهنا مكمن الخطر الذي يواجهه الشعب العراقي مع الحرة[165].

وبما أن المرئيات أصبحت تخدم جماعة أو كتلة ما في مقابل الفرد، أمكن القول بأن خطابات وتصويرات المرئي باتت معدة سلفاً، ومختارة حسب ما تعنيه وما تصوره هذه الخطابات في

---

[163] منصور، أشرف. 2003. *ضمنية الصورة: نظرية بورديار في الواقع الفائق*. مجلة فصول: ع.62. ملف العدد: ثقافة الصورة، 228.

[164] سالم يافوت. *"هبرماس ومسألة التقنية"*، فكر ونقد،1997، ع1. 38–56.

[165] هيدن وايت، ميشيل فوكو، *البنيوية وما بعدها: من ليفني شتراوس الى دريدا* ( الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،1996)، 121.

خدمة من يقفون خلف الرسالة، وتعزيز خدمة المرئي يتم بتكرار تأويلاته بما يحقق الترسيخ الأيقوني لرسالة الخطابي.

وهكذا فان تكرار تأويلات الرسالة الخطابية سواء أكانت عبر الصورة أو بتكرار الخطابات ، يمثل خطراً على وعي المتلقي وذهنيته خصوصاً ما يتعلق بقضية بناء المعنى، وبالتالي فهي تصبح مؤثرة في المكونات المختلفة لبنية المجتمع، وعلى جميع المستويات الاقتص ادية والسياسية والثقافية..الخ. من هنا يمكن الحديث عن الخطر الذي تما رسه الحرة على تكوينات التركيبة العراقية المختلفة.

اما الأسلوب المنهجي المتبع من قبل القناة لاقناع الجماهير بوجهة نظرها، فهو تناول الق ناة للموضوعات التي لا يشك أحد في أ هميتها بالنسبة للجهة المستهدفة (العر اقيين)، وهي موضوعات تدرك الحرة أنها تمس اهتمامات المواطن العراقي الرئيسية، وبالتالي سوف تجد صدى في قبولها والتسليم بها.

وتعتمد الحرة في ذلك على ما يسمى بافتراضات النظرية التفاعلية الرمزية حسب " هربرت بلومر" الذي يدعى أن " البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم ، وهذه المعاني يتم تحويرها وتعديلها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الاشارات التي يواجهها"[166].

[166] كريب، *النظريات الاجتماعية*، 119.

المبحث الثاني

الحرة.. معارضة دعوات المصالحة

من أجل بث بذور الفتنة بين الاطراف العراقية المتجهة نحو المصالحة، تبين أن الحرة تعارض الدعوات والحديث الجاري عن المصالحة الوطنية. ظهر ذلك بشكل جلي بعد الكشف عن المساعي والجهود التي بذلتها أطراف عدة لتشجيع المصالحة الوطنية بين العراقيين؛ وهي جهود قادتها جهات عربية واقليمية، من بينها المحادثات التي أجرتها كل من تركيا وسوريا مع قيادات عراقية مختلفة، كان من أبرزها: الشيخ حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين الذي يتبنى موقف رافض لاستمرار الاحتلال الأمريكي العراق، الى جانب السيد مقتدى الصدر رئيس الكتلة الصدرية الذي يمتلك تاييداً واسعاً في أوساط الطائفة الشيعية.

فبعد ان كشف أن هناك جهود مماثلة يقودها الرئيس السوري بشار الأسد، عبر التأثير على السيد الصدر بهدف تشجيع أجواء المصالحة بين أطياف الشعب العراقي . أظهرت الحرة موقفها الرافض للمصالحة عبر القيام بحملة مضادة لتلك الجهود، وهي حملة ظهرت من خلال استضافة الحرة لبعض المسؤولين العراقيين الذين يجاهرون بتصريحاتهم الرافضة للمصالحة الوطنية، ومن أبرزهم وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، ومن خلال سياق الاسئلة الموجهة لزيباري، كشفت الحرة عن موقفها الرافض لجهود المصالحة بين فئات الشعب العراقي بغية استمرار القوات الأمريكية المحتلة في العراق[167].

والامر يتعلق هنا باسلوب تقديم الخطاب، أو الاسلوب المعكوس حسب ما يصفه فوكو بانه محاولة قول شيئين في ذات الوقت، وهو أن تجعل الكلمات تكذب على مستمعيها بطريقة الحركة المجازية أو بالحضور والغياب في لغة المخاطب، ويتم ذلك بتحميل الخطاب تعابير والفاظ تحملها الرسالة الاعلامية في جوهرها. بتعبير أوضح، ان لغة رفض المصالحة الت ي تحدثت عنها الحرة لم تظهر بطريقة و اضحة وصريحة، بل ظهرت عبر استضافة زيباري الذي يرفض دعوات المصالحة بصورة ضمنية أكثر من كونها صريحة، فلا شك ان ايماءات وتعبيرات زيباري عكست عن الرفض الضمني لموضوع المصالحة[168].

---

[167] قناة الحرة. لقاء مع رئيس الوزراء العراقي هوشيار زيباري . بتاريخ 23-7- 2009

[168] اوبيرد ريفوسر وبول رابيينوف، *مشيل فوكو مسيرة فلسفية* ( بيروت: مركز الانماء القومي)، 45.

ويمكن التلاعب في هذا الأمر عبر تقنية "اختيار" الأشخاص، فلا شك أن اختيار المدعوي ن للحديث عن قضية المصالحة العراقية هو عمل ذكي وليس عمل ارتجالي عابر، وفي ظ ل طريقة "المصارعة" التي يتبناها الاعلام على طريقة الكيانات الديمقراطية، فان التوازن يغيب بين الضيوف عندما يتغلب الطابع الشعبو ي على الطابع العلمي المقنع، اذ أ ن الوسيلة الاعلامية تفشل خطة الضيف الخبير بمجرد وضعه تحت تأثيرات الوقت الذي يرتبك الضيف أمامه، فالجماهير المشاهدة للحدث غالباً ما يستهويها الخطاب الشعبوي الذي ينسجم مع لغة الأفكار البسيطة، وهي أمور عادة ما يجيد التعبير عنها قادة الحراك الشعبي وبالتالي تسود الفكرة الركيكة التي تخاطب العواطف على حساب الفكرة العلمية التي تخاطب العقل[169].

[169] Bourdio. ON Televion. 254

المبحث الثالث

الحرة .. وانسحاب الاحتلال

ليس الرفض الضمني الذي تتبناه الحرة لانسحاب القوات بالأمر الغريب، فعادة ما تركز القناة على الخط السياسي التي تسير عليه سياسة الولايات المتحدة في العراق، فهي تعمل باستمرار على ارضاء الادارة والمحتل الامريكيين والدوران في الاطار الايدلوجي لكل منهما[170] .

وفي ظل السير في فلك السياسة الأمريكية، فان من الطبيعي أن تملك الحرة سياقات مختلفة للخطاب الأمريكي يعبر كل سياق عن ارادة الاستمرار في الخداع والتضليل، وهي با لطبع ليست سياقات بريئة كما أنها ليست عفوية بقدر ما تستند الى نسق موجه ومنظم في الصياغات التي تخدم أهداف متعددة، ففي اختلاف الصياغات اختلاف في الغايات[171] .

ما يلفت الانتباه حقاً، أن تحذيرات الحرة للعراقيين من الانسحاب الذي يتم ربطه بتردي الوضع الأمني، وهو الخطاب الذي يصاحبه ارتفاع واضح بالتفجيرات التي تستهدف المدنيين، وكلما اقترب موعد انسحاب القوات من العراق ارتفعت حدة التفجيرات بشكل ملفت، وازدادت تلك التفجيرات مع اقتراب موعد ما تدعيه الولايات المتحدة أنه انسحاب من المدن العراقية، ولوحظ ارتفاع وتيرة التفجيرات بالتز امن مع ما تعلنه الولايات المتحدة من استعدادات جارية على قدم وساق لانسحاب القوات الأمريكية من المدن العراقية ، أو ما تدعوه الولايات المتحدة التمهيد للإنسحاب شبه الكامل من العراق في العام 2011 (والإبقاء على 35 ألف جندي فقط)، وكأن الذين يفجرون يريدون ايصال رسالة واضحة للعراقيين أنهم لا يرغبون في نسحاب الاحتلال من العراق [172].

واذا سلمنا بهذه النظرية؛ أي النظرية التي تفترض علاقة الاحتلال بالتفجيرات التي تهز الشارع العراقي بالتزامن مع ما تعلنه الولايات المتحدة بانسحاب قواتها. يمكن القول، أن ما عجزت عن تحقيقه آلة الاحتلال العسكرية في العراق، تحاول فرضة آلة الاعلام الامريكية

---

[170] عزي، *العرب والاعلام*، 69.

[171] بارط، *مبادي علم*، ص76.

[172] حنين صادق. "*التفجيرات في العراق.." ابتزاز سياسي" أم "انتقام" أم "قتيل حرب طائفية*"؟. منتديات درة البحرين : منتدى القضية الفلسطينية والعراقية". 10-5-2009 ( مسخة اليكترونية). (استرجعت بتاريخ 10-5-2009).
http://www.durbah.com/vb/t55404.html .

(الحرة)، فعند الحديث عن انسحاب القوات الجزئي من جانب الولايات المتحدة، يلقى هذا الاعلان رفضاً من جانب العديد من شرائح المجتمع العراقي التي ترفض الخروج الجزئي للقوات وتطالب بانسحاب كامل. لذلك تلجأ الولايات المتحدة عبر استخدام الخطاب الاعلامي الى اقناع الشارع العراقي بخطر الانسحاب المبكر.

لكن السؤال الأخطر والأهم حول تصريحات الحرة في موضوع الانفجارات التي تستهدف العراقيين، هو كيف تستبق تحذيرات الحرة للعراقيين وقوع التفجيرات بأيام قليلة؟ هل تعلم الحرة موعد تنفيذ تلك العمليات أم أن ادارة الاحتلال هي التي تحدد المادة المطروحة للنقاش، وبالتالي تستبق حدوث العمليات بتقديم تلك المادة بهدف تعزيز الفرضية القائلة أن انسحاب القوات سوف يقود الى تدهور الوضع الأمني في العراق؟!!، ففي تلك الحالتين فان علاقة الاحتلال ببنية الحرة تظهر بوضوح.

من خلال الملاحظة والربط بين علاقة الحرة بالمحتل، يبدو الأمر على النحو التالي. يعلن المسؤولون الأمريكيون أن انسحاب القوات الأمريكية من العراق يعني المزيد من ما تسميه الادارة الأمريكية العنف والارهاب ضد المدنيين العراقيين، قبل ذلك تستبق الحرة حدوث العمليات وتطرح ذات الموضوع (العمليات)، ضمن نقاشات وحوارات مختلفة يكون الهدف منها ايصال تلك الأفكار التي تروج لها الادارة الأمريكية باسلوب يثير مخاوف العراقيين من حدوث عمليات ارهابية، ثم يأتي الحدث على النحو الذي حذرت منه الحرة والقوات الامريكية العراقيين يتمثل في وقوع سلسلة تفجيرات تستهدف المدنيين العراقيين .

يلاحظ ان توقيت طرح الموضوع في هذه الاجواء، وبالاسلوب والصياغة التي تقوم بها الحرة، أن المواطن العراقي سيختار بقاء القوات الامريكية نتيجة الضغط الذي تحدثه العمليات المصاحب مع ابراز عنصر الخوف الذي تعمد الحرة على ربطه في اذهان المواطن العراقي، بحيث ربطت الحرة بقاء القوات بالحاجة الانسانية للسكان المدنيين الذين تصورهم آلة الاعلام الامريكية بانهم ضحية الارهاب، أو المقاومة التي اعتادت الحرة على الصاق صفة الارهاب بها، وهنا موضوع آخر لا يقل خطورة عن موضوع الانسحاب ، اذ ان الحرة تستخدم مصطلح الارهاب بدلاً من المقاومة.

بخصوص هذه الجدلية، تحاول تغييب التحكيم العقلي لدى المواطنين العراقيين والذي يغلب عليه عامل الخوف، لصالح العاطفة التي تتغلب على تفكير المواطن العراقي البسيط الذي يجد

في الاحتلال الامريكي حامياً له، وهنا مكمن الخطر الذي تمارسه الحرة عبر خطابها الذي تحاول تصويره على انه لخدمة المواطن العراقي.

ان كل ما سبق الحديث عنه يشير الى مدى التنسيق الذ ي يجري بين الحرة والاحتلال الأمريكي في العراق، وكأنها عندما تناقش تلك الموضوعات انما تستب ق الأحداث وتعلن للعراقيين،عليكم أن تتجنبوا ما يحذركم منه الامريكيين، فهي بهذا الأسلوب انما تظهر مدى التواطؤ الذي يربطها مع المحتل الأمريكي وهي تعتبر بمثابة البوق الرئيس له في الساحة العراقية، يبث عبرها رسائله العنيفة ضد الشعب العراقي بغية اطالة أجله.

وهكذا فان سلب حرية المتلقي في الاختيار وتحديد ما يتوجب عليه فعله من تصرفات، سببه خطاب المرئي ذاته، الى جانب خطاب التقنية التي تعمل بجانب المرئي على تشكيل وعي المتلقي عبر ما يمكن أن يطلق عليه، ديمقراطية ارشادية أو الديمقراطية التي ترشد المتلقي نحو تصرف ما بهدف تشكيل الرأي العام، وهو تشكيل تعمل الالة الاعلامية على تكوينه لدى المتلقي دون الاستئذان منه، كما أن هذا التشكيل أو التكوين يكون عبر المعلومة المبثوثة التي تعمل على توجيه الفكر نحو الهدف المرسوم، هذه العملية التوجيهية يسميها بورديو " بالثورات الرمزية" التي يقوم بها التلفزيون[173].

وتصديقاً للنظرية القائلة بمعرفة أو تورط الحرة بما يحدث من أعمال اجرامية تقودها القوات المحتلة ضد الشعب العراقي، فان هناك ما يكفي من الأمثلة الذي تظهر تورط الحرة وتضع القاريء بصورة ما يحدث في الساحة العراقية.

فعلى اثر انسحاب القوات البريطانية من العراق الى الكويت في 29-حزيران2009. وبعد موجة من التحذيرات المعارضة للانسحاب، هزت خمسة انفجارات كانت تستهدف المساجد عقب خروج المصلين من صلاة الجمعة، كان هؤلاء المصلون من الطائفة الشيعية وتحديداً من مناصري تيار الصدر الذين اعتادوا الخروج بعد صلاة الجمعة في مظا هرات تعبر عن رفضهم للاتفاقية الأمنية ما بين الحكومة العراقية والقوات الأمريكية، وهي مظاهرات الهدف منها رفض الخروج الجزئي للاحتلال الأمريكي والمطالبة بانسحاب كامل وفوري.

---

[173] وقد تحدث بورديو عن عمليات التضليل التي تصاحب اسلوب عرض وسائل الاعلام عند دعم افكار معينة. بورديو، *التلفزيون واليات*، 40.

أثناء المظاهرات ذكرت مراسلة الحرة في العراق رفل المهدي، أن المصلين كانوا في انتظار الخروج في مظاهرات دون ذكر سبب تلك المظاهرات التي تنادي بخروج القوات المحتلة من العراق بشكل كامل، وبالفعل فقد تعرضت هذه المساجد لعدة انفجارات أوقعت حوالي 90 قتيلاً وأكثر من سبعين جريحاً، وكان من بين المساجد التي تعرضت لها التفجيرات بعض المساجد المغلقة منذ عام نتيجة المصادمات التي وقعت بين المتظاهرين والجيش الامريكي.

والسؤال يطرح نفسه بشدة، هو تزامن التفجيرات مع خروج القوات البريطانية من العراق، والتي جاءت بعد موجة التحذيرات التي قدمتها الحرة للعراقيين من ان انسحاب القوات سيعقبه موجة من التفجيرات في الشارع العراقي، فهل كانت تلك التفجيرات تعبر عن التحذيرات التي تناولتها الحرة قبيل انسحاب القوات البريطانية، وان استكمال خروج القوات الاخرى (الامريكية تحديداً)، يعد بمثابة خطر كبير على الشارع العراقي، هل أرادت الحرة اثبات فرضية القوات الامريكية !!؟ . ان ما يبعث على الشك نحو الجهات المنفذة للعمليات الانتحارية، والتي تغاضت الحرة عن التعليق الجدي عليها بسرعة القاء اللوم ما تسميه بالجماعات الارهابية بشكل مُسبق، وبمجرد حدوث التفجيرات وحتى دون اعلان تلك التنظيمات مسؤولتها عن التفجيرات.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة في ظل هذه الحقائق هو، كيف عرفت الحرة أن من يقف خلف تلك التفجيرات هي الحركات الارهابية فوراً وبمجرد حدوثها ودون اجراء أية تحقيقات؟ كل ذلك يشير بوضوح الى العلاقة التي تربط الاحتلال الأمريكي بتلك التفجيرات وأن الحرة ما هي الا قناة تُعبر عن رغبة ذلك الاحتلال، اذ يتمثل هدفها من وراء الاعلان المسبق عن منفذي التفجيرات في ابعاد الشبه عن القوات المحتلة التي تقع عليها مسؤولية توفير الأمن والحماية للمدنيين في الشارع العراقي. وهكذا فان الهدف من وراء هذه التفجيرات يتمثل الى جانب منع المصلين من الخروج في المظاهرات الرافضة للوجود الأمريكي ، في اثبات الفرضية التي تربط بين الانسحاب وما قد يتعرض له الشارع العراقي من تفجيرات، فقد جاءت تلك التفجيرات بالتزامن مع خروج القوات البريطانية، وفي تزايد المطالبة بالخروج الكامل للقوات .

ومن أجل ابعاد المسؤولية التي تتحملها قوات الأحتلال؛ وهي يتحملها على كل الصعد، فان لم تكن هي المتورطة في تلك التفجيرات فان ذلك لا ينفي عنها مسؤولية حماية المدنيين كونها القوة الفعلية الحاكمة في العراق، حيث نصت جميع المواثيق الدولية على أن حماية المدنيين

تقع على عاتق القوة التي تحكم الاقليم بما في ذلك القوات المحتلة. اختزلت الحرة كل ما جرى بقولها ان التفجيرات تعود لاسباب ارهابية وطائفية وأكدت أن جميع القتلى كانوا من الطائفة الشيعية في اشارة الى تأجيج الحرب الطائفية في الشارع العراقي[174].

كما يكشف خطاب الحرة طريقة التلاعب في تغيير مضمون وجوهر انسحاب القوات، مثلاً في حديث الحرة عن الانسحاب وجدناها تستخدم عبارات مثل " الانسحاب شبه الكامل" بدلاً من "الانسحاب الكامل للقوات" ولان مفهوم الانسحاب الجزئي مرفوض لدى العراقيين، فهي تلجأ المراوغة عبر اللعب في الاسلوب الخطابي، فالمفهوم ا لانسحاب شبه الكامل الذي استخدمته الحرة، يخفي خلفه بقاء 35 ألف جندي أمريكي في العراق. وهكذا فان مساعدة الاحتلال من خلال فرض مفاهيم أقل حدة من المفاهيم المرفوضة لدى العراقيين كانت من بين مهام الحرة وهكذا تستخدم الادارة الأمريكية المرئي لتحقيق انجازات آنية عبر تلطيف بعض العبارت مثل الانسحاب شبه الكامل للقوات، ولجأت الى فعل المرئي واستراتيجاته للسيطرة على الذهنية بشكل متجدد هدفه الأساس ايجاد شرعية للاحتلال بعد أن فشل الخطاب السياسي في اقناع العراقيين بمفهوم الانسحاب الجزئي للقوات. هنا يظهر ذكاء الآلة الاعلامية في ترسيخ ما عجزت عن تحقيقه القنوات السياسية والقوات العسكرية.

عند استعراض موضوع الانسحاب من الساحة العراقية نجد انه يخضع لنسقا اعلامياً ساخنا، تمثل بالفعل الآني للتأثيرات التي تستخدمها الحرة عبر تغيير شكل المفاهيم مع التمسك بالفكرة الرئيسية المتمثلة بعدم الخروج الكامل من الساحة العراقية، فمهوم الخروج شبه الكامل عند الحرة يخفي وراءه بقاء قواعد عسكرية للقوات الأمريكية في العراق لمدة غير معروفة، وذلك محم مسمى اتفاقيات الدفاع المشترك بين الجانبين. فبعد أن علمت القوات المحتلة رفض العراقيين للخطة المطروحة، عملت الحرة على تجميل الخطاب تحت مسميات أخرى لجلب التأييد لخطة بقاء القوات، وتحول الحديث عن اتفاقيات الدفاع المشترك ودون المساس بالجوهر الرئيس التي تهدف من ورائه هذه العبارات.

والنتيجة لما تقوم به الحرة، ان فشلا امريكيا في اقناع العراقيين باستمرار وجودهم، تح ول عبر الحرة الى نجاح تحت عنوان قواعد امريكية طويلة المدى[175].

---

[174] قناة الحرة . نشرة أخبار السادسة. بتاريخ 29-7-2009.

[175] فيشر جلين، *دور الثقافة والادراك في العلاقات الدولية* ( القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 2004)، 34.

ان الحرة تدافع عن الوجود الأمريكي بشتى السبل، فالخطاب الذي يصاحب موجة التفجيرات الذي تستهدف الشارع العراقي، يهدف الى ترسيخ قناعات لدى العراقيين، انه ما زال الحديث مبكراً عن رحيل الاحتلال و أن العراق ما زال بحاجة الى وجود القوات لتوفير الأمن الذي لايزال هشاً.

في 12-8-2009 وخلال برنامج ساعة حرة، أتهم ضيوف البرنامج القوات الأمريكية أنها على علاقة بما يجري من أحداث في الشارع العراقي، رد مقدم البرنامج على الفور، ما هي مصلحة الولايات المتحدة في ضعف الأمن في العراق؟ لكن الضيوف عادو وطرحوا المبررات الذي تدفع القوات المحتلة بتشجيع العمليات التفجيرية، وقال هؤلاء ان تلك العمليات تستخدمها الولايات المتحدة كورقة ضغط ضد الحكومة العراقية وبعض الطبقات الرافضة للاحتلال، وذلك لايجاد المبررات لاستمرار الوجود الأمريكي في العراق.

وقد أبدى أصحاب تلك الرؤية شكوكهم حول الاتفاقية الأمنية التي تنص على انسحاب القوات في العام2011، ورأوا أن الوجود الأمريكي في العراق سيستمر الى ما بعد هذا الموعد، وبما أن القوات المحتلة ترغب بتمديد وجودها في العراق، فانها تلجأ لذلك الأسلوب بهدف تأخير الانسحاب[176] .تعتمد الحرة على ديمقراطية الاجماع لتقسيم الشعب العراقي ما بين مؤيد ومعارض لاستمرار القوات الأمريكية، تحت غطاء أن ديمقراطية الاجماع تتطلب ابقاء الناس منقسمين ومنشغلين عن الحدث الرئيس، كي يطبق أصحاب الرؤى الأخرى مخططاتهم.

ان الهدف من ابقاء الناس منشغلين ومنقسمين يعود الى رغبة الحرة في اشغال الناس عن الحدث الرئيس. أن تعدد الخطابات المرئية للقناة يمثل السعي لتكريس أحداث ووقائع لذاتها . كما أن امتلاك الحرة لآليات توجيه الرأي العام يمنحها القدرة على اقصاء الجمهور عن المشاركة في تشكيل التصورات القادمة لعراق جديد، كما يسهل عليها عملية الاختيار التي تمثل اختيار من متعدد، الهدف منها توجيه نحو خيار المرئي (الحرة) وما يكرسه من أحكام وتصورات. وعندما تلجأ الحرة الى تجاوز القواعد المتعارف عليها لا يعني ذلك أنها غير مقصودة، فكل ما تقوم به الحرة من تحالفات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية انما تأتي ضمن مخرجات الخطاب القائم في الساحة العراقية، وهي تكتيكات تخدم بالنهاية الرسالة الاعلامية

[176] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ12-8-2009.

لها. يمكن للمرئي أن يحمل رسائل خارج ذاته، لكنها في النهاية تدعيم لحضوره وتكريس لهيمنته وسلطته[177].

قد يكون ظافر العاني رئيس لكتلة جبهة التوافق في مجلس النواب العراقي، قد عبر في أعقاب التفجيرات الذي استهدفت وزارة العدل ومجلس محافظة بغداد في منطقة الصالحية وسط بغداد، عن الاسلوب الذي تنتهجه القوات الا مريكية عبر الحرة، اذ اعتبر أن التصريحات الأمريكية التي تبثها القوات الامريكية للمواطنين العراقيين عبر الحرة، والمتعلقة بإرجاء الانسحاب من العراق تعطي رسالة سلبية لدول وقوى سياسية للقيام بإعمال إرهابية .

وأضاف العاني في تصريح صحفي، أن هذه التصريحات تشجع على الأ عمال الارهابية وتخلق الأزمات لتحقيق مكاسب سياسية، منوها أنها تهدف الى بقاء قوات الاحتلال لفترة أطول في العراق، محملاً الحكومة العراقية مسؤولية الخرق المستمر لقوات الاحتلال لبعض بنود الاتفاقية الأمنية من خلال وجودها في الشارع، أو أن هذا الأمر قد دبر بليل بين الأجهزة الحكومية وقوات الاحتلال التي لم تلتزم بالاتفاقية الأمنية التي وقعتها حسب تعبير العاني ، والتي تنص على عدم وجود الجيش الامريكي في الشارع العراقي [178].

وهكذا فان الحرة كثيراً ما تلجأ الى تقنية " خلط الأوراق" في الشارع العراقي، وليس هناك تفسير لهذه التصرفات، سوى أنها (الحرة) تسعى لتحقيق رغبة الاحتلال المتمثلة بتأجيل انسحاب القوات، وهي تستخدم لذلك كافة الأساليب، منها بث المخاوف وتحذير العراقيين من الفوضى التي قد تعم الشارع العراقي نتيجة حدوث فراغ أمني قد ينتج عن انسحاب القوات من الساحة العراقية.

عادة ما تقوم الايدولوجيات في تصوراتها على أفكار وأفكار مضادة، فالحرة من خلال عرض نتائج ما يترتب على انسحاب القوات أو بقاءها تعكس منظومة الثواب والعقاب، فاذا كان السلوك هو المستهدف الأخير في عملية العقلنة، الا أن الحاضر الغائب في عملية التصنيف والقياس هو اظهار حجم الثواب والعقاب. وفي المحصلة فان منظومة الخطاب تتم عبر ما

---

[177] *التلفزيون خطر على الديمقراطية*، مقالات مختارة ( القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 2005)، 35.

[178] قناة البغدادية. بتاريخ 26 اكتوبر

http://www.albaghdadia.com/n/iraq-polotics/10318-2009-10-26-11-35-05.html.2009

يسمى بالرؤية vision وهي رؤية تمثل في النهاية وجهة نظر القناة التي تعكس وجهة نظر سياسية بحتة.

كما يعكس السلوك المؤدلج بين الثواب والعقا ب حالة من التوازن المستمر، مصدره ثبات ذهنية المتلقي على صور ومرئيات ذاتية وعن الآخر، تدور جميعها حول ما يحدد مسبقا في منظومة الثواب والعقاب، وهي صورة طوباوية كونها تنظر في تصورات مرئية لما كان وما يمكن أن يكون ضمن الترتيب الذي تضعه الحرة .

وفي طوباوية المرئي هذه لا توجد خطوط حمراء أو خضراء على سلوك المتلقي وذهنيته، فالخطوط أولاً غير مرئية، وهي متغيرة ومتقلبة اعتمادا على صيرورة المرئي للاحد اث. وقد رأينا هذه النظرة في خطاب الحرة التي أوحت للشارع العراقي بما قد يتعرض له اذا ما انسحبت القوات الأمريكية من العراق، وأدخلت الصورة التي نشرت الدمار والخراب وهي صورة أرادت الحرة من وراءها أن تقول للعراقيين انكم ستواجهونها بعد الخروج. فليس هناك محرمات لدى المرئي حسب ادعائه، و تصويره لما وقع (التفجيرات) يحمل بذور ما سيقع في المستقبل[179].

من جهة أخرى، تعزز العمليات التي تستهدف المواطنين الأبرياء النظريات التي تطرحها الحرة، وهو أمر يطرح تساؤلات حول تناغم خطاب الحرة المُحذر من الانسحاب، بال تزامن مع أو قبيل حدوث تلك العمليات ؟!!، وأن دل ذلك على شيء فانما يدل على مدى تورط الحرة مع القوات المحتلة التي تحاول تكريس فكرة الخوف من الانسحاب، وهي ما فتأت تحذر العراقيين من عواقب الانسحاب المبكر الذي قد يولد فوضى عارمة، ويؤدي الى سيطرة ما تسميه الولايات المتحدة بالقوى المتطرفة على العراق[180].

ان الهدف من وراء استخدام الاساليب السابقة، هو أن يستسلم الجمهور العراقي أمام " لعبة اللغة" التي تجلبها الحرة لقتل الموضوع الاساس، وتحويله الى معنى آخر عبر تغليب لغة العواطف التي تنسجها الحرة على متناقضات التركيبة العراقية الطائفية، وعلى الضغوطات التي تخلقها التفجيرات التي تقع، فباستخدام طريقة اثارة العواطف التي تحملها صور القتل

---

[179] الكردي، محمد. *مع ريجيس دوبريه حياة الصورة وموتها* . مجلة فصول. عدد62: 249.

[180] قناة الحرة *نشرة اخبار السادسة*، بتاريخ 29-7-2009

والدمار الذي تتركه التفجيرات، فإن الحرة تلجأ الى بناء رأي عام جديد لقضية استمرار الاحتلال، ويدعمها في ذلك تقنيات الصوت والصورة التي تصاحب طرح الموضوع.

بالاضافة الى ذلك، تعمل الحرة على شد انتباه المتلقي عبر تصعيد النبرة الخطابية لضيوفها ، وذلك بهدف الانسجام مع الروح الشعبوية للمشاهد البسيط، اذ يمتلك الخطاب الشعبوي سلطة رمزية وشحنة ثقافية تستمر في الذاكرة الشعبية البسيطة مدة أطول من التفسيرات الاكاديمية الممنهجة، وهي نتيجة ايجابية مرتبطة بهؤلاء المخاطبين الذين يستمدون موضوعاتهم من القضايا التي تمس حاجات المواطن البسيط، وبالتالي تحظى بالرضا والقبول من فئات شعبية واسعة[181].

[181] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 95

المبحث الرابع

الحرة.. مهاجمة الدول المجاورة

تصور الحرة الحرب على ما تسميه "الارهاب" في سياق تلك الأسلوب الأمريكي الذي يزعم أن الحرب في العراق تحتاج الى تضافر جهود الشعب العراقي والشعوب المجاورة، أو بكلمات أخرى، تحتاج الى تأييد الشعب العراقي والشعوب المجاورة للوجود الامريكي في العراق . وهكذا يمكن فهم وتفسير الاتهامات المتواصلة الذي اعتادت الحرة توجيهها للدول المجاورة للعراق وبأنها تدعم وترسل ما تسميه الارهابيين للعراق[182].

وفي غمرة الاتهامات الموجهة للدول المجاورة، تحاول الحرة التقاط كل ما يصرح به المسؤولين العراقيين من اتهامات وتوجهها للدول المجاورة . نقلت الحرة تصريحاً لوزير الخارجية العراقي في نشرة أخبارالسادسة مساءً بتاريخ 22-7-2009، حم ل التصريح اتهامات مباشرة للدول المجاورة، ودعمت الحرة الموقف الأمريكي الذي يسعى لبث الخوف في صفوف العراقيين المطالبين بانسحاب القوات، بتصريحات وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري قوله " أن كل الدول الاقليمية المحيطة بالعراق تتدخل في شؤونه في محاولة للتأثير على ما يجري فيه وخصوصاً التأثير في الانتخابات المقبلة".

*تعكس طبيعة التغطية التي تقوم بها الحرة ضد الدول المجاورة من حملات تحريضية النظرة العدائية للدول المجاورة . ظهر موقف الحرة في التصريح* السابق بالسؤال الذي وجهه مراسل القناة فلاح الذهبي، حيث جاء سؤاله في سياق التحريض على الدول المجاورة قائلاً، " يبدو أن هناك حالة انزعاج كبير لدى المسؤولين العراقيين بوصول السيارات المفخخة الى أكثر الأماكن تحصيناً"، وهنا كان التركيز على الانزعاج الذي وصفه مقدم البرنامج بان مصدره الحكومة العراقية الى جانب التركيز على وصول السيارات المفخخة الى أكثر الأماكن تحصيناً.

وفي التعبيرات السابقة، تغاضت الحرة عن ذكر الموقف الأمريكي الذي يتهم الدول المجاورة بعلاقاتها بالتفجيرات التي تستهدف قواته، وهنا اختبأ المطلب الأمريكي خلف المطلب العراقي الذي نقلته الحرة على لسان المسؤولين العراقيين، فادعت الحرة أن الطرف العراقي هو المنزعج من الدول المجاورة وليس الطرف الأمريكي، كما حملت مقولة وص ول السيارات

---

[182] عزي، *العرب والاعلام*، 109.

المفخخة الى أكثر الأماكن تحصيناً اشارات ضمنية ورسائل تروج لها الحرة، مفادها أن من يقوم بهذه العمليات الخطيرة يحتاج الى قدرات وامكانيات تملكها دول وليس منظمات داخل العراق، وهو ما حمل اتهاماً مبطناً للدول المجاورة، وذلك في مسعى واضح من الحرة للتغطية على الفشل الأمني التي تواجهه في العراق [183].

ينطبق تكتيك الحرة هذا في ابراز ما يسمى بالتأثيرات التي تمارسها الدول المجاورة على العراق. عند فهم ما تقوم به الحرة من تركيز الاتهامات نحو هدف محدد، يمكن قراءة ذلك اعلامياً بان المرئي (الحرة) يوجه بشكل مستمر تأثيره نحو منطقة محددة من الرؤية، يقوم بمهاجمتها باستمرار بهدف اقناع الجهور بتلك الرؤية. فالحرة تتبنى تكتيك اعلامي واضح هو" اكذب ثم أكذب حتى تصدق الكذبة فتصبح حقيقة واقعة يتعاطى معها الجمهور.

لكن من يمارس هذا الاسلوب يدرك في ذات الوقت خطورة جمود صور الطوباويات وعدم تحديثها، أو باللغة العادية، تدرك الحرة أن استخدام الدول المجاورة كتهديد محتمل للعراق هي فرضية لن تجد نجاحاً على المدى الطويل، والسبب انها فرضية فارغة من مضمونها، فاي تهديد يمكن أن تشكله الدول المجاورة على العراق؟؟ !!. ثم ما جدى الحديث عن هذا التهديد العربي والاقليمي في حين أن التهديد الفعلي في العراق يتمثل في وجود الاحتلال الأمريكي . هنا يمكن فهم كل ما تقوم به الحرة بانه محاولة للتغطية على القوات المحتلة والتي في الغالب تتجنب الحرة الحديث عنها بشكل سلبي. فهي تحاول(الحرة) ممارسة عملية تضليل واسعة عبر صيرورة عرضها لمنطقة الرؤية أو منطق الخطر، وهو منطق يصبح متغير طبقاً لتغير مصالح المرئي ذاته.

وعبر استراتيجية التجديد في عرض الصور، يصبح مجال التفكير في الواقع انطلاقاً من مجموعة صور المرئي، وهذا يعني أن الواقع أصبح محدداً ومحدوداً ضمن حدود الرؤية التي تتبناها الحرة.

وهنا فان أي محاولة لعرض الواقع الحقيقي من قبل طرف مناهض للحرة، أو للرؤية السياسية التي تتبناها الحرة في العراق، لا ينجح في تعميم أفكاره ، لان استراتيجية الخطاب وأمد

[183] قناة الحرة. نشرة أخبار السادسة مساء. بتاريخ22-8-2009.

التضليل يصبحان الحكم، ولان آنية عرض الحدث هدفها تضليل المتلقي ووقوعه في شرك المرئي[184].

لم تكتفي الحرة بتوجية الاتهامات للدول المجاورة بتدخلها في الشان العرقي، بل تعمدت ابراز الخلافلت فيما بين الدول المجاورة ذاتها، من بينها دول اعتادت الحرة على توجيه الاتهامات لها بالتدخل في الشان العراقي.

في برنامج ما يسمى بالجهات الاربعة وهو البرنامج الذي لا يعكس بالضرورة المسمى المعتمد له (لا يعني أن جهاته أربعة أطراف فعلاً، اذ غالبا ما يعكس وجهة نظر واحدة وليس وجهات مختلفة)، الذي بثته الحرة بتاريخ22-8-2009 . أثيرت عدة خلافات في المنطقة من بينها كان " الخلاف بين سوريا ومصر" . عززت الحرة فرضية الخلاف بطرح مقدم البرنامج سؤال على ضيف الحلقة غرايم بانرمان الباحث في معهد الشرق الأوسط في واشنطن، بان هناك توتر بين كل من القاهرة ودمشق.

جاء جواب الضيف الأمريكي مؤكداً لهذه الخلافلت الذي أرجع أصولها الى أسباب تاريخية، والى الخلاف الدائر حول عملية السلام بين مصر واسرائيل، وربط التقارب السوري – الايراني باقتراب وجهات النظر حول الصراع العربي الاسرائيلي . صاحب الحديث عن هذه الخلافات رسالة روجت لها الحرة من خلال ما يسمى بخطر هذه الدول (سوريا وايران) على الاستراتيجة الامريكية في المنطقة، والذي يتمثل في تهديد الوجود الأمريكي في العراق وما تتعرض له المصالح الاستراتيجية الامريكية المتمثلة بتهديد الحليف الاست راتيجي للولايات المتحدة، في اشارة الى التهديد الذي يشكله التحالف السوري- الايراني على اسرائيل.

يلاحظ أن الحرة تبنت الخلاف بين الطرفين وجلبت له من المحللين الذين انحازت رؤيتهم بشكل كامل للدفاع عن وجهة النظر الأمريكية، مع غياب واضح للاطراف الأخرى، ولم تأت الحرة بضيف واحد يدافع أو يشرح وجهات نظر الأطراف الأخرى، وهي تهدف من وراء ذلك أن تسود وجهة النظر التي تراها الولايات المتحدة والمتمثلة بتقسيم دول المنطقة ما بين

---

[184] look to Loic Wacquant. Pieer pourdieu. University of California-berkeley(.Electronic version).

http://sociology.berkerley.edu/faculty/wacquant/wacquant_pdf/PIERREBOURDIEU-KEYTHINK-REV2006.pdf

معتدلة وممانعة، أو بالأحرى المسمى الحقيقي ما بين رافضة للوجود الامريكي في المنطقة ومرحبة به.

في اللقاء السابق يلاحظ أن الحرة أتت باشخاص ليتحدثوا عن سوريا ليس الا ل كونهم سوريون، وفي الحقيقة أن هؤلاء الأشخاص يعتبروا من أشد المعارضين للنظام السوري، وبالتالي فان هؤلاء حملوا وجهات نظر مسبقة، ولم يكونوا جديرين بالحديث عن الموقف السوري كونهم غير محايدين. ان تقنية تغييب الطرف الآخر تعتبر من أخطر أسلحة وسائل الاعلام، الهدف منها أن تسود أفكار أولئك الذين يسعون لترسيخ قناعاتهم المتصارعة مع قناعات أخرى.

فقد جاءت الحرة بالباحث السوري في جامعة كولومبيا "رضوان زيادة" للحديث عن الموقف السوري، وفي ظل غياب الطرف السوري سرعان ما شاهدنا زيادة يلقي اللوم على الرئيس بشار الأسد في توتر العلاقات السورية- الأمريكية، فقد كان الاسد أول رئيس أجنبي يزور ويهنيء أحمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية الايرانية حسب زيادة ، كم ا هاجم السياسة السورية ووصفها بأنها" قدم في ضفة وقدم أخرى في الضفة الخرى"، في اشارة واضحة الى أن السياسة السورية التاريخية التي كانت معتمدة في عهد الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، لم تعد صالحة للمرحلة الحالية، اذ ارتبط النظام السابق بعلاقات مع ايران في ذات الوقت الذي كانت تربطه بالطرف الامريكي علاقات جيدة[185].

اعتمدت الحرة على تكتيك تغييب الطرف الآخر، الى جانب استراتيجية حجب المعلومات عن المتلقي الذي يرغب في معرفة وجهات نظر الأطراف المختلفة حول القضايا المطروحة، وهنا لم يتم حجب المعلومات عبر تقنية التحكم في وقت ضيوف الحلقة، بل بتقنية أخرى تعتبر أكثر خطورة من الأسلوب السابق، وهي تقنية تتمثل في التغييب التام للط رف الآخر ، وبترك البرنامج بالكامل يعبر عنه لون سياسي واحد. وتأكيداً على بني وية الظاهرة المدروسة، وباعتبار أن دراسة أي حدث بحاجة الى ربطه بما سبق من أحداث كمعيار للحكم عليه، أو باحداث مرتبطه به، وهي التقينة التي غابت مع غياب الطرف الآخر الذي من المفترض أن يكون من بين المدعووين كي يعبر عن وجهة نظره[186].

---

[185] الحرة. برنامج 7 ايام . بتاريخ 22-8-2009.

[186] بورديو، *التلفزيون واليات*، 72.

ومن بين الأساليب المنتهجة من جانب الحرة، اسلوب المقارنة الذي يعمل على تأكيد وجهة نظر ما عندما تتعارض مع رغبة الحرة، وقد رأينا اسلوب المقارنه في المثال السابق في نفي تشابه السياسات السورية السابقة وبين السياسة الحالية التي لم تعد تصلح للمرحلة الحالية، أي أن المقارنة استخدمت هنا لتعزيز نظرية الحرة التي تخفي رغبتها خلف تلك الخطاب بدعوة سوريا لانتهاج سياسة جديدة، وهي السياسة التي أريد منها أن تؤخذ بعين الاعتبار الوجود الأمريكي في المنطقة وتؤيده .أي أن ضيوف الحرة استخدموا اسلوب المقارنة لابلاغ رسالة الولايات المتحدة، وهي رسالة سياسية بامتياز، هدفها جلب الدعم والتأييد للوجود الأمريكي في العراق[187].

كما تلجأ الحرة لترسيخ بعض الوقائع من خلال اسلوب اللغة الذي يستمد أصوله من مفهوم النقاش الديمقراطي على طريقة ما يسميه بورديو اسلوب المصارعة، وهو اسلوب عمدت الحرة من وراء استخدامه الى وضع المتخاطبين أمام خيارات نقاش محدودة، حيث أ ن المتحاورين عليهم التسليم بما تطرحه القناة أكثر من كونهم يبحثون عن حلول تعبر عن وجهات نظر حقيقية.

ان الاختيارات المتاحة أمام المتلقي في ظل الأساليب التي تستخدمها الحرة، تعبر عن قوالب ذهنية جاهزة، بغض النظر عما اذا كانت ه ذه القوالب تعبر عن رأي المشاهد أم لا، لذا فان غالبية هذه الأفكار تكون غير متوازنة، ويزداد الأمر سوءاً عندما تضغط القناة ضيوفها بعنصري الوقت والسرعة، وهي أمور تؤثر على قدرة المتحاورين في التعبير الصحيح عن أفكارهم، وبالتالي قد تسود قضايا غير عادلة على حساب قضايا واقعية وعادلة . لذلك نجد أن من يدافعون عن وجهات نظر ما يعملون على تحطيم هذه القيم العادلة . ومن خلال استخدام هذه التقنية، أصبحت فكرة بقاء الاحتلال الأمريكي في العراق أكثر قبولاً خاصة بعد أن قرنتها الحرة بما قد يتعرض له العراق من أعمال وصفتها الحرة بالارهابية بعد الانسحاب .

لكننا في حالة الحرة نلاحظ ظاهرة مختلفة عن وسائل الاعلام خاصة فيما يتعلق بعنصر الوقت الذي تمنحه الحرة لضيوفها، والسبب يعود الى أن غالبية ضيوف الحرة يقعون ضمن فئة محددة، أو يمثلون لون سياسي محدد ينحصر في الفئة التي تؤيد الاحتلال الأمريكي، اذ تعتبر الحرة غير مرغوبة من قبل الكثير من الفئات العربية والعراقية الذي ترفض الوجود

---

[187] محمد شومان، *تحليل الخطاب الاعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية* ( القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،2007)، 87.

الامريكي في المنطقة، وهم يحملون تجاهها نظرة عدائية بسبب ارتباطها بالاحتلال الامريكي في العراقي، الامر الذي انعكس عليها في عدم قبول فئات واسعة من المجتمع العربي التعامل معها.

لذلك فان الحرة في أغلب الأحيان تستعين بالفئات والشخصيات التي ترضى التعامل معها، وهي الفئات التي تمثل في الغالب أشخاص تربطهم علاقات بالاحتلال الأمريكي أو بالكتل العراقية المؤيدة للوجود الامريكي في العراق[188].

وفي النقاش السابق، فان الحقيقة التي لم تأت على ذكرها الحرة، هي انزعاج القوات الامريكية من رفض الدول المجاورة للوجود الأ مريكي في المنطقة، وقد حَولت الحرة مصدر الانزعاج الى الحكومة العراقية باعتبارها تعبر ولو شكلياً عن علاقاتها مع الدول المجاورة، وكما سبق الحديث عن أن ديمقراطية المرئي تعتبر جزءاً من أدوات التلاعب بالعقول، باعتبارها ترتبط بالاختيارات داخل المرئي، والاختيارات المتبقية أمام المتلقي للاختيار ، فانها تعطي تعبيراً حول ما يسمى الاعلام بالمرآة المعاكسة. فهي تمارس عمليات توجيه وحجب، من خلال اخفاء أشياء عبر عرض أشياء أخرى[189].

وبما أن الحرة تعلم أن استجابة الجمهور للاحداث يعتمد على طريقة عرض هذه الأشياء؛ أي طريقة عرضها وتسويقها للجمهور، فانها تحاول أن ترسخ في عقول الجماهير عبر عملية التضليل ما يتعرض له العراق من تهديدات خارجية. ومن هنا فان الحرة تعتمد على اللعب في جدلية التلقي والارسال التي يتعرض لها الجمهورمن أجل ترسيخ قناعات محددة[190].

ومن بين العوامل الذي تؤكد حصول الحرة على معلوماتها مباشرة من القوات المحتلة والحكومة التابعة، أن مراسل الحرة عادة ما يؤكد بعد كل تفجير يحدث في الشارع العراقي، أن الحكومة العراقية سوف تعلن عن الجهات التي تقف خلف التفجيرات التي تستهدف العراقيين مهما كانت هذه الجهات (وذلك في اشارة الى اتهام دول بعينها في التفجيرات الذي تحدث في العراق، في اشارة الى كل من سوريا والسعودية وايران). وتطابقت اتهامات الحرة

---

[188] بورديو، *التلفزيون واليات*، 71.

[189] التلفزيون *خطر على الديمقراطية*، مقالات مختارة.ط1. ترجمة محمد مجدية عبد الحافظ.( القاهرة: المشروع القومي للترجمة،2005)، 35.

[190] فيشر، *دور الثقافة*، 48.

هذه مع ما أعلنه وزير الدفاع العراقي عن تورط كل من سوريا وايران في العديد من التفجيرات التي تهز الشارع العراقي.

لكن المهم هو الاعلان الذي يتطابق مع رؤية الحرة، وهي الرؤية التي تعكس بالضرورة رغبة الاحتلال الأمريكي. وقد استمرت الحرة في نهج التحريض خلال تغطيتها المتواصلة ، وفي تلك المناسبة ذكرت تصريحاً لوزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، أن تلك الدول (السعودية وايران وسوريا) قد أعلنت على لسان مسؤوليها، أنه في حال انسحاب القوات الأمريكية (المحتلة) من العراق فلفها ستملأ الفراغ الذي قد ينجم عن انسحاب القوات الأمريكية[191].

ان الحرة تستخدم اسلوب اظهار الخطر الذي يمثله التدخل العربي في الساحة العراقية، وهو سبب مرده الى تخوف الادارة الأمريكية من ترجيح الطرف السني المعارض للعملية السياسية المبنية وفق الرؤية الأمريكية أكثر من كونه تورط هذه الدول فيما تدعيه الحرة في الشأن الأمني، فقد سبق أن أعلنت الحرة في مناسبات عدة عن طلب الحكومة العراقية من الولايات المتحدة الضغط على الدول المجاورة في الشأن السياسي الداخلي وليس من جهة التدخلات الأمنية، فهي تخشى من سيطرة الطرف السني الذي يرفض وجود القوات المحتلة الى جانب رفضه التركيبة الحالية التي تتمثل بسيطرة الشيعة على العراق.

ففي برنامج بالعراقي الذي بثته الحرة بتاريخ29-7-2009 ، وتعليقاً على الزيارة التي يجريها رئيس الوزراء العراقي المالكي لواشنطن أكدت الحرة أن الزيارة تستهدف ضمان عدم تدخل الدول المجاورة في الشأن الداخلي وليس مناقشة موضوع الانسحاب الذي وصفه الضيف "عزت الشابندر عضو مجلس النواب" بانه بات مؤكداً ومحسوماً، بينما ربط بين الزيارة وبين التدفقات المالية الهائلة التي قال عنها أن الدول العربية المجاورة تمنحها لبعض الأطراف لتغيير التركيبة السياسية في الانتخابات القادمة، ومن بين ما ذكره الضيف أن المالكي يسعى من وراء الزيارة لواشنطن الى وقف التدفقات المالية من السعودية للطرف السني تحديداً.

والحديث هنا ينصب على مهاجمة الطرف السني الذي يفهم من حديث الحرة، أن الانتقادات كانت موجه اليه بصيغة اتهامات من أجل تحجيم دوره في العملية السياسية الجارية ، وترجيح

[191] قناة الحرة. نشرة أخبار السادسة مساء. بتاريخ22-8-2009.

الأطراف الأخرى الذي حضر من يدافع عنها في ظل غياب الطرف السني عن الحلقة؛ أي أن الحرة متورطة بشكل واضح في تكوين التحالفات السياسية التي تدعم الطرف المؤيد للوجود الامريكي ضد الأطراف التي تتوفض العملية السياسية التي تحظى برضا الولايات المتحدة، اذ مثل الضيوف الجهات السياسية على أساس طائفي، فعززت من حضور كل من الطرف الكردي الذي مثله عزت الشابندر الى جانب الطرف الشيعي الذي حضر عنه عضو مجلس النواب الشيعي السيد علي العلاق[192].

[192] قناة الحرة. برنامج بالعراقي. بتاريخ 29-7-2009.

الفصل السادس

دور الحرة في التغطية على جرائم الاحتلال

دأبت الحرة بعد كل تفجير يستهدف العراقيين على بث رسالة مفادها، أن ما يتعرض له الشارع العراقي من تفجيرات يعود لاسباب ارهابية بحتة وربط الارهاب بالطائفية، مع تنصل واضح لمسؤولية القوات المحتلة وعلاقتها بما يجري . فمع كل تفجير كان يستهدف العراقيين، فان المرء يسمع ذات الخطاب بشكل منتظم وبطريقة يعتمد اسلوبها على أن انتظام التعرض لرسالة المرئي المصحوبة بالصورة يضعف شيئا فشيئاً القدرات التحليلية لدى المتلقي، كون كل مرئية تحمل وعياً وحكما جاهزاً ومسبقاً، فمهما كانت نوعيّ المرئيات فانها تفرض منطقها الخاص ضمن عملية بحتة على النشاط العقلي للدماغ. وتشترك ثقافة الصورة ف ي عملية تعطيل العقل والنقد الى أن يتقبل الانسان منطق الآ لة الاعلامية بعيداً عن البحث والتحليل في مقاصد رسالتها الاعلامية[193].

ومما يدلل على التورط المباشر للقوات المحتلة في تلك التفجيرات، أن العديد من المصادر الاخبارية ذكرت أن القوات الأمريكية تلجأ الى زرع القنابل أثناء قيام المصلين بتأدية الصلاة داخل المساجد، بينما تتولى القوات المحتلة التي من المفترض أن تحمي المواطنين، قيامها بزرع القنابل في سيارات المصلين المتوقفة في ساحات المساجد الخارجية، كما أكدت تلك المصادر أن الهدف من وراء الحواجز الأمنية الذي يضعها الجيش الامريكي على الطرقات ، هو ايقاف بعض الشاحنات المتوجهة نحو منطقة معينة وذلك بحجة التفتيش، بينما يؤخذ سائقي هذه الشاحنات بعيداً عن أعين الجنود، وفي اثناء فترة انتظار السائقين حتى انتهاء الجنود من عمليات التفتيش يقوم هؤلاء الجنود بتفخيخ هذه الشاحنات.

وتأكيداً على الفرضية القائلة بتورط القوات المحتلة بما يجري في العراق من أحداث ، أكدت مصادر عراقية وعربية لـــقناة (المنار)، " أن هناك جهازاً سرياً في وزارة الدفاع الأمريكية يدير عمليات العنف والتفجير والارهاب التي تشهدها الساحة العراقية، وساحات أخرى في المنطوق خدمة للاستراتيجية والمصالح الأ مريكية"، وذكرت المصادر أن هذا الجهاز الذي شكلته وزارة الدفاع الامريكية بعد ثلاثة شهور من الحرب على العراق، كان يحظى بدعم كبير من الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش، وله علاقات واسعة مع جهاز المخابرات

[193] مصطفى حجازي، *حصار الثقافة*، 13.

الأمريكي وقيادة القوات الأمريكية في العراق، ويرتبط بعلاقات تنسيقية ومعلوماتية مع بعض أجهزة الأمن في دول المنطقة.

وقالت المصادر أن هناك العديد من الخلايا الارهابية التي تنشط في العراق تتبع هذا الجهاز وتنفذ تعليماته، وتحت أيدي عناصرها تقنيات ومعدات ومواد تفجيرية متطورة، كما تمتلك مئات السيارات من ماركات مختلفة، و أحياناً كثيرة تنفذ عملياتها التفجيرية عن بعد وليس بشكل انتحاري، وفي مرات تزرع المتفجرات في سيارات لا يعرف أصحابها بذلك، ثم تفجر عن بعُد بواسطة هذه الخلايا التي تتحرك بحرية في الأراضي العراقية، وتضم عناصر من جنسيات مختلفة عربية واسلامية وافريقية، ومن معسكرات للمرتزقة مقامة في أكثر من دولة، وكشفت المصادر أن أشخاصاً من دول في المنطقة تمكنوا من تشكيل هذه الخ لايا وتغرير واغراء عناصرها على أنهم يقاومون المحتل الامريكي.

وتساءلت المصادر لماذا هذا الكم الهائل من التفجيرات التي شهدتها العراق قبل الانتخابات، في حين كانت محدودة يوم اجرائها؟! وهي ترى أن العمليات التفجيرية التي تنفذ ضد العراقيين وتقتل العديد منهم هي من تدبير هذا الجهاز الأمني السري للاساءة للمقاومة العراقية وترهيب العراقيين، ويقوم الجهاز بالصاق التهم بالزرقاوي ومجموعته، للترويج بان ا لمقاومة في العراق ليست من جانب أبناء العراق وأنهم لا يشاركون فيها[194].

والأهم من المصادر السابقة أن موقع "ويكيليكس" الإلكتروني الذي بات يحظى بمصداقية عالية على المستوى العالمي، نشر آلاف الوثائق الأمريكية السرية التي تكشف أن آلاف المدنيين قُتلوا على الحواجز على يد الاحتلال الأمريكي في العراق، وتؤكِّد تورُّط رئيس الوزراء العراقي المنتهية ولايته نوري المالكي في إدارة فرق للقتل والتعذيب ضد مواطنيه من السنّة . كما أوضحت 400 ألف وثيقة أمريكية سرية نشرها "ويكيليكس" حقيقة الدور الإيراني ونشاط القاعدة وممارسة الصحوات، وتميط هذه التقارير اللثام عن مأساة عشرات آلاف الضحايا المدنيين الذين سقطوا بنيران جيش الاحتلال الأمريكي ".

---

[194] ماجده مكتوب." *جهاز سرى أمريكى يدير خلايا التفجيرات داخل العراق وحول العالم* ". *منتدى الاخبار* . 17-02-2006 .(نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ 17-2-2006)

http://www.oman0.net/forum/showthread.php?114209-%CC%E5%C7%D2-%D3%D1%EC

كما تؤكد الوثائق " أن المدنيين العراقيين ومن بينهم النساء الحوامل والعجائز والأطفال ظلُّوا يقتلون طيلة السنوات السابقة على نقاط التفتيش العسكريَّة وبني ران الطائرات الأمريكية المقاتلة، رغم أن وزارة الدفاع الأمريكيَّة "بنتاجون" كانت طيلة الوقت تخفي الأرقام الفعلية لعدد الضحايا. وتفصح الوثائق السريَّة عن أن قوات الاحتلال كانت تحتفظ بتوثيق للقتلى والجرحى العراقيين، رغم إنكارها علنيًّا لكل ذلك، وتؤكِّد الوثائق وجود 285 ألف ضحية عمومًا، وشدَّدت الوثائق على أن الولايات المتحدة تستَّرت على أعمال التعذيب الذي تمارسه قوات الأمن العراقيَّة، مؤكِّدة أن رئيس الوزراء المنتهية ولايته نوري المالكي شخصًا طائفيًّا منحازًا بالقوة إلى طائفته الشيعية على حساب مواطنيه السنة، كما تصوِّر هذه الوثائق وجهًا خفيًّا للمالكي وهو يقود فرقًا عسكريَّة تنفذ أوامره في الاغتيالات والاعتقالات" [195].

على الصعيد ذاته، وفي اعقاب التفجيرات التي استهدفت في 26 اكتوبر2009، وزارة العدل العراقية ومجلس محافظة بغداد، حمل جمال جعفر عضو مجلس النو اب عن الائتلاف الموحد القوات الأميركية مسؤولية تفجيري وزارة العدل ومجلس محافظة بغداد .

وقال جعفر في تصريح صحفي أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المسؤولة الأولى عن هذا العمل الاجرامي، اذ انها تمتلك الاف الجنود من القوات البرية والجوية والبحرية ومن عناصر أجهزتها الاستخباراتية والأمنية، وعناصر شركاتها الأمنية، وهي التي تسيطر على أرض وسماء ومياه العراق، وانه من غير الممكن أن من يمتلك كل هذه القوة والأجهزة والتكنولوجيا لا يستطيع أن يكشف أو يمنع حوادث متكررة في قلب بغداد مبينا أن الايام المقبلة ستكشف مدى تورط قوات الاحتلال في هذه الحوادث الإجرامية [196].

وليس بخاف على أحد أن هناك قدر كبير من القناعة أن ما يحصل في الساحة العراقية ليس من عمل ما يسمى عند الحرة" بالاره اب"، بل ليس بعيد عن عمل القوات الامريكية

---

[195] في الهامش: يُشار إلى أن موقع "ويكليكس" الذي أُنْشِئ في 2006 نشر في أواخر يوليو الماضي 77 ألف وثيقة سرية ومفصلة عن جرائم الاحتلال في أفغانستان، مما أثار غضب وزارة الدفاع الأمريكيَّة, وسينشر الموقع قريبًا 15 ألف وثيقة أخرى عن أفغانستان.أنظر: الاسلام اليوم– وكالات "ويكيليكس" يكشف جرائم الاحتلال الأمريكي في العراق". أخبار البشير. بتاريخ 23 أكتوبر 2010.(نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ 23–10–2010). http://islamtoday.net/albasheer/artshow-12-140891.htm

[196] أنظر : قناة البغدادية." *البغدادية تواصل الحداد على شهداء مذبحة الصالحية واستنكار شعبي وغضب عارم للجريمة النكراء* ". بتاريخ26–اكتوبر2009.(نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ 26 تشرين الأول (أكتوبر) 2010)
http://www.albaghdadia.com/n/iraq-polotics/10318-2009-10-26-11-35-05.html

والمخابرات الامريكية، وعند البحث عن وجهات نظر تؤيد تلك النظرية وجد أن أطراف متعددة فعلاً ترى بنظرية المؤامرة هذه. الأمر يمكن أن تنطبق عليه وجهة النظر التي جاءت في هذه المقالة القائلة أن المخابرات الأمريكية هي من يقف حقيقة خلف الكثير من العمليات التي تستهدف المنطقة وذلك في مقال نشر على صفحة الانترنت.

يقول كاتب المقال الذي يدعى وقاص الرفاعي" يكفينا أن نعرف من هو المستفيد الأكبر من استهداف المسيحيين في الشرق (التفجيرات التي استهدفت المسيحيين العراقيين )، كما حدث وأدركنا وبالملموس ما كسبته المكننة العسكرية والإعلامية الغربية من أحداث الحادي عشر من أيلول من قبل، فإننا سندرك عندها من يقف خلف هذه الأعمال الإجرامية وغير المبررة بأي شكلٍ من الأشكال.

ثم يتساءل الكاتب، " فمن هي الدولة التي بحاجة لصرف أنظار العالم عنها نحو جهة أخرى، ومن هي الحكومة التي بحاجة إلى أن تثبت للعالم بأن الفوضى التي تضرب مناطق سلطتها ما هو إلا إرهاب ليس له حدود، ومن هي الدولة التي بحاجة دوماً لإبقاء أسطورة وحش الإرهاب خالداً في الذاكرة، ومن هي القوة التي بحاجة للتغطية على جرائمها بجرائم أكثر آنية وأهمية".

فالقضية كبيرة وواسعة أكثر مما يتصور البعض، وأكبر من أن يحاول البعض إلصاقها بتيارٍ أو تنظيمٍ كتنظيم القاعدة على سبيل المثال، فإثبات هؤلاء الوحيد بأن تنظيم القاعدة هو من خطط ونفذ لعملياتِ قتل وأستهداف المسيحيين في العراق مثلا، هو بياناتٍ نشرت في مواقع على الانترنت، وبالطبع روجت له الحرة داخل الشارع العراقي، وبالطبع ليس كل العالم من السذاجة ليصدق هذا، فلن تعجز أمريكا أو إسرائيل أو أي دولة أخرى عن دفع مائتي دولار كأجور لحجز مساحة لموقع على الشبكة العنكبوتية ومن ثم تسميته بأي مصطلح جهادي يوحي على مرجعيته لتنظيم القاعدة، لينشر به هؤلاء بيانات يزعم فيها بأن العمل الفلاني وغيره قد تم تبنية من قبل تنظيم القاعدة أو أي تنظيم إسلامي آخر[197].

[197] وقاص الرفاعي– *من أبراج نيويورك .. الى كنائس الشرق .. الغاية تبرر الوسيلة!!*. جريدة البصائر .(استرجعت بتاريخ 24 مايو 2011)

www.basaernews.com/news11995.htm

المبحث الثاني

تغطية الحرة... انعكاس للعنصرية

عكست التغطية المتواصلة لبعض الفئات العراقية واستثناء فئات أخرى، العنصرية في تغط ية الحرة للساحة العراقية بين فئات وطبقات الشعب العراقي المختلفة، وهي تغطية من المؤكد أنها تعكس موقف الاحتلال الامريكي من تلك الجهات وتفضيلة للجهات المؤيده لاستمرار وجوده في العراق.

ان الحرة اعتادت على نقل صوت القادة الأكراد الذين يرغبون باستمرار وجود القوات المحتلة في العراق، على أمل دعم استقلال اقليم كردستان وحم ايته من حكومة عراقية وطنية قد تـأتي في المستقبل، وتكون رافضة لاستقلال الاقليم وتقسيم العراق. الى جانب الحماية التي يمكن أن يوفرها الاحتلال في وجه التدخل التركي الرافض لوجود دولة كردية في شرق ا لاناض ول. اضافة للطائفة الكردية، كان للطائفة الشيعية نصيب الأسد من التغطية الاخبارية مع تهميش واضح للطائفة السنية التي تمثل الطائفة الرئيسية التي تنادي صراحة بزوال الاحتلال الأمريكي من العراق[198] .

كما تحولت الحرة الى منبر فتنة بين فئات الشعب العراقي المختلفة، وأعتادت أن تستضيف ما يحلو لها من مُنظري الفتنة في العراق وفضلت جهة على أخرى، وكان لبعض الجهات الشيعية والكردية المتواطئة مع المحتل الأفضلية على الطبقات الأخرى، وقد استغلت هذه الطوائف القناة كمنبر تحريضي لها ضد الفئات الأخرى لا سيما ضد الطائفة السنية التي يقترن اسمها بذكر الارهاب والتكفيريون والصداميون، وكان هؤلاء يظهرون الطائفة الشيعية باعتبارها ضحية ما يسمونه "الارهاب السني"، كما صبو غضبهم عبر القناة "الحرة " على الطائفة السنية وأتهموها بأنها خاضعة للارهاب ولحزب البعث.

مثلاً تعد ظاهرة الأمن في العراق من بين القضايا التي عكست جانباً من عنصرية القناة ، خاصة فيما يخص دعم طائفة على حساب أخرى أو دعم الوجود الأ مريكي في العراق، ان ظاهرة استتباب الأمن في العراق التي كانت الحرة تجلب بعض الضيوف لدعم وجهة نظرها عندما تريد دعم أهداف سياسية بحتة، وهي ظاهرة تعتبر بمثابة وقود لمزيد من التفجيرات في الشارع العراقي، فقد لوحظ أنه كلما أعلن بعض الضيوف الذين ينتمون الى لون سياسي واحد،

[198] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ29-7- 2009

عن ظاهرة استتباب الأمن في العراق، فان ذلك يعقبه تفجيرات مباشرة من الأطراف المختلفة في الساحة العراقية، وذلك بهدف تفنيد الادعاءات القائلة باستتباب الوضع الامن، اذ أن بعض الجهات عندما كانت تدعي أن الفضل في استتباب الأمن يعود لها نتيجة ما بذلته من جهود لحفظ الامن، فان ذلك الاعلان سرعان ما يؤدي الى ردة فعل معاكسة تتمثل بوقوع المزيد من العمليات، والهدف أن الجهات المناوئة لتلك الاطراف تريد ان تثبت للمواطنين و للقوات الامريكية عكس ادعاءات الجهات التي تدعي استتباب الامن .

وكأن الحرة أرادت من اتباع اسلوب استقرار الوضع الامني أن تُشعل الخلاف بين هذه الكتل المتصارعة باستمرار، اما عبر الادعاء باستقرار الاوضاع الأمنية التي لا تروق للبعض تارة واما بالنفي حين تحتاج الادارة الأمريكية المزيد من المبررات لاستمرار وجودها في العراق. ففي حين كانت تدعي بعض الجهات أن استقرار الوضع الأمني هو احدى انجازاته ا التي حققتها للعراقيين، فان ذلك سرعان ما يدفع بجهات أخرى للقيام بمزيد من التفجيرات لاثبات كذب الجهات التي تدعي استقرار الوضع الامني واظهار الامن في العراق على انه ما زال ضعيفاً وهشاً[199].

كما انعكست التغطية العنصرية للحرة داخل الطائفة الواحدة، وتحديداً ضد الجهات التي تعتبرها الولايات المتحدة ذات صلة بالمقاومة العراقية. من خلال الملاحظة والمتابعة لاسلوب التغطية التي انتهجتها الحرة، يظهر تركيزها على لون سياسي واحد هو اللون الذي ينسجم مع الاحتلال الامريكي في العراق. فمن خلال العينة الدراسية التي احتوت على نشرا ت أخبار وحوارات...الخ، لم يلحظ أن الحرة استضافت جهات معارضة للوجود الأمريكي في العراق، ولم يسبق للحرة أن عرضت تصريحاً أو لقاءاً واحداً للسيد حارث الضاري أو مقتدى الصدر كما انطبق هذا الأمر على الجهات العراقية الرافضة للمشروع الأمريكي في العراق.

تهدف الحرة من وراء تحيزها الواضح وتركيزها على بعض الفئات دون أخرى الى خلق واقع افتراضي يدعي أنه الواقع الحقيقي، ويتم استضافة مؤيدي الوجود الأمريكي والترويج للمشاهدين على أن هؤلاء يعبرون عن الشارع وهم ممثلي الشعب العراقي[200].

---

[199] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ 12-8-2009.

[200] يوسف، *الاعلام والسياسة*، 42.

ان تصرفات الحرة باتت مفضوحة ومكشوفة حتى لابسط القواعد الانسانية المعتمدة . فاينما ينظر المرء في الحقل الاجتماعي سيجد أن الحياد والموضوعية عبارة عن أدوات يتم اللجوء اليهما لوصف الأداء الوظيفي للانشطة المحملة بقيم وأغراض محددة، وهي أدوات تقدم الدعم للنظام المؤسساتي القائم وتعتبر من العناصر التي لا غنى عنها للحفاظ اليومي على نظام السيطرة.

تلك الأسطورة التي تحظى برعاية فائقة والتي تقول بأنه لا سيطرة لاي مجموعة أو آراء خاصة على عملية صنع القرارات المهمة . وبالاحتكام الى هذه القاعدة نجد أن الحرة ذهبت في تعاملها مع الشأن العراقي بعكس كل ما تدعيه القواعد الذي يدعي الغرب أنه يتبناها، فلم نرى في الحرة الا ما يخالف ذلك تماماً، فهي تستضيف كل الفئات التي تدعو للفئوية والتي في حقيقتها لا تمثل الشعب العراقي كما تقدمها الحرة. مثلا، تستضيف الحرة بعض الأكراد وتقدمهم على أنهم ممثلي الشعب العراقي الحقيقيين[201].

عند النظر في جوهر الاسلوب الذي تنتهجه الحرة في الساحة العراقية، وهي تتبنى الاسلوب الغربي الذي يفترض أنه ينطلق من قاعدة مفادها أن للفرد الحق في المعرفة، مع الأخذ بحق التعددية الاتصالية والملكية الفردية لوسائل الاتصال ورفض أية قيود تأتي من خارج هذه الوسائل.

الا أن الممارسة العملية لتجربة الحرة أثبتت أن الحرية التي تدعيها القناة هي حرية متحيزة لصالح من يملكون الوسيلة الاتصالية وهو المحتل الامريكي. وسيطرت الطابع الاحتكاري التجاري وهو طابع غربي بامتياز، الى جانب فرض نوع من الرؤى المتشابهة للقضايا والأحداث الذي تتطابق مع سياسات ومصالح الاحتكارات الأمريكية [202].

عند تحليل ما تنقله الحرة، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار صعوبة تصوير الحقيقة في قصص الاخبار التي تنقلها، خاصة عند مقارنة خطاب الحرة مع الخطابات التي تعبر عنها غالبية القنوات الأخرى في المنطقة . ان صور الحقيقة لدى الحرة تعتبر غير وافية ويعوزها الكثير

---

[201] شيللر، *المتلاعبون بالعقول*، 18

[202] يوسف، *الاعلام والسياسة*، 42.

من الوضوح والمصداقية. وعلى الرغم من القصور الذي ينتاب عمل القنوات العربية في المنطقة، الا أنها تتمتع بمصداقية أعلى في الشارع العربي من قناة الحرة نتيجة اقتران اسمها بوجود الاحتلال الامريكي في العراق.

اذ يرتبط وجود الحرة بشكل أساس بتقديم كل المبررات الذي يمكن أن تخدم المحتل الأمريكي بطرق وأساليب مختلفة. وفي وقتنا الحاضر تعتبر الخطابة والكتابة السياسية بمثابة الدفاع عن ما لا يمكن الدفاع عنه . كتب جورج اوريل عام 1949، أن أمور في سبيل التبرير حول استمرار الحكم البريطاني في الهند، أو حول حملات التطهير والابعاد الروسي، أو ال قاء القنابل الذرية على اليابان، هي أمور في الحقيقة يمكن الدفاع عنها كما وصفها.

لكن فقط باستخدام الحجج الوحشية جداً التي يعجز أكثر الناس عن تحملها، والتي لا تتطابق مع الأهداف المعترف بها من قبل الحكومات . وهكذا، ينبغي على اللغة السياسية التي يحملها الخطاب الاعلامي، أن تتضمن مقداراً كبيراً من التلطيف واستجداء الأ سئلة والايحاء والغموض الغائم. ان الحرة تقوم بما قام به أوريل تماماً قبل نحو 60 عاماً، فهي تحاول أن تبرر أكثر فظائع الاحتلال وحشية تحت مبررات وعناوين مختلفة .

تاريخياً، لم تكن الحرة أول من استخدم هذا الاسلوب لتبرير أكثر الجرائم فظاعة، فقد سبق أن قتل هتلر ملايين البشر تحت مسمى "سلام الألف عام"، وقبل ذلك وصف القيصر الروماني يوليوس غزوه الوحشي والدموي لبلاد الغال باعتباره نوعاً من أنواع التهدئة[203] .

وهكذا نجد أن الحرة أقحمت نفسها بقوة بما تمارسه القوات الأمريكية في العراق من تضليل ، وهي تعتبر احدى أهم أدوات التضليل التي تمارسها القوات الامريكية بامتياز، فعلى طول فترة وجودها منحت الكثير من الوقت والجهد الى الفئات االتي تدعو لممارسة المزيد من العنف والاجرام في الشارع العراقي بطرق وأساليب مختلفة. ونجدها أيضا تبرر تقسيم العراق تحت حقوق ومسميات كثيرة أيضا، فهي تستضيف القيادات الكردية التي تنادي علناً بتقسيم العراق واستقلال أقليم كردستان، بل كانت العلاقة تشير الى تواطيء بين هذه الفئات من جهة وبين الادارة الأمريكية والقناة من جهة أخرى، اذ أن هذه الفئات توافقت مطالبها مع رغبة المحتل الساعي لتجزئة العراق الى أقاليم متناحرة فيما بينها، وتكون بحاجة دائمة للحماية الامريكية

---

[203] جورج اوريل كان مراقبا فطنا للعلاقة بين السياسة واللغة، وهو اشاع مصطلح" الخطاب المزدوج" في روايته العظيمة والشهيرة 1948 ، وقد أستخدم الخطاب المزدوج لوصف طريقة تفكير متناقضة تتيح للناس قول الاشياء التي تعني نقيضم ا يعتقدونه بالفعل. للمزيد: شيلدون، *أسلحة الخداع*، 111–115.

من بعضها البعض، وكانت أبرز الشخصيات التي تنادي بالتجزئة تجد من القناة أفضل وسيلة للتعبير عن مواقفها[204].

خلال احد اللقاءات في برنامج برنامج بالعراقي. بتاريخ 24-7-2009 ، اعتادت الحرة في هذا البرنامج على استضافة فئة من الضيوف الذين يتم اختيارهم من قبل القناة بناء على مواقفهم، وهم يمثلون فئة معروفة ومحصورة في أشخاص موالين للوجود الأمريكي. في تلك البرنامج اعتادت الحرة جلب ضيوفها لمناقشة طروحات التفرقة والعداء لدول الجوار العراقي، وهي طروحات لطالما نادى بها المحتل الامريكي للدول المجاورة بعد الفشل المتواصل في الساحة العراقية.

خلال البرنامج اتهم الضيف الكردي والذي يدعى هفال زاخوبي الدول الاقليمية بالتدخل في شؤون العراق الداخلية، وكان أكثر جرأة على اتهام الدول المجاورة بعرقلة انفصال اقليم كركوك عن الوطن الأم وانضمامه لاقليم كردستان، فعلى حد قول هفال أن تركيا حاولت عرقلة انضمام الاقليم نتيجة تخوفها من القضية الكردية، وأضاف أن كل من أنقرا ودمشق الى جانب دول عربية أخرى مثل السعودية لها تأثيراتها التي تحول دون انفصال الاقليم.

كما اتهم هفال الكثير من القيادات العراقية بأنها خاضعة للدول الاقليمية وقال" ان الكثير من الذمم في العراق تشترى من قبل الدول الاقليمية، وهناك ولاءات في العراق لبعض الدول المجاورة، بينما أعتبر الأكراد هم الفئة الوحيدة التي ليس لها ولاءات اقليمية أو خارجية، متجاهلاً كل التحالفات التي تربط جهات كردية رسمية مثل التحالف الكردي الأمريكي في العراق والذي لا يمكن لأحد أن ينفيه، وكان هذا التحالف واضح منذ اعلان الحرب على العراق وقائم على أعلى المستويات القيادية مثل هوشيار زيباري وطالباني ومسعود البرزاني، وهم يمثلون القيادات التاريخية للاحزاب الكردية الرئيسية.

اذن بات واضحاً مدى ما تروج له الحرة من أكاذيب وتزوير للواقع والحقائق في الساحة العراقية، فقد دأبت على استضافة الأشخاص الموالين للوجود الامريكي في العراق، وتعاملت مع الأكراد على أنهم قادة الشعب العراقي الحقيقيين . كل ذلك حدث ويحدث في سبيل خدمة

[204] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ29-7-2009.

المحتل الذي نصب هؤلاء الضيوف لبث بذور الفتنة والانفصال الذي يطالب به أكراد العراق عن الوطن الام[205] .

هناك الكثير من التغطيات التي عبرت عن تورط واضح للحرة في الشأن العراقي الداخ لي حيث نجد الكثير من الأمثلة، في برنامج ساعة حرة الذي بثته قناة الحرة بتاريخ 29 حزيران2009، وفي تعليق على زيارة وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس الذي قام زار اقليم كردستان العراق، ادعت الحرة أن الزيارة كانت تهدف لحل النزاع القائم بين اقليم كردستان أو بين الحكومة المحلية لاقليم كردستان العراق وبين الحكومة المركزية في العراق، وقالت الحرة أن الزيارة تهدف الى المصالحة والحفاظ على الوضع القائم في اقليم كردستان نافية وجود خلاف بين الطرفين.

الملاحظ أن الحرة في هذا البرنامج لم تأت على ذكر الجهود التي يبذلها قادة الاقليم للانفصال عن العراق، وهي جهود أزدادت بشكل واضح مع قدوم المحتل الأ مريكي للمنطقة، والواضح أن الطرف الكردي يريد أن ينزع من المسؤولين العراقيين الخاضعين للاحتلال الامريكي ما لم يستطع الحصول عليه من قبل النظام العراقي السابق الذي كان يرفض تجزئة العراق.

لكن وقائع الأحداث اليومية في الاقليم تشير الى أن اقليم كردستان العراق يمضي قدما نحو الانفصال واعلان الاستقلال، وأن الحرة تساعد على ذلك عبر الاستضافات المتكررة لابرز المسؤولين الذين يطالبون بالانفصال، وقد استغلوا القناة كمنبر للتعبير عن مطالبهم واستطاعوا عبر الحرة ايصال أصواتهم للعديد من الجهات العربية والعالمية . ومن الأمور التي تؤكد على أن الاقليم يسير نحو الانفصال بتشجيع من الولايات المتحدة، السماح للاقليم باجراء انتخابات محلية والتي أظهرت أنها أخذت الطابع القومي أكثر من كونها محلية.

وقد سبق أن سمحت الولايات المتحدة بعملية تأطير مؤسساتي لبعض الميليشيات المحلية في الاقليم، من أبرزها ميلشيا البشمركة الداعية للانفصال عن العراق بشكل علني . كما سمحت له ببناء مؤسسات تمثل مستقبل الدولة القادمة، فهناك برلمان محلي للاقليم وهناك القوة العسكرية الى جانب رئيس الاقليم.

---

[205] قناة الحرة. برنامج بالعراقي. بتاريخ 24-7-2009

ومما يؤكد أيضا أن الاقليم يسير نحو الانفصال، الخلاف بين الجانبين حول تبعية بعض المناطق المتنازع عليها للاقليم، اذ يطالب الجانب الكردي بخضوع مناطق مثل اقليم كركوك الغني بالنفط والغاز للسيطرة الكردية وهو ما يطرح الكثير من التساؤلات حول ذلك المطلب، فلذا كان الجانب الكردي لا يسعى للانفصال عن الوطن الأم فلماذا يطالب بخضوع بعض اقاليم العراق للسيطرة الكردية؟ والجواب ببساطة يتمثل في أن الجانب الكردي يريد أن تكون تلك الاقاليم جزءً من الدولة الكردية القادمة.

كما حاولت الأحزاب الكردية الضغط على وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس خلال زيارته التي قام بها لاقليم كردستان، لافشال صفقة الاسلحة المزمع عقدها بين الحكومة المركزية في بغداد وبين الادارة الامريكية، حيث كان من المفترض بيع العراق طائرات اف 16 ، وقد ضغطت الجهات الكردية لفرض قيود على الصفقة بسبب المخاوف من احتمال استخدام تلك الأسلحة ضد الاقليم في حال أعلن استقلاله عن العراق[206] .

ومن بين أساليب تأثير الحرة على المواطنين العراقيين، أنها تحاول التأثير على مشاهديها من خلال وضع الخبر في اطار سياسي معين يمكن أن يقود المشاهدين الى القبول بم ا تطرحه القناة، وهي تلجأ الى الأساليب الاخبارية باعتبار أن الأخبار قد تقنع الأفراد بتغيير ميولهم السياسية أو خياراتهم.

فعندما تعرض الحرة لموضوع اقليم كردستان العراق وتظهره على أنه اقليم شبه مستقل عن العراق، وتحاول أن تتناول الموضوع بشكل ودوري ومستمر وتضعه في اطار سياسي ما ، فان ذلك يخلق مع الوقت لدى المشاهدين نظرة الى الاقليم كونه أكثر استقلالاً وأقل خضوعاً للسلطة المركزية في العراق[207].

وكذا موقف الحرة من الدول المجاورة، فقد أصرت الحرة خلال تغطيتها للوضع العراقي على توجيه الاتهامات للدول المجاورة في التدخل بالشان العراقي، وذلك بغية ابعاد الشبهة والمسؤولية التي تقع على السلطة المحتلة التي تحكم العراق ، وتورطها في تلك الاعمال الارهابية الذي عادة ما تنسب لمنظمات وهيئات تعتبر من نسج الخيال الأمريكي، فمن أجل حفظ ماء الوجه للمحتل الذي يتكبد خسائر فادحة في صفوفه، فانه يلجأ الى الأعمال الانتقامية

---

[206] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة.بتاريخ29-7-2009.

[207] اينز لابير، *وسائط الاعلام*، 133.

ضد المدنيين العزل وذلك لخلق نوع من التوازن بين خسائره وخسائر المقاومة العراقية، ومعوضاً خسائره بمزيد من الخسائر في صفوف المدنيين العراقيين، وهو ذات الأسلوب المتبع من قبل اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

فقد أصبحت المعادلة أنه كلما ازدادت الخسائر في صفوف الجنود الأمريكيين، كلما أصبح المدنيين العراقيون أكثر عُرضة للاستهداف وذلك للحفاظ على النظرية التي تعتمد عليها القوات المحتلة في تعاملها مع الشعوب الخاضعة للاحتلال، والتي تتمثل في تثبيت الفروق الشاسعة في ذهن العدو بين عدد ضحاياه في مقابل ضحايا الطرف المحتل، أي أن المدنيين هم الذين يدفعون ثمن عمليات المقاومة التي تنال من الجانب العسكري في صفوف كل من العدو الاسرائيلي في فلسطين والاحتلال الأمريكي في العراق.

في المقابل فان الاعلام يقوم بدور المبرر والمدافع عن تلك السلطات. وقد صور موقف الحرة التالي الدور الذي تقوم به القناة في خدمة أهداف الاحتلال والتغطية على جرائمه المتواصلة. ففي ردة فعل على احدى الاسئلة التي طرحها أحد الضيوف خلال برنامج ساعة حرة حول الوضع الأمني في العراق، تساءل أحد الضيوف في سياق من التشكيك قائلاً "، اذا كانت الدول المجاورة تريد للعراق أن يستقر، فمن يقف خلف تلك التفجيرات التي تحدث في العراق؟، لكن السؤال ما لبث أن يكتمل حتى سارع مقدم البرنامج مقاطعاً الضيف ومؤكداً على تورط الدول المجاورة بما يجري في العراق قائلاً، "من قال أن الدول المجاورة تريد استقرار الأمن في العراق؟" . وقد سعت الحرة من وراء ذلك الى التغطية على الجهات الحقيقية التي تقف خلف تلك التفجيرات[208] .

لذلك فان الكثير من البرامج الذي تقدمها الحرة صمُمت لخدمة ذلك الهدف، فعادة ما يتم تعزيز بعض البرامج السياسية التي تخدم وجهة النظر الأمريكية في العراق، لذلك تتدخل بعض الفئات في تحديد السياق الاخباري الذي تختاره القناة من الأخبار، ومن بين هذه الفئات مسؤولي الحكومة والمتحدثين بأسم الاحزاب أو قادة جماعات المصالح في الولايات المتحدة وفي العراق، وعبر الصحفيون تحُدد الرسائل السياسية التي سيقدمونها من خلال القناة الاخبارية (الحرة)، وكذلك يحدد الاطار الذي ستوضع فيه.

---

[208] قناة الحرة. برنامج ساعة حرة. بتاريخ12-8-2009

ولكن اذا ما نظرنا في سياق اختيار وتحديد البرامج التي تحددها الجهات الامريكية. فان ذلك يثير تساءلات عدة حول التحكم في كل ما يطرح عبر القناة من دولة تدعي أنها تحمل القيم الديمقراطية وتروجها لها في الخارج. ولا يخفى على أحد ما أرتكب من حماقات تحت مسميات نشر الديمقراطية كما حدث في العراق من قبل الولايات المتحدة التي تزعم أنها تتبع القيم الديمقراطية. مع ذلك، ينظر لتركيز التحكم الشديد في ايدي الحكومات ومؤسسات الاعلام على أنه أمر شديد الخطورة على الديمقراطية[209].

وهكذا فان الحرة وبفضل ما توفره لها الادارة الأمريكية من ظروف ميدانية وموارد مالية ومعلوماتية، تحاول أن تكون قوة ذات فاعلية سياسية، كما تحاول أن تكون مصدراً لتكوين انطباعات الناس ومعاييرهم ووجهات نظرهم السياسية.

كما تحاول في الشأن العراقي أن تغير وجه الحياة السياسية عبر الترويج لوقائع سياسية جديدة، بالاضافة الى التسويق لبعض السياسات القائمة على تفتيت وحدة العراق وتأييد انفصال اقليم كردستان عن العراق، بل ذهبت للعب دور أبعد من ذلك من خلال محاولتها تعديل بعض العادات اليومية ومحاولة تكييف اسلوب حياة الناس للتكيف مع ما تطرحُه ، اذ تجعل من الاحداث التي تهم الادارة الامريكية ظواهر عالمية تهم الجميع.

فهي تسعى عبر بث بعض الوقائع البعيدة عن المجتمع العراقي، ومنها بث بذور التفرقة بين فئات المجتمع المختلفة، الى اظهاره على أنه منقسم على نفسه ما بين طائفي واقليمي. ومن أجل تكريس هذا الواقع في المجتمع العراقي لجأت الحرة لممارسة الاسلوب التكراري الذي يتمثل في تكرار الحديث عن موقف ما حتى يسهل تقبله ومن ثم اعتباره حقيقة مسلم بها[210]

---

[209] جريير، *سلطة وسائط*.، 14-15.

[210] ويقود التواتر الى اسلوب اتباعي، وقد ينتج عن التواتر موقفين، الاول يظهر عبر بروز انماط سلوكية فيها قدر من المسايرة ، اما الموقف الثاني فيحتوي على قدر من المغايرة . وتتضح المسايرة حين يبدي الافراد سلوكا متفقا مع المثيرات الواصلة، بينما تنطوي المغايرة على قدر من المقاومة. فالقنوات الوافدة تقود الى دعم بعض الاتجاهات وتعزيزها، كما تعمل على خلق اتجاهات جديدة.: عزي. *العرب والاعلام*، 67

المبحث الثالث

الحرة.. هل تحارب الفساد في العراق؟

شاركت الحرة في بعض الحملات ضد قيادات لا يرغب الاحتلال الأمريكي في وجودها، ومن بين الاساليب التي لجأت اليها "الحرة" ضد هؤلاء القادة أسلوب التشهير، ومحاولة فضح هذه الشخصيات ووصفها اما بالفاسدة واما أنها على علاقة مع المقاومة العراقية. وكانت أبرز التهم الموجهة لهؤلاء القادة، التورط بعمليات الفساد الجارية في العراق، في الوقت الذي تناست فيه الحرة أن أكبر الكيانات الفاسدة في العراق هم أتباع الادارة الامريكية المؤيدين للوجود الامريكي وهي أول من يغض الطرف عنهم، الى جانب أن الفساد ينخر جسد الحكومة العراقية دون استثناء، بل ويطال الجهات الامريكية التي تحكم العراق وعلى رأسه ا الحاكم العسكري السابق بول بريمر، الذي تبين أنه متورط بسرقة عقود النفط الذي كان يدير ها الأمريكان عقب سقوط النظام العراقي السابق.

ومن أجل تفسير أكثر حول تلاعب الحرة بالالفاظ لدعم وجهة نظر ما، لا بد للعودة قليلاً لموضوع اللغة المستخدمة في الساحة العراقية، وبغض النظر عن القيادات التي تحكم الشارع العراقي سواء صدام حسين سابقاً أم القيادات التابعة للاحتلال اليوم. فاذا ترجمنا اللغة التي استخدمتها الادارة الامريكية في حربها على العراق يصبح معناها الآتي" بغض النظر عن شكل الحكومة التي لديهم– نظام صدام أم غيره– نريد أن يكون جنودنا هناك بحيث يمكننا السيطرة على نفطهم".

على أي حال، ان الحديث بكلام صريح كهذا يعتبر نوعاً من المحرمات، لذلك يتحدث الكُتاب الذين تستضيفهم الحرة باسلوب ملطف فيشيرون الى جنود بدلاً من " قواعد عسكرية متقدمة"، و" مصالح أمريكية بعيدة المدى" بدلاً من السيطرة على النفط [211].

وجاء اسلوب تغطيتها لذلك الموضوع على شكل اثارة العديد من التساءلات، كيف أن بعض طبقات الشعب العراقي تتسول في شوارع بغداد في ذات الوقت الذي تذهب فيه ا لأموال العامة لتمويل بعض الأحزاب والميليشيات؟ تلك الميليشيات التي تعتبر أصلاً جزءاً من القوات المحتلة، وهو الشيء الذي لم تأت على ذكره الحرة خاصة أن هذه الأموال الفاسدة والتي تتحدث عنها الحرة هي ميزانيات خُصصت لتلك الميليشيات بأوامر من الاحتلال الأمريكي

[211] شيلدون، *أسلحة الخداع*، 119

الذي يسعى عبر تلك الميليشيات لتأجيج نار الفتنة بين مختلف فئات الشعب العراقي ، الى جانب أن هذه الميليشيات تساند الاحتلال في عملية التصدي لحركات المقاومة التي تهاجم القوات الامريكية المحتلة.

الملاحظ في خطاب الحرة حول الفساد توجيه اتهامات بالفساد لاشخاص محددين، في ذات الوقت التي تتغاضى فيه عن آخرين، في اللقاء السابق ظهر التناقض في خطاب الحرة وهو تناقض كشف ان ما تقوم به الحرة ليس سوى عملية تشهير تستهدف أشخاص قد يكونوا على خلاف مع القوات الامريكية أو لديهم علاقات بالمقاومة ا لعراقية. فعندما نزلت الحرة الى الشارع العراقي لاستطلاع آراء المواطنين حول الفساد، جاءت أجابات الشارع العراقي على النحو التالي . ذكر بعض المستطلعة أرآءهم حول المال العام، أن من بين ما يعتبر توظيف للمال العام أمور مثل، استخدام السيارات الحكومية في عمليات القتل والاغتيال التي تجري في الشارع العراقي، والحديث هنا عن ذات العمليات التي عادة ما تتهم فيها حركات المقاومة العراقية، ويبدو أن الحرة بمهنيتها القليلة لم تنتبه الى أن تلك الاتهامات موجهة ضد قوى محسوبة على الاحتلال الأمريكي. كما ذكر البعض أن المال العام يوظف باعتباره منحة أو مغنمة لبعض المسؤولين التابعين للحكومة وكل من يسير في ركب الحكومة العراقية من وجهاء.

الى جانب أن بعض الاحزاب المحسوبة على الاحتلال استفادت في تمويل حملاتها الانتخابية من المال العام . تساءل أحد المستطلعة أرآءهم حول الوزير المتهم في حينها بالفساد وهو الوزير فلاح السوداني وقال، هل الوزير فلاح السوداني فقط هو الحرامي؟، وأض اف ان الجميع متورطون في سرقة الأموال العامة، وعندما تصرف هذا الشاب على نحو لم تتوقعه الحرة، وبدأ يوجه أسئلته أثناء المقابلة للعامة الذين يسيرون في شارع بغداد ويسأل بصوت مرتفع، أليس الجميع متورط بسرقة المال العام؟ سارعت الحرة الى قطع البث[212].

من الآليات التي تستخدمها الحرة لخدمة الصورة المرئية للخطاب السياسي، والتي يمكن ملاحظتها بوضوح، قيامها بعملية التشويش أو المقاطعة أوالتجاهل لبعض من يحاولون التعبير عن ما يجري في العراق، وغالباً من يتعرض لهذه العملية(التشويش)، هم الاشخاص غير المنسجمين مع رؤية القناة ومن يحاولون نقل الصورة الحقيقية لما يجري، فعندما قطعت الحرة

[212] برنامج ساعة 7 ايام- بتاريخ 2-8-2009 .

بثها اثناء حديث الشاب في المثال السابق ، هدفت الى قطع الفكرة الذي يسعى ايصالها الى الجمهور[213].

يمكن تفسير العلاقة بين الحرة وبين ضيوفها الذين عادة ما يتبنون كل تطرحه الحرة بانها علاقة ترتبط بمصالح شخصية فيما بين الطرفين، فهؤلاء الاشخاص الم هادنين أو الداعمين لوجهات نظر القناة، اما أن يكونوا موظفين تستعملهم القناة بشكل دائم لمخاطبة الجماهير في الشارع العراقي، واما تربطهم علاقات بالاحتلال الامريكي الذي يوفر لهم الفرص والحماية . "وفي العمل الاعلامي يمكن تفسير ذلك، بان العالم الذي يضم المدعوين الدائمين، هو عالم مغلق على الذين يعرفون بعضهم بعضا، وهو عالم يعمل وفق منطق الدعم الذاتي المستمر"[214]

وفي اللقاء السابق ايضاً، بدأ ضيوف البرنامج بالتعليق وتوجيه الاتهامات الى مقدم البرنامج، من ما سمعوه من انتقادات موجه اليهم، وانه سوف يدفع ثمن هذه الندوة، وأعتبروه خارج دائرة الوطنية، والسبب يعود حسب وصف الضيوف أن مدير البرنامج اتهم البعض بانه خائن وعميل وعدو للحكومة المحلية والحكومة المركزية كما اتهموه بأنه مخل بالامن[215].

والمضحك المبكي في ما يجري في العراق، وهو أيضا يشجع على العنف ويدفع باتجاهه ويبرر له، أن مسؤولين في حكومة المالكي، منهم من هو في منصب نائب رئيس الوزراء للشؤون الأمنية، ووزراء ونواب في البرلمان، يجهرون بتأييدهم لـــ"المقاومة" ويتحدثون بنفس لهجة "عادل المشهداني"– المتهم بعلاقات مع حزب البعث–، عن الحكومة "العميلة" وعن الذين "جاؤوا مع المحتل من الخارج"، بينما هم يقيمون أفضل العلاقات، والتنسيق المتميز، مع الإدارة الأمريكية. فهم لا يرفضون الوجود الأمريكي في العراق، لذلك فانهم جزء أساسي من اللعبة الاعلامية ومؤيدين بارزين لقناة الحرة[216].

---

[213] برنامج ساعة 7 ايام– بتاريخ 2–8–2009 .

[214] بورديو، *التلفزيون وآليات*، 68.

[215] برنامج ساعة 7 ايام– بتاريخ 2–8–2009 .

[216] حنين صادق. "*التفجيرات في العراق.. " ابتزاز سياسي " أم " انتقام " أم " قتيل حرب طائفية؟*". منتديات درة البحرين. بتاريخ 10–5–2009.(نسخة اليكترونية).( استرجعت بتاريخ 10–5–2009)
http://www.durbah.com/vb/t55404.html

المطلب الاول

الحرة.. والفساد الاداري

ان حديث الحرة عن معالجة الفساد في العراق يحيلنا الى البحث في الفساد الذي يكاد يسيطر على عمل الحرة، جاء في التقرير البحثي المطول الذي قدمه الصحفي آرت ليفين في مجلة أمريكان بروسبكت بعد شهور من التحريات، كشف من خلاله جوانب عديدة من الفساد والتبذير وسوء الإدارة في قناة الحرة، والتي أنفق عليهما حتى وقت صدور التقرير حوالي 200 مليون دولار من أموال دافعي الضرائب الأمريكي ، والذي من المفترض أن يحصلوا على 80 مليون دولار للسنة الهالية الواحدة.

يقول أرت لفن "النفقات التي تحيط بها الشكوك متورط فيها عدد من الشركات والموظفين والمقاولين من مرتبات ومنح ضخمة، أعطاها المحاسب لاشخاص من بينهم بعض الشيعة "الأصوليين" الذين لا يملكون خبرة أذاعية كافية ولا ومهارات لغوية إنجليزية، إلى ملايين الدولارات على عقود مشتريات أعطيت لأصدقاء حرب في واشنطن وبيروت ، وفوق كل هذا انفقت الحرة عند إنشائها 10 ملايين دولار على مشاريع كمبيوتر والتي نفذت من غير اتفاق عبر ممارسات مخالفة لمشروع المشتريات المتبعة مما أدى إلى إنهيار المشروع، كما تشكك المنتقدون في المرتبات السنوية للمديرين التنفيذيين فى الشبكة والتى وصلت إلى 250 الف دولار أي أكثر مما يتقاضاه نائب الرئيس الاسبق ديك تشيني"

خلاصة التقرير الذي كتبه آرت ليفيين أن الحرة غارقة في الفساد، وسوء الإدارة، والشللية، وتدني الكفاءة المهنية، والعمل لصالح الأنظمة العربية وليس أمريكا . ويعزي ذلك وليام روغ السفير السابق وخبير الدبلوماسية العامة " أن مسائل المخالفات المالية والتحيز في برامجها تعود إلى الإفتقار إلى المحاسبة المناسبة من جانب مجلس حكام الإذاعة، وهو وكالة فيدرالية مسئولة عن الإذاعات الأمريكية فيما وراء البحار.

وقد كان غياب التخطيط من بين الانتقادات التي وجهها التقرير للقناة، ولعل الكلمة المعبرة عن ما يجري في قناة الحرة هي كلمة "الفوضي"، فلا يوجد تخطيط ولا تقييم دوري لأداء القناة ولا تنسيق بين البرامج، وإنما الكل يعمل في جزر منعزلة حسب وصف التفرير، ولا تجد خطة أسبوعية أو شهرية أو سنوية، وبالطبع مع غياب في الرؤية عن دور القناة أساساً.

يقول الصحفي المعروف مجدي خليل عن ادارة القناة، " كل ما يحدث أن يذهب مقدم البرنامج أو منتجه إلى موفق حرب أو الى المدراء الذين جاءوا من بعده، ويستشيره في موضوع الحلقة وفي الضيوف، ويأخذ تعليماته الإمبراطورية وفقا لأجندته الخاصة ورؤيته القاصرة الضحلة. وقد ضغطت عليه ليجلس معى ومع بعض مقدمي البرامج للتناقش في أمور القناة، وقد قال لي أثنان من مقدمي البرامج الأسبوعية، هذه أول مرة نجلس معه منذ سنة، ولولاك لما جلس معنا، هو يهرب من العمل المنظم حتى يكون كل شيء في قبضة يديه ". ويضيف خليل "أتمني على مسئول أمريكي أن يفاجئه ويقول له ما هي خطتك الشهرية أو السنوية".

كل ما يفعله هؤلاء المدراء هو الاستعانة بشركة علاقات عامة لتحضير الأسئلة والأجوبة المتوقعة عندما يقابل مسئولين أمريكيين، أو خلال لجان ا لاستماع بالكونجرس ومعهم نسخة كاملة معدة لهم، وبها عدد من الأسئلة المتوقعة واجابات تذكرني بما يقوله المتحدث باسم البيت الأبيض، حتى لا يخرج عن النص أو يرتبك أمام سائليه ، خاصة وهو لا يملك رؤية واضحة وعميقة لدوره ودور القناة.

ومن المساوىء التي تؤخذ أيضا على القناة، غياب التوزيع الجغرافي في المنطقة. يمكن تقسيم المنطقة العربية في هذه اللحظة التاريخية وحسب الاهتمامات الامريكية إلى خمسة مناطق، سوريا ولبنان، العراق، منطقة الخليج، منطقة الشمال الأفريقي من ليبيا إلى المغرب، مصر والسودان وفلسطين وإسرائيل . لكن الاختلال في تغطية الحرة لهذه المناطق هو السمة الرئيسية، فهناك تركيز واضح على لبنان وشيعة العراق، فأكثر من 30% من الضيوف من لبنان وست برامج تبث من لبنان، وأغلب مقدمي البرامج من لبنان أو شيعة العراق ، بالإضافة طبعا إلى الاختلال الواضح في التوزيع الجغرافي للعاملين . وباختصار يمكن القول أن قناة الحرة تحولت إلى بيزنس لبناني، وإلى تركيز صناعة السياسات في أيدي الشيعة[217] .

تبدو الحرة عند حديثها عند الفساد كأنها تعارض عمليات الفساد في أوساط الحكومة العراقية. وكما ذكر سابقا، فلن الحرة تجاهلت الموضوع الأساس في الفساد الحكومي وتغاضت عن الأسباب الحقيقية له والتي تتمثل في دعم المحتل الامريكي للجهات الفاسدة مقابل تبعيتها له.

---

[217] .Khaalil,." *Why Did Alhurra*?19 April 2006
shttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=55062

النتيجة أن الحرة تطرح موضوع الفساد وذلك يعود لاهداف سياسية. فقد هدفت عمليات التشهير هذه الى استبعاد بعض القيادات التي تتهما الادارة الأمريكية بالتورط بما أ سموه (الارهاب)[218] .

[218] قناة الحرة. برنامج 7 ايام. بتاريخ 2-8-2009.

المطلب الثاني

حول مهنية القناة

لمعرفة الملامح الرئيسية التي انتهجتها الحرة في سياق تغطيتها للشان العراقي، فهي تأتي وفقا للحملة الاعلامية الرئيسية التي تم الاعلان عنها مع بدء الحرب على كل من افغانستان والعراق، وقد جاءت هذه الحملات في محاولة من الولايات المتحدة لضمان النجاح العسكري، واقناع الرأي العام المحلي(الامريكي) والدولي بشرعيتها بهدف ضمان دعمها وحشد العالم من وراءها، وذلك لمباشرتها وادامتها واستمرارها في الجولات اللاحقة .

فكان من منطلقات الحملة الاعلامية الامريكية (التعتيم والشمولية )، وذلك لجعل الحملات العسكرية مطلبا دوليا جامعا. كما كان من أبرز خصائصها التعتيم والسرية، بحيث لم يكن يظهر على السطح من المعلومات والاخبار الا ما تريده الج هة التي تدير العمليات الميدانية ، وهو ما افصح عنه بوش في وقت مبكر من الحرب بقوله" ان ما سيعلن للجمهور ويشاهده هو بعض العمليات فقط، ولكن معظم العمليات ستظل طي الكتمان لضمان نجاحها[219].

يقول أحد العاملين في الحرة والذي رفض الكشف عن اسمه معلقاً، ان مسألة المراجعة ليست الأولى من نوعها، منذ أن انطلقت القناة وهي في مراجعة مستمرة والنقاش مستمر منذ زمن بعيد، ومشكلة الحرة أن العرب الذين يديرونها لا خبرة لهم والاميركيين لا يفهمون شيئاً مما يبث فيها، وأضاف أن العرب ينتقدون قناة الحرة مثلاً لأنها ممولة أميركيًا ولا ينتقدون قناة العالم الممولة ايرانياً".

ويضيف "لقد تأسست الحرة على أخطاء، ووجدت لوبيات كحال اللوبيات في جميع القنوات الاخبارية العربية، وشعر المغربي والخليجي ومن يعيشون في بلدان شمال افريقيا بالتهميش ، ولكن هذا لا ينفي أن القناة تطرح العديد من المواضيع الجريئة التي لا تستطيع قنوات كالجزيرة أو العربية طرحها مثل برنامج مساواة، حديث الخليج، حكايات مغربية وغيرها الكثير، لا بل الكثير من ضيوف القناة ممنوعين من الظهور على قناة العربية التي تعد أكثر ليبرالية من الجزيرة مثلاً".

---

[219] مصطفى دباغ، *امبراطوريتي تطفو على سطح الارهاب : الكتاب الذي يجيب على التساءل الامريكي: لماذا يكرهوننا؟* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004)، 58.

في المرحلة الأهم، وفي ما يخص احتراف العاملين في الحرة من جهة، وانواع وجهات النظر التي تبث على الهواء من جهة أخرى، تثير الحرة جدلاً أيضاً، ومن بين الحالات التي تذكر بث خطابات حزب الله دون مراجعتها، يعلق غلاسمان على ذلك بالقول "لاشك أن القناة قبل عام ونصف العام ارتكبت أخطاء فادحة من خلال بث خطاب كامل لحسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، وهو ما يخرق المعايير التي وضعت للقناة وقد استقال مدير الاخبار مباشرة [220].

وفي شكل جلسات حوار مطولة، هي على شكل اعترافات، تحدث محمد ذو الرشاد، وهو من أبرز الإعلاميين المغاربة الذين وضعوا اللبنات الأولى في العمل المهني، في حقل السمعي البصري، يقول " لم ينفع موقفي في دفع الحكومة الأمريكية إلى العدول عن إنشاء «قناة الحرة»، وقال إن قناة «الشبكة العربية الأمريكية» هي آخر تلفزة جادة تبث بالعربية والإنجليزية من أمريكا.

ويؤكد ذو الرشاد " أن هذه الملاحظات لم تسفر عن إقناع اللجنة التي كان من بينها السفير الأمريكي السابق في المغرب «إدوارد جيبوييل» بإعادة النظر في الفكرة. وأعتقد أن الأمر كان محسوما منذ البداية، وربما ما جمعته اللجنة من آراء كان إيجابيا وكان صوتي أنا من الأصوات القليلة التي كانت تغرد خارج السرب. وانطلق المشروع بطريقة عشوائية، حيث لم يدرس دراسة علمية حتى يستطيع منافسة القنوات العاملة في العالم العربي، وعلى رأسها الجزيرة، أو على الأقل أن يجد له زاوية يحتلها ضمن هذا المشهد الإعلامي المكتظ . ووقعت فضائح ومشاكل، وتم تغيير الإدارات والمسؤولين عدة مرات، وما يزال هذا الجهاز يبحث له عن مخرج من تلك المشاكل حتى الآن".[221]

كما يؤكد مجدي خليل- مدير انتاج سابق بالقناة- وهو من الذين عملوا فيها ، أن الصحفي اللبناني موفق حرب، أول مدير للقناة، "ملأ صالة التحرير الاخباري باصدقائه اللبنانيين الذين

---

[220] ايلاف."*قناة الحرة .. سطور ليست للنشر*". ايلاف. بتاريخ 29-حزيران2008.(نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ 29-6-2008)

http://marebpress.net/articles.php?id=3890

[221] حسن والنيعام." ذو الرشاد: *لم ينفع موقفي في دفع الحكومة الأمريكية إلى العدول عن إنشاء «قناة الحرة » و«إذاعة سوا»*.المساء الرأي الحر والخبر اليقين. بتاريخ 19-فبراير2011.(نسخة اليكترونية) .(استرجعت بتاريخ 19 فبراير2011)
http://www.almassae.press.ma/node/2871

لا يملكون الخبرة الاعلامية والصحفية الكافية". وقال خليل، الذي أختلف مع موفق حرب وقدم استقالته، ان "الكثير من الأخطاء في البرمجة والتحرير كانت عادية". و" إنني تحدثت مع حرب عن هذه الاخطاء المهنية، وقلت له إننا في حاجة إلى تحسين الآداء المهني ، غير انه قال لي: لا..كل ما نحتاج إليه ملأ الاثير".

ويضيف خليل، الواقع أنه"حرب" لم يكن يعرف ماذا يعني مضمون محطة أخبار.." لكن أحد العاملين السابقين في القناة قال إن حرب أجبر على ترك القناة بعد أن رسى الاختيار على أحد الاعلاميين السابقين في قناة CNN، وهو الأمريكي لاري ريجسترز. وقال "لا احد يبالي بالاخطاء المتكررة التي تبدو اثناء ساعات البث ..والحقيقة أن العاملين في القناة يتندرون أن هذه الاخطاء لا تمثل كبير أهمية ..ما دام أن القناة نفسها لا تشاهد اصلا.."

وقال ريجستر أن القناة كانت تحمل أجندة وتغطي فقط أحداث لبنان. واضاف أن المسؤولين عن القناة "طلبوا منه أن يجعلها قناة إعلامية حقيقية". وإنه بعد تعيينه "لم يجد قاعدة عمل مهنية. وتساءل، كيف كانت تعمل هذه القناة. لم يكن هناك أرضية مهنية للعمل..كل ما في الأمر إنني وجدت موظفين كثر ينتظرون فقط صرف الشيكات. كما ان بعض المسؤولين بالقناة ليس هدفهم بالضرورة "منافسة القنوات العاملة في مجال البث الفضائي .. وإنما تقديم مصادر اخبار بديلة وذات مصداقية. وقال بروس شيرمان" نحن لم نقل أننا قد كسبنا الجولة . ما قلناه هو أن لدينا ما نراهن به في السباق الفضائي[222].

أما سعد الدين إبراهيم مدير مركز بن خلدون فيقول، "الذين كان لهم موقف مبدئي ضد القناة استراحوا وتنفسوا الصعداء، لأنها لم تجذب الاهتمام، وأولئك الذين كانوا يتوقعون منها خيراً كقناة أميركية حرة ليبرالية أصيبوا بشيء من الإحباط وخيبة الأمل. فللمجموعة العربية التي قادت الحرة لم تنجح. وتوقع البعض أن تكون القناة في مستوى CNN عربياً، لأن كل من يعملون في CNN أغلبيتهم من حيث القيادة والتخطيط أميركيون ، وتستعين بخبرات غير أميركية إذا احتاج الأمر. " فكنت أتوقع أن يحدث نفس الشيء في الحرة وخاصة أنها ممولة

---

[222] منصور حاج." *الواشنطن بوست: قناة الحرة فشلت في أداء مهمتها في العالم العربي* "بتاريخ 2008/6/23 .آفاق : واشنطن (نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ28-1-2011)

http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=5975

تمويلاً جيداً، وتبث من واشنطن مقر السياسة الأميركية، حيث تكون هناك قصص إخبارية كل لحظة بل كل دقيقة بل كل ثانية فيما يستحق أن يراه العالم ويتطلع العرب لمعرفته" [223] .

وذكر تحقيق الواشنطن بوست أن ريجستر المسؤول الأمريكي الذي خلف موفق حرب أجبرعلى تقديم استقالته في عام 2007 ، بعد أن نشرت صحيفة الوول ستريت تقريراً جاء فيه، أن قناة الحرة نشرت خطاب الشيخ حسن نصر الله كاملا بغير تحرير. وإنه "بعدها تم تعيين اللبناني المولد دانيل نصيف مديرا للقناة. وكان نصيف يعمل في راديو سوا والذي يبث إرساله للعالم العربي. وقال التحقيق ان نصيف قبلها لم يكن يملك الخبرة الصحفية ، وأن عمله السابق كان قد تمثل في جماعة لوبي في واشنطن هدفت الى ما أسماه بلنهاء ا لاحتلال العسكري السوري للبنان.

[223] مجدي خليل." *مشروع لم يحقق المرجو منه- الدراسة تمت بناء على طلب بعض أعضاء الكونجرس وعدد من المسؤولين المهتمين باصلاح هذه القناة* ". ميدل ايست اونلاين. بتاريخ 1-18-2006. (نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ 1-18-2006). http://www.mafhoum.com/press9/264C33.htm

المطلب الثالث

موقف الجمهور العربي من القناة

وحول موقف المواطن العربي من القناة، فقد استطلعت صحيفة الواشنطن بوست بعض آراء المواطنين في العالم العربي عن رأيهم في برامج قناة الحرة فقالت أمينة خيري، وهي مراسلة صحفية لجريدة الحياة اللندنية بالقاهرة، إن الرأي العام العربي كان مهتما بشكل قوي بما ستكون عليه قناة الحرة بعد الاعلان عن تأسيسها عام 2004 وذلك "لكونها أمريكية . ولكن لا أحد يهتم الآن بأمر قناة الحرة، ولا تجد شخصاً يسألك عن أي شئ ملفت للنظر تم بثه بواسطة القناة ".[224] .

وخلال استطلاع أجري في جامعة القاهرة حول أرآء الطلاب ومواقفهم من قناة الحرة جاءت مواقفهم من القناة كالتالي، 33 من مجموع العينة البالغ عددها 107 طلاب أجابوا أن القناة تعرض مصادر أخبارية ممتعة في مجال البرامج التاريخية والوثائقية بالإضافة الى الأخبار العامة، ومنهم من ذكر أنه بات يكر ه الأخبار والبرامج الوثائقية نتيجة نزعة المحاباة التي أظهرتها "الحرة" عبر انحيازها للجانبين الأمريكي والإسرائيلي.

فالحرة عند بعض المستطلعة أرآءهم تحاول أمركة الرأي العام العربي، كما أن الكثير من الجمهور العربي لم يدرك أغراض استعمال الحرة وأهدافها المصاحبة للاحتلال، وفرض الرؤية الأمريكية الداعية لاجراء تغييرات جذرية سواء على مستوى ثقافة الشعوب، أو فيما يتعلق بالتغيير على مستوى القيادات العربية.[225] .

اما شبلي التلحمي الاستاذ في سياسات الشرق الاوسط في جامعة ميرلاند وصاحب عدة كتب في الرأي العام فيعلق بالقول، " ان تاثير قناة الحرة على الجمهور في منطقة الشرق الاوسط

---

[224] منصور حاج." *الواشنطن بوست: قناة الحرة فشلت في أداء مهمتها في العالم العربي* "بتاريخ 2008/6/23 .آفاق : واشنطن (نسخة اليكترونية).(استرجعت بتاريخ28-1-2011)

http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=5975

[225] -M.Clark, Andrew and Thomas B. Christie.Molding public opinion in the East: Understanding the Credibility and Effectiveness of the radio Sawa 166Middle and Television Alhurra Among Audience in Egypt.p23-37.

وصل الى الصفر "، ومنذ انشاء الحرة ازداد الغضب العربي على اميركا، لقد سار الرأي العام العربي نحو الاسوء في ما يخص اميركا".

التلحمي يؤكد ان كل استطلاعات الرأي حول القنوات التلفزيونية دائمًا ما ترتبط ب السياسة الاميركية في المنطقة، "هناك علاقة بين ما يشاهده الناس، أي المحطة التي يشاهدها الناس من جهة وبين موقفهم من الولايات المتحدة الاميركية وهذا قد لا يشكل مفاجأة . بمعنى ان عزوف الناس عن مشاهدة الحرة يمكن تفسيره بالموقف العربي الرافض للهيمنة الامريكية في المنطقة.

وفي الدراسة التي تمت بناء على طلب من بعض أعضاء الكونجرس وعدد من المسؤولين المهتمين باصلاح القناة حددت اسباب فشل القناة بالتالي:

من الاسباب التي تناولتها الدراسة أسباب تتعلق بالعاملين في القناة ، حيث اعتبرتهم من ذوات الكفاءة المتدنية، فالعاملون في قناة الحرة معظمهم كفاءتهم المهنية متدنية بالنسبة لنظرائهم في القنوات العربية الإخبارية الناجحة، ومعظمهم ليس لديه لا الخبرة ولا الدراية السياسية وخاصة بالشؤون الأمريكية، وأيضاً لا يتحدث أغلبهم اللغة الإنجليزية، أو لا يجيدونها.

ان العمل الاعلامي الناجح يتطلب ثلاثة عناصر أساسية، هي معرفة "المنتج "، وفهم الشارع ( السوق الذي سيباع فيه المنتج بالمعنى التجاري)، والمقدرة على بيعه. والواقع أن المشاكل التي واجهت الحرة نشأت عند البحث عن العنصرين الثانيين، أي فهم السوق وأستخدام موظفي مبيعات ( اعلاميين مهنيين) فاعلين يلمون جيداً بشؤون المجتمع الامريكي.

يقول مأمون فندي حول توفر هذه العناصر في موظفي قناة الحرة في اشارة الى مستو ى الاداء المتدني لديهم، "ان المرؤ يتوقع ان يتم اخصاع الصحافيين المختاريين للعمل في قنوات مملوكة وقائمة في الغرب لاختبار في المجتمع والثقافة وا لسياسة في الدول التي يعملون فيها، أو لما يشبه مثلاً ( لمن سيعمل في قناة "الحرة" أو راديو" سوا" مقررا أو مساقاً مثل " مقدمة لفهم بديهيات المجتمع والدولة في أمريكا" وهو مساق يدرس للمبتدئيين في الجامعات الامريكية.

فمن المفترض أنهم صحافيون محترفون ومتحدثون مطلعون في مجال اختصاصهم وملمون أيضاً بأخلاقيات المهنة" .

ويؤكد فندي، ان معظم الذين يقصدون قناة "الحرة" هم من الدرجة الثانية وغالبا ممن يتطلعون الى الحصول على الاقامة والجنسية الامريكية . وأحياناً تجد بينهم من لم يعمل في الصحافة من قبل. ولكي تتنافس مثلا قناة "الحرة مع القنوات الناجحة في المنطقة، فانها تحتاج الى تقديم تغطية أفضل لامريكيا. فاذا لم يكن ما تقدمه أمريكا للمشاهدين العرب والمسلمين عبر الحرة أفضل مما تقدمه القنوات العاملة في المنطقة، فان هؤلاء المشاهدين سيتجاهلون أمريكا [226] .

السؤال الذي يطرح نفسه هو، كيف يستطيع إعلامي لا يعرف شيء عن أمريكا أن يقدمها للعرب؟ وبالطبع ليس هناك مقارنة بينهم وبين مستوى الإعلاميين الأمريكيين . ويرجع ذلك إلى طريقة اختيار العاملين، فقد عهد بكل شيء إلى مدراء الأخبار العرب من امثال موفق حرب ومن خلفه، وكما يقول هشام ملحم الأعلامى اللبنانى في واشنطن بشأن تعامل مدراءالحرة، "لم تكن هناك رقابة، وكان هذا الرجل ( في حالة حرب مثلاً) يتولى وحده تعيين العاملين ويحدد مرتباتهم ويفصلهم متمتعاً بحماية نورمان باتيز وكينيث توميلنسون".

وهذه السلطات الواسعة التي منحت للمدراء بالإضافة إلى كفاءتهم المهنية المتدنية، أدت إلى بناء المؤسسة بأكملها على أسس غير صحيحة وبكفاءات لا تستطيع المنافسة في فضاء مفتوح، وكما يقول المحلل السياسي سلامة نعمات " موفق حرب صحفي من الدرجة الثالثة يستخدم صحفيين من الدرجة الرابعة معظمهم لا يتقن الانجليزية، ولا يعرفون الكثي ر عن الشرق الأوسط فضلا عن أمريكا، ولا تجد صحفياً ذا شأن من الشرق الأوسط يعمل هناك".

فعندما تغيب الكفاءة، وتغيب الرؤية والمساءلة، وتغيب الإدارة المنضبطة ، تكون الشللية والمصالح والعلاقات الشخصية هي التي تحكم العمل، وهو ما ذكره تقرير المفتش العام لوزارة الخارجية عن السنة الأولى، حيث ذكر "الافتقار إلى رقابة موحدة جيدة في معايير تعيين العاملين وتقديم التقارير عنهم". في قناة من المفترض أنها تروج للديمقراطية في الشرق الأوسط يديرها شخص واحد ديكتاتور يتحكم في كل شيء، وقد قام بتعيين شلة من أصحابه في المواقع الهامة وبمرتبات كبيرة وبدون النظر إلى كفاءاتهم المتدنية، وهو يتحكم في كل

---

[226] فندي، *حروب كلامية*، 215.

شيء، في نوعية البرامج والضيوف وتحديد المرتبات السنوية، وهو وحده الذي يقوم بالتعيين بدون أي معايير مهنية أو قانونية، وفي غياب كامل للدور الأمريكي، ويدير القناة وكأنها ملكية خاصة له ولشلته مثل أي دكتاتور عربي فاشي، وتنعكس عداءاته ومواقفه على كل شيء في القناة".

هل يتصور أن مدير البرامج لا يعرف شيئاً عن السياسة، وكل خبرته انه كان مخرجاً في المحطة اللبنانية، وترك القناة ليذهب إلى شركة كوانتم اللبنانية المتهمة بعلاقات فساد مع مسؤولي الحرة. هل يتصور أن يتم تعيين صديق لحرب، محلل سياسي بمبلغ حوالي 80.000 دولار سنوياً ليتحدث حوالي عشر دقائق أسبوعياً ، ينتقد فيها كل ما هو أمريكى بتحليلاته السطحية الركيكة . هل يتصور أحد أن يدفع مرتبات خرافية لمذيعين ومذيعات في بيروت ودبي لم يظهروا لفترات تزيد عن ستة شهور على القناة ويحصلون على مرتباتهم بانتظام[227].

والكثير من هؤلاء المراقبين لاداء القناة يتساءل حول خضوع القناة لجهات عربية تساهم في توجيهها، فهل تسللت المخابرات العربية للقناة؟ في مقالة لهجدي خليل يقول فيها، لقد حذرُ ت من السيطرة المستترة للانظمة العربية على برامج وأهداف القناة من خلال بعض العاملين في القناة، كما كتبت الباحثة المعروفة هالة مصطفي في الواشنطن بوست حول الموضوع ما نصه، "وتخضع وسائل الإعلام في مصر لسيطرة الأجهزة الأمنية، ويصدق هذا على محطات التليفزيون بما فيها قناة الحرة، وهي القناة الفضائية التي ترعاها الولايات المتحدة، والمفروض أنها تقدم أخبارا لا تخضع للرقابة من وجهة النظر الأمريكية.

ويضيف هؤلاء انه منذ البداية خضع عمل الحرة في مصر لسيطرة مستترة من قبل أجهزة الأمن، وهذه حقيقة ليست ظاهرة أمام المشرفين على المحطة في واشنطن . ولأجهزة الأمن صلات وثيقة ببعض مديري المحطة، وقد اختارت بنفسها الكثير من مراسلي المحطة، بل حتى لها الكلمة الأخيرة حول اختيار الضيوف الذين يظهرون في البرامج، نتيجة لهذا فإن إي شخص ينتبه بعناية إلى لهجة البرامج الاعتيادية والآراء المطروحة سوف يلاحظ أن الآراء الليبرالية والتقدمية والصريحة، تقدم دائما على إستحياء. وإن كان من المفروض أن تكون

---

[227] Art Levine ." America's new Arabic networks need to win influence and credibility. Their biggest challenge? Allegations of cronyism, incompetence, and mismanagement. November 7, 2005 | web only
http://www.prospect.org/cs/articles?articleId=10595

الحرة منبرا ينبض بالحياة والحرية فقد أخفقت في توفير ساحة حقيقية للآراء المتوازنة، ولذلك عجزت عن منافسة القنوات العربية[228].

كما يرى بعض الساسة الامريكان ان غياب الطرف الامريكي عن ادارة القناة أدى الى تدهور ادارتها، وهو الشيء الذي ينطبق أيضا على راديو سوا، فغياب الطرف الأمريكي سواء فيما يتعلق بالرقابة المالية أو تنسيق الموضوعات والبرامج أو تحديد الرؤية ورسالة القناة انعكس على الاداء العام لها. يقول مجدي خليل " أن الموظفين الأمريكيين هناك في خدمة العرب، هم لا يدرون شيئا عما يحدث لأنهم لا يعرفون العربية، ولا يعرفون أحاديل العرب".

فما يقوله المسئولون العرب للأمريكان ليس هو الحقيقة، وبالطبع الأمريكيون يصدقون لأنهم يفترضون أن أتباعهم يقولون لهم الحقيقة . أنت تحس أن الموظفين الأمريكيين بما في ذلك المديرين تائهون وسط سيطرة عربية على كل شيء تقريبا. وبالطبع من السمات العربية البارزة هو غياب الشفافية، وهو ما نقلوه بجداره إلى قناة الحرة حيث تغيب الشفافية عن كل شيء هناك[229].

---

[228] munir mawari ." *Why Did Alhurra Fail*?on July 5, 2006

[229] .Khaalil, Magdi." *Why Did Alhurra*?19 April 2006
shttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=55062

المبحث الرابع

الحرة ...الى اين؟

كان من المقرر أن تغلق الولايات المتحدة الأمير كية قناتها الفضائية الناطقة باللغة العربية "الحرة"، بعدما أدرك البيت الأبيض أن هذه القناة لم تفي بالغرض. وبالتالي فإن 350 مليون دولار التي أنفقتها الإدارة الأميركية على "الحرة" منذ فبراير 2004 ذهبت أدراج الرياح. وقال هشام ملحم مدير قناة العربية بواشنطن، إنه على الرغم من هذه التكلفة فإن القناة "فشلت حتى في الحصول على المركز الرابع، على أقل تقدير، بالنسبة لتفضيل مشاهدي القنوات العربية.." واضاف ملحم "إنه نادرًا ما تجد أناس قد شاهدوا قناة الحرة. وربما تكون الحرة هي القناة رقم عشرة في قائمة ترتيب بحث المشاهدين عن القنوات المهمة . إذن الحرة لم تكن في الترتيب الأول ولا الثاني ولا الثالث... ولا حتي الرابع".

وقال ملحم إن مسؤولي القناة فشلوا في ايجاد مدخل يمكنهم لإقناع المشاهدين العرب . كما أنهم فشلوا في ايجاد تقديم أي شيء جديد ومختلف حول اميركا للعالم العربي ،" وأضاف ملحم "لقد كلفت القناة الكثير.. ولكن العطاء فيها أقل مما يتصور المرء".

وقالت صحيفة واشنطن بوست أن الحرة فشلت في أداء مهمتها في العالم العربي . وأجمع بعض الخبراء الاعلاميين من العرب والاميركيين الذين تحدثوا للصحيفة على أن القناة لم يعد لها أي حظوظ من النجاح في سوق الإعلام العربي. وكانت القناة منذ بدايتها قد استمالت عددًا كبيرًا من الاعلاميين العرب الذي ما لبث عدد منهم أن " هاجر" الى قنوات أخرى.

وكانت استطلاعات الرأي المتعاقبة خلال السنوات الفائتة، قد أظهرت أن الحرة هي أقل الفضائيات الناطقة بالعربية مشاهدة . لكن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تصر على عدم اقفال الحرة، رافضة أن تلقى المحطة مصير مجلة هاي الشهرية ، والتي قررت الخارجية إيقافها عن الصدور. وعلى الرغم من عمليات المراجعة والتقويم الشامل لأداء المحطة الا انها لم تتمكن من جذب الجمهور العربي[230].

[230] *أمريكيا تعلن فشل مشروعها الاعلامي-الحرة اخفقت في استمالة الجمهور العربي والترويج لاهدافها*. بتاريخ 24-6-2008.
http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=306927

وجاء في التحقيق التي أجرته الواشنطن بوست بعد الفشل الذريع للحرة ، أن موفق حرب (المدير السابق للقناة) والذي استقال عام 2006. قال إنه أحس أن مجلس "إدارة القناة رغب ان تهدف القناة إلى خدمة السياسة الخارجية الامريكية بدلاً عن كونها قناة لبث الاخبار ". وأضاف حرب "منذ ذلك الوقت صارت القناة اكثر حذرا. لعل الهدف من تدخل مجلس الادارة هو إرضاء المسؤولين في واشنطن أكثر من مشاهدي القناة."

المبحث الخامس

الخلاصة

حاولت الحرة أن تلعب دوراً رئيسياً في توجيه الساحة العراقية عبر محاولة طرح القضايا الرئيسية التي تؤرق الشارع العراقي، وهي قضايا تهم جميع شرائح المجتمع العراقي قاطبة مثل الامن في الشارع العراقي، وتدخلات الدول المجاورة في الشأن العراقي ...الخ لكن الموضوع الأهم من ذلك كله ملاحظة أن الحرة خاضت في تلك الموضوعات رغبة منها ومن المحتل ابعاد الشارع العراقي عن الموضوع الرئيس الذي يتمثل في رحيل الاحتلال ومحاولة استمرار وجوده في الساحة العراقية.

اما قضية تدخل الدول في الشأن العراقي، نجد أن الحرة أخذت على عاتقها تلك المهمة واستمرت في اتهام الدول المجاورة بالتدخل في الشان العراقي، وكانت دائما تدعي انها جلبت من المبررات ما يدين تلك الدول، وقد استمرت بهذا النهج حتى في ذات الوقت الذي لم يجرؤ أو كان ينأى فيه المسؤولين العراقيين بانفسهم عن توجيه تلك الاتهامات.

وفي ظل الدور التي تمارسة الحرة بين أطراف الشعب العراقي ونخبته السياسية، فان دور الحكومة العراقية ينتابه الضعف,ويظهر عدم تماسك الحكومة العراقية الذي يحل محلها في كثير من الاحيان دور قناة الحرة. ولذلك فان قوة الحرة هي بمثابة ضعف الحكومة العراقية وهي قوة تستمدها من قوة ذلك المحتل الذي لا يبخل عليها بالمعلومات والتمويل..الخ.

الى جانب ذلك، عملت الحرة على بث بذور الفرقة والنزعة بين مخلتف فئات الشعب العراقي بطرق وأساليب مختلفة، كان منها استخدام اللغة الخطابية أو الصياغة الاخبارية التي تحمل السم في العسل كما يقال. في خلال اللقاء الذي جرى بين المالكي ورئيس مجلس القضاء الأعلى عمار الحكيم في 27-كانون الثاني2011، أشارت القناة الى اللقاء " أنه تم تناول العلاقات الثنائية بين الجانبين وهو مصطلح عادة ما يستخدم للتعبير عن العلاقات بين أطراف دولية وليس على المستوى المحلي، كما تحاول الحرة استخدامه بهدف زيادة الفرقة بين فئات المجتمع العراقي .

أيضاً استمرت الحرة منذ انشاءها وحتى اللحظة التأكيد على أن العراق ما زال مُهدد من جانب ما تسميه الحرة " الارهاب"، وذلك تبريراً لاستمرار الاحتلال في العراق وتنصلاً من جميع الوعودات التي قطعتها الادارة الامريكية بشان انسحاب القوات المحتلة في العام2011 .

اقتبست الحرة كلام وزير الدفاع العراقي عبد القادر العبيدي بتاريخ29 كانون الثاني 2011 ، ودعوته للمجتمع الدولي لمساعدة العراق ومؤازرته ضد ما أسماه الارهاب، كما استمرت بتوجيه الاتهامات التي أعتادت توجيهها لجهات عربية على طول فترة وجودها . أيضاً في ذات التصريح نقلت الحرة أن من بين" الارهابيين"، أشخاصاً يحملون جنسيات عربية لم تفصح عنها، لكنها اعتادت توجيه تلك الاتهامات الى دول بعينها مثل سوريا والسعودية ودول أخرى مثل ايران[231] .

لذلك، فان ما تقوم به الحرة يعتبر سياسي بطبيعته، فهو اما سلاح يستخدم ضد الدول المجاورة للعراق، واما أداة تستخدمها الادارة ا لامريكية ومن يسير في فلكها ضد الداخل العراقي وخاصة الفئات الرافضة للوجود الامريكي في العراق، والواقع أن الصحفيين العاملين في القناة انما ينتمون تحت هذا التصنيف، بل ان توجهاتهم تعكس الانجياز الايدلوجي والطائفي بشكل واضح، ولهذ يصنف الصحفيين العاملين في القناة أنهم سياسيين أكثر منه اعلاميين.

ولا شك أن توجهات الصحافيين تؤثر في انتقاء الاخبار وعرض التقارير ومواضيع البرامج الحوارية، وتعتمد الحرة في توظيفها للصحفيين على الموظفين الحاصلين على اجازات من الوظائف التي يشغلونها في بلدانهم، ولان هؤلاء الصحافيين يعرفون أنهم سيعودون الى وظائفهم في الوسائل الاعلامية في الددول التي أتوا منها ، فلا يسعهم توجيه أي انتقاد الى دولهم تلك، وفي حال فعلوا، فأنهم يخسرون رواتبهم التقاعدية والوظائف التي تنتظر عودتهم[232] .

---

[231] قناة الحرة. آخر الاخبار. بتاريخ 29-1-2011.

[232] فندي، *حروب كلامية*، 214.

## قائمة المراجع والمصادر


أبو زيد، نصر. *النص والسلطة الحقيقية: ارادة المعرفة وارادة الهيمنة*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،2000.

أحمد، أبو زيد. "التكنولوجيا الرقمية والاعلام الجديد." *مجلة العربي* ، عدد 577: 142–147، 2006.

آرنيت، بييتر. *الاعلام وحرب الخليج : دراسة شاهد عيان*. أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والتحوث الاستراتيجية، 1997.

اسماعيل، محمد حسام الدين . *الصورة والجسد: دراسات نقدية في الاعلام المعاصر* . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

أشرف، منصور. "ضمنية الصورة: نظرية بورديار في الواقع الفائق ." *مجلة فصول*، عدد 62. ملف العدد: ثقافة الصورة، 2003.

أمين، سمير. *العرب في عالم أحادي القطب*. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 1992.

ايان كريب. *النظريات الاجتماعية من بارسونز الى هبرهاس* . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999.

بارط، رولان. *مباديء في علم الادلة*. اللاذقية: دار الحوار، 1987.

بارط، رولان. *درس السميولوجيا*. الدار البيضاء: دار بوبقال للنشر، 1978.

بدر، أحمد. *الراي العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة*. القاهرة : دار قباء للطباعة والتوزيع، 1998.

برأون، سيوم . *وهم التحكم : القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين* . بيروت: شركة الحوار الثقافي، 2004.

بورديو، بيير. *الانطولوجيا السياسية عند مارتن هيدغر*. القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 2005.

بورديو، بيير. *التلفزيون واليات التلاعب بالعقول*. دمشق: داركنعان، 2004.

بورديو، بيير. *السيطرة الذكورية*. القاهرة: دار العالم الثالث،2001.

بول، براون. *تحليل الخطاب*. الرياض:جامعة الملك سعود،1997.

تشومسكي، نعوم. *هيمنة الاعلام: الانجازات المذهلة للدعاية* . دمشق : دار الفكر، 2003.

تشومسكي، نعوم. *ضبط الرعاع*. ترجمة هيثم حجازي . عمان : الاهلية للنشر والتوزيع، 1997.

جان، بودريار. *الفكر الجذري: اطروحة موت الواقع*. ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006.

جريبر، دوريس. *سلطة وسائط الاعلام في السياسة* . ترجمة أسعد ابة لبدة. عمان : دار البشير للنشر والتوزيع، 1999.

حجازي، مصطفى. *حصار الثقافة: بين القنوات الفضائية والدعوة الاصولية* . بيروت: مركو دراسات الوحدة العربية، 1998.

حديدي، منى سعيد وحسن مكاوي وحسن عبد الشافي . *الفضائيات العربية ومتغيرات العصر: اعمال المؤتمر العلمي الأول للاكاديمية الدولية لعلوم الاعلام* . القاهره : الدار اللبنانية المصرية، 2005.

حرب، علي. *الثقافة والتقانه*. الشارقة: اصدارات دائرة الثقافة والاعلام، 2001.

حرب، علي. *حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية* . ط1. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2000.

خولي، اسامة وآخرون. *العرب وثورة المعلومات*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

دباغ، مصطفى. *امبراطرية تطفو على سطح الارهاب: الكتاب الذي يجيب على التساءل الامريكي: لماذا يكرهوننا؟* بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.

دليمي، عبد الرزاق. *الاعلام والعولمة*. عمان: دار مكتبة الرائد العملية، 2004.

دوبريه، ريجيس. *محاضرات في علم الاعلام العام– الميديولوجيا* . ترجمة فؤاد شاهين. بيروت: دار الطليعة الطباعة والنشر، 1996.

دونبار، روبين وكريس نايت وكاميلا باور. *تطور الثقافة: رؤية في ضوء منهج البحوث المتداخلة*. ترجمة شوقي جلال. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، 2005.

رامبتون، شيلدون وجون ستوبر. *اسلحة الخداع الشامل : استخدام الدعاية في حرب بوش على الارهاب* . ترجمة مركز التعريب والترجمة. رام الله : دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004.

ربيع، محمد عبد العزيز. *صنع السياسة الخارجية والعرب*. عمان : منشورات دار الكرمل، 1990.

رزو، حسن مظفر. *ثورة الصورة: المشهد الاعلامي وفضاء الواقع*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

سليم، محمد السيد. " تطور الاطار النظري لعلم السياسة الدولية." *السياسة الدولية* ، عدد161 (2005): 46–51.

سيرغيني، محمد. *محاضرات في السيميولوجيا*. الدار البيضاء: دار الثقافة، 1987.

شميط، وليد. امبراطورية " *المحافظين الجدد* " *التضليل الاعلامي وحرب العراق* . بيروت: دار الساقي، 2005.

شومان، محمد. *تحليل الخطاب الاعلامي: أطر نظرية ونماذج تطبيقية*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2007.

شيللر، هربرت. *المتلاعبون بالعقول: كيف يجنب محركوا الدمى الكبار في السياسة والاعلام ووسائل الاتصال الجماهيري خيوط الرأي العام* . سلسلة اصدارات. الكويت: عالم المعرفة 1999.

صادق، حيدر بدوي. *مستقبل الدبلوماسية في ظل في الواقع الاعلامي والاتصالي الحديث*. أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1996.

عبد الرزاق، دواي. *موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر*. ط1. بيروت : دار الطليعة، 1992.

عبد الرحمن، عواطف. " الاعلام العربي: هل يقدر على حماية الثقافة." *مجلة العربي*، عدد577 (2006): 138–147.

عبد الحميد، شاكر. *نظام الخطاب*. ترجمة محمد سبيلا. ط1. بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر،2007.

غذامي، عبد الله. *الثقافة التلفزيزنية: سقوط النخبة وبروز الشعبي*. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2004.

عزي، عبد الرحمن. "الواقع والخيال في الثنائية الاعلامية : نحو تأسيس فكر اعلامي متميز". *المستقبل العربي*، عدد 182(1994): 75-86.

عزي، عبد الرحمن. "الثقافة وحتمية الاتصال : نظرة قيميه". *المستقبل العربي*، عدد 295 (2003): 15-34.

عزي، عبد الرحمن. *العرب والاعلام الفضائي*. سلسلة كتب المستقبل العربي . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

عساف، سوسن. *استراتيجية الردع : العقيدة العسكوية الامريكية الجديدة والاستقرار الدولي*. بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2008.

عيسى، نهوند القادري. *قراءة في ثقافة الفضائيات العربية : الوقوف على تخوم التفكيك*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

فوكو، ميشيل. *البنيوية وما بعدها : من ليفني شتراوس الى دريدا*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، 1996.

فوكو، ميشيل. *حفريات المعرفة*. سالم يفوت . الدار البيضاء : المؤكز الثقافي العربي،1987.

فوكوياما، فرنسيس. *نهاية التاريخ وخاتم البشر* . ترجمة حسين أحمد أمين . القاهرة : مركز الاهرام للترجمة والنشر، 1993.

فيشر، جلين. *دور الثقافة والادراك في العلاقات الدولية* . القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 2004.

قبيسي، هادي. *السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية* . بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008.

كريب، ابان. *النظريات الاجتماعية من بارسونز الى هبرماس* . ترجمة محمد سعيد . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، 1999.

مارشال، بييتر. *الدبلوماسية الفاعلة*. ترجمة أحمد مختار الجمال. القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة، 2005.

ماتلار، أرمان وميشال. *تاريخ نظريات الاتصال*. ترجمة نصر الدين العياضي والصادق رابح. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية . *الاعلام العربي في عصر المعلومات*. أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006.

مقلد، إسماعيل صبري . *العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الاصول والنظريات* . الكويت : منشورات ذات السلاسل، 1971.

مهنا، محمد نصر . *الاعلام السياسي بين التنظير والتطبيق* . الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007.

موريس، بونتي ميرلو . *العين والعقل*. ترجمة حبيب الشاروني. الاسكندرية: منشأة المعارف، 1989.

نعيمي، احمد. *السياسة الخارجية*. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2008.

هبرماس. "مدخل تعربفي الى هبرماس في العلم والتقنية ." *مجلة ابواب* ، عدد 7 (1994): 59-70.

هلال، رضا. *الامركة والاسلمة : مازق عرب اليوم*. القاهرة: دار مصر المحروسة، 2004.

هريدي، صلاح . *العلاقات الدولية : مفهومها وتطورها* . الاسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008.

هياجنة، عدنان. *دبلوماسية الدول العظمى في ظل النظام الدولي تجاه العالم العرب* . أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1999.

هيدن، وايت. *ميشيل فوكو، البنيوية وما بعدها: من ليفني شتراوس الى دريدا* . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، 1996.

يحياوي، يحيى. *في العولمة والتكنولوجيا والثقافة: مدخل الى تكنولوجيا المعرف* . بيروت: دار الطليعة، 2002.

يوسف، حنان. *الاعلام والسياسة مقارنة ارتباطية* . القاهرة: أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، 2006.

يفوت، سالم."هبرماس ومسألة التقنية." *فكر ونقد*، عدد1 (1997):38– 56.

الجزيرة الوثائقية , برنامج الرؤية هي التصديق , بتاريخ 11.2.2009.

## قائمة المراجع الانجليزية


Art Levine, *America's new Arabic networks need to win influence and credibility. Their biggest challenge? Allegations of cronyism, incompetence, and mismanagement*. (November 7, 2005) | web only.

Cotter ,Colleen , *Discourse and: From the handbook of discourse Analysis*.( Deborah Schiffrin : Tannen & Heidie 2005).

Haydar, sadig. *cross- communication and double consciousness: Africanstudent experience of U.S Media and culture*, (Ohio: Ohio University, 1992).

Macgluhan, Marshall. *Understanding Media*.( New York: Mcgraw-hill,1964).

Miller, David and Mark Curits. *Tell me lies : propaganda and Media Distortion in the Attack on Iraq*.( www. Pluto Books. Com2003).

المراجع الاليكترونية:


www.islamonline.net/servlet/satellite?c=ArticaleAC&cid=1179664492286&page name=zone

www.mafhoum.com/press9/264C33.htm

http://www.durbah.com/vb/t55404.html

http://www.oman0.net/forum/showthread.php?

http://www.albaghdadia.com/n/iraq-polotics/10318-2009-10-26-11-35-05.html

http://www.albaghdadia.com/n/iraq-polotics/10318-2009-10-26-11-35-05.html

www.basaernews.com/news11995.htm

http://www.durbah.com/vb/t55404.html

http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=306927

http://marebpress.net/articles.php?id=3890

http://www.almassae.press.ma/node/2871

http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=5975

http://www.prospect.org/cs/articles?articleId=10595

http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=5975

shttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=55062